

شَرْحُ دِيَوَانِ

الْأَمِيرِ الشَّافِعِيِّ

وَحِكْمُهُ

لِلْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ شَافِعٍ الْقُرَشِيِّ

جَمَعَهُ وَشَرَحَهُ

مُحَمَّدُ بَيْجُو



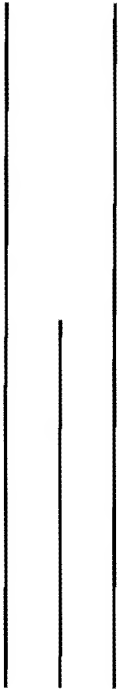
رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com



شَرْحُ دِيَوَانِ

الأمير الشافعي

وَحِكْمُهُ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م

مكتبة ابن القيم

دمشق - حلبوني - ص.ب. ٣٤٤٧٣  
هاتف: ٢٢٢٨٦٩٣ - فاكس: ٢٢٤٦٩٦٦

شَرْحُ دِيَوَانِ

الْأَمِيرِ الشَّافِعِيِّ

وَحِكْمُهُ

لِلْأَبِيِّ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ شَافِعٍ الْقُرَشِيِّ

جَمَعَهُ وَشَرَحَهُ

مُحَمَّدُ بَيْجُو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الإمام الشافعي:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع القرشي .

ولد في مدينة غزة سنة خمسين ومئة للهجرة، ويبدو أن أباه إدريس ابن العباس الهاشمي كان قد اضطر إلى هذه المدينة النائية عن موطن قریش طلباً للرزق والمعاش، غير أنه توفي وابنه لما يزل في المهد، فرجعت أمّه الأزدية إلى مستقر قرابة في مكة، وهو ابن سنتين .

وما إن نما عوده بعض النمو حتى أسلمته والدته الحانية إلى الكتاب، إلا أنها لم تكن تملك أجراً تعطيه لشيخه، وهنا بدأت أحاسيس الفتى الناشئ الموهوب تنفتح ليشق سبيل المجد بإخلاص العاملين وجهاد الطالبين، فكان كلما انشغل المعلم خلفه الإمام الشافعي على التلامذة، جاعلاً هذه النوبة بمثابة أجر يسديه إليه، وتخبرنا الروايات أنّ مؤدبه قد رضي منه هذا الأجر رضاء تاماً .

ولم يطو الغلام اليتيم من عمره سبع سنين حتى استظهر القرآن، ثم شرع في مرحلة علمية ثانية، منذ هذا الوقت المبكر، فكان يجلس على مقربة من أجلة العلماء ليحفظ ما استطاع من أحاديث رسول الله ﷺ، ولم

يلبث أن استهوته حكمة النبوة، فصار يكتبها على ما يستطيع توفيره من قطع خزف أو دف أو كرب خيل أو أكتاف جمال أو ظهور أوراق كان يطلبها من دواوين الحكومة، حتى ملأ من ذلك جرة قديمة كانت لدى والدته.

وعلى عادة من كانوا يتبدون لنهل الفصاحة من منابعها العذبة الصافية ضرب محمد بن إدريس في بوادي هذيل وغيرها من أمهات القبائل التي لم يشب لسانها لحن ولا رطانة، وهنالك جمع كثيراً من لغتها وأشعارها. ولكن عين الله التي عوضته حنو الأبوة أزجت إليه من يهديه سبيل ما هو مهياً له من أول المشوار. وقد حكى الشافعي قصة اتجاهه إلى الدراسات الفقهية فقال: «لما رجعت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، مرّ بي رجل من الزبيدي فقال لي: يا أبا عبد الله؛ عزّ عليّ ألا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سُدت أهل زمانك» وبذلك استيقظت ميوله التي كان استجاب لها منذ ختم القرآن وجمع طائفة من الأحاديث.

وكان في مكة أمثال سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي فتردد عليهما يغرف من علوم الدين عُرفاً طيبة، وكان اسم مالك بن أنس قد ذاع في كل مكان، فاستعار الشافعي كتابه الموطأ من رجل مكّي وحفظه في تسع ليال ظاهراً، ولم يلبث أن قصد إليه ولما يتجاوز اثنتي عشرة سنة، وقد انكب على معينه ينهل ويستزيد ويدفعه إعجاب مالك بذكائه إلى الإمعان في اهتمامه العلمي، ويروى أن إمام دار الهجرة قال عن الشافعي: «إن يك أحد يفلح فهذا الغلام». وقال أيضاً: «ما أتاني قرشي أفهم من هذا الفتى، يعني الشافعي» وقد حفظ له تلميذه البرّ فضلُه، وظل يقول بعد أن بلغ ما بلغ: «مالك معلّم وأستاذي، ومنه تعلمنا العلم، وما أحد آمنٌ عليّ من مالك، وجعلت مالكا حجة فيما بيني وبين الله».

وفي هذه الفترة مرّ بالمدينة والي على اليمن فكلّمه بعض القرشيين



بشأن الشافعي لعله يجد له عملاً عنده، فقبل منهم، وصحبه معه وكلّفه بوظيفة بسيطة، فقام بها، فأسلم إليه أخرى، فنهض بعبئها، وكان يأتي المعتمرون من اليمن إلى مكة لزيارة بيت الله الحرام، فكانت أمه تتحرى أخباره منهم فيشنون عليه، ويبدو أنه كان يذهب بين الفينة والفينة إلى مكة ليلقى والدته، كما كان يقابل شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم من قبل ويأخذ عنهم من جديد، وما إن بلغ من العمر خمس عشرة سنة حتى قال له مسلم بن خالد - شيخه -: «أفتِ، فقد آن لك أن تفتي»، كما بلغ في هذه السن منزلة كان يملّي فيها من حفظه من الموطأ على الحجاج المصريين الذين كانوا يقدمون على مالك بعد أن يؤدوا الفريضة، وهو ما قرّب إلى ذهنه فكرة الذهاب إلى ديارهم فيما بعد. وربما أحسّ الشافعي من نفسه مقدرة على الحجاج فإذا به - في إحدى لقاءاته لمالك - يراجع وينظره وينزلق في شعائر المراهقين أو بعض المراهقين من المبالغة في المراء والإكثار منه، فقال له مالك: «إن قيل قلنا؛ فاقصد هنا وأشار بيده إلى جهة العراق، إشارة إلى أصحاب أبي حنيفة لأنهم أهل نظر وجدال» فخرج المفتي الناشئ من عند شيخه مغضباً لأول مرة وقصد العراق ولقي محمد بن الحسن وأخذ عنه، ولم يكتف بالذهاب إلى العراق، كما أشار عليه أستاذه، بل ضرب أيضاً إلى بلاد فارس والمناطق القاصية يلقي أئمة العلم ويكسب من معارفهم حتى صار ابن إحدى وعشرين سنة، ثم عاد إلى العراق وكان الرشيد قد استُخلف منذ سنة سبعين ومئة، فأكرمه وولاه الصدقات بنجران، لكن مودته المتمكنة الوفية لإمام دار الهجرة قد عرّجت به شطر المدينة المنورة ليراه وقد اغتنى بعد أن تركه فقيراً، ومن ذلك الحين جعل أستاذه يبعث إليه كل عام من هداياه إلى أن لبي مالك نداء ربه سنة تسع وسبعين ومئة.

وخبر تولّيه صدقات نجران وهو ابن إحدى وعشرين سنة، أي عام

إحدى وسبعين ومئة، ينفي الروايات التي تجعل زيارته لبغداد مرتين فحسب، إحداهما سنة خمس وتسعين ومئة، والثانية سنة ثمان وتسعين ومئة، فهو قد قصد إليها سنة إحدى وسبعين ومئة أو قبلها كما رأينا، وقصد إليها سنة خمس وسبعين ومئة وسنة ثمان وسبعين ومئة، واقتيد إليها سنة أربع وثمانين ومئة، لاتهامه بمؤازرة خارجي أو علوي كان يريد خلع الرشيد، وذلك عندما تسلم الشافعي صدقات نجران باليمن، غير أن براءته ظهرت، فعفا عنه أمير المؤمنين.

وتهمته تدفع بدورها ما يقال من أن محمد بن الحسن وأبا يوسف قد كادا له عند الرشيد وأوغرا صدره عليه، وليس مثل هذه الأقوال في حقيقتها إلا كمثل الذي لا يقدر أن يمدح امرأً دون أن ينال سواء بمذمة، وكأن دنيا الصلاح لا تسع من الناس إلا فرداً واحداً! فالمصادر تنبئ أن محمد بن إدريس كان يُجَلُّ محمد بن الحسن ويقول فيه: «ما رأت عيناى مثل محمد بن الحسن ولم تلد النساء في زمانه مثله»، وأن محمد بن الحسن - من جهته - قد ألان له قلب الخليفة وشفع له عنده، وعزم عليه أن ينزل في داره فكانت تلك فرصة جيدة استطاع الشافعي أن ينسخ فيها كثيراً من مصنفات الحنفية، ويبدل على النساخ في سبيل ما تبقى من أعطية الرشيد بعد أن نثر قسماً منها على بوابيه.

وأيضاً فإنه يروي عن أبي حسان الزياتي أنه قال: «ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي، ولقد جاءه يوماً فلقبه وقد ركب محمد بن الحسن، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل».

ويعود الشافعي إلى مكة المكرمة وقد نضجت ثقافته وتبحر إلى أبعد غاية في فقه الرأي إضافة إلى فقه الحديث، وصار يفيض على حلق الدارسين في البيت الحرام، وعلى الحجاج القادمين من كل فجٍّ عميق،

حتى عام (١٩٥ هـ) حيث ذهب إلى بغداد وأقام بها حولين يدرس ويصنف، ثم رجع فترة قليلة إلى أم القرى وسرعان ما انقلب إلى العاصمة العباسية سنة (١٩٨ هـ)، فأقام فيها أشهراً معدودات على تبرم منه بأهل الكلام هواة المراء الذي لم يعد يلقي الإفراط منه أيّ حظ بعدما استوى له علم نادر وحكمة بالغة، فاتّجه إلى أرض الكنانة وهو يقول:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر      ومن دونها أرض المهامه والفقر  
فوالله ما أدري ألفتوز والغنى      أساق إليها أم أساق إلى قبري

وتذكر المصادر أن الشافعي قد لقي في مصر إكراماً واسعاً، وأنه كان «محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه»، وأنه قد سار ذكره في البلدان وقصده الناس من الشام واليمن والعراق وسائر الأقطار للتفقه عليه والرواية عنه وسماع كتبه، وأنه على زهادته في التقرب إلى الولاية كان مقدماً عند العباس بن عبد الله والسري بن الحكم البلخي من الأمراء على مصر في الفترة التي عاش فيها. وقد تمكن الإمام الشافعي في مصر أن يستكمل أبحاثه ويتابع تأليفه الذي بدأه من قبل، نافذاً إلى آرائه الجديدة التي عدّل فيها شيئاً من أحكامه التي استنبطها في الحجاز أو العراق، قاصداً فيها على الحقيقة ما استطاع، ولبت يدرّس ويؤلف حتى وفاته سنة (٢٠٤ هـ)، فدفن في القرافة الصغرى قرب جبل المقطم، ولا يزال قبره إلى اليوم في شارع الإمام الشافعي في مسجد حمل اسمه، وأساس هذا المسجد مدرسة أقامها صلاح الدين الأيوبي بجوار قبر الشافعي سنة (٥٧٢ هـ)، ليفقه الدارسون على مذهب هذا الإمام الكبير، ثم أنشأ لها السلطان الكامل محمد بن العادل قبة خشبية مغطاة بالرصاص سنة (٦٠٨ هـ) ثم جدد الخديوي توفيق سنة (١٣٠٩ هـ) مسجد الإمام الشافعي على النحو الذي نراه عليه اليوم.

ومعنى ما تقدم أنه لا يتعذر على الباحثين أن يحددوا الخطوط العريضة

لحياة هذا الإمام الفذ، كما أنهم لا يلقون مشقة في تحديد السير المتعلقة بوقائع حياته، كما قال هفنك، وذلك إذا ما قارنوا الروايات الكثيرة التي عرضت لها، واستقصوها بدقة.

وقد ترك الشافعي من بعده ثلاثة أولاد: أبا عثمان محمداً الذي كان قاضياً في مدينة حلب، وفاطمة، وزينب، وتوفي ابن آخر له يدعى الحسن وهو طفل، وكذلك ترك ذكراً حسناً في مجالات الأخلاق العالية والصفات النبيلة والعلم والشعر.

فكل التراجم تؤكد تقوى هذا العالم الجليل وأنه لم تعرف له كبوة لا في شباب ولا كهولة، وأنه قال لمن أشار إليه بمجالسة الوالي ليكسب منه: «من لا تعزه التقوى فلا عزَّ له ولقد ولدت بغزة، وربيت في الحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياً قط».

وأنه لما سمع الحارث بن ليبد يتلو من القرآن قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٢٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَدُونَ ﴿ [المرسلات: ٣٥-٣٦]. تغير لونه واقتصر جلده، وأنه لم يحلف بالله لا صادقاً ولا كاذباً، وأنه كان ماراً في السوق فسمع رجلاً يسفه على رجل من أهل العلم فقال لأصحابه: «نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفیه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردَّت كلمة السفیه لسعد رأدها كما شقي بها قائلها».

وكان الإمام التقي يختم القرآن كتاب الله كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختمه في اليوم مرتين، ويروي الحسن الكرايسي أنه بات مع الشافعي غير ليلة «فكان يصلي نحواً من ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمئة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى

لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين، ولا يمر بأية عذاب إلا تعوّد فيها وسأل الله النجاة لنفسه وللمؤمنين».

وكان الشافعي رحمه الله عفاً زاهداً في متاع الدنيا يقول عن نفسه: «ما شبت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة»، وكذلك كان يقول: «من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب». ويقول: «من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع»، ويقول: «التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة».

وكان عدلاً لطيفاً كريماً شجاعاً ذكياً مخلصاً في علمه لا يبغي من ورائه شهرة ولا رياء، يقول: «ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ». ويقول: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليّ منه حرف».

ويقول: «من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه».

وتصور الروايات الإمام الشافعي رجلاً مديد القامة، سائل الخدين، قليل لحم الوجه، خفيف العارضين، طويل العنق، آدم، يخضب لحيته، حسن الصوت، كريم الوجه، عظيم العقل، أليف السمّت، مهيباً، فصيحاً.

وتذكر تلك الروايات أن الشافعي لم يكن في الطراز الأوّل من الفقهاء والمحدثين فحسب، بل أيضاً كان عالماً بكلام الصحابة وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء، والتفسير، والقراءات، والأنساب، والتاريخ، والطب، والرمي، وكان صادق الفراسة، صافي النفس، نافذ البصيرة، وكان حجة في اللغة عند ابن هشام وثعلب والأزهري، وحجة في النحو

عند المازني، وقد قرأ عليه الأصمعي أشعار هذيل وديوان الشنفرى، وكان يروي إضافة إلى ذلك لثلاثمئة شاعر مجنون ولثلاثين آخرين أساميهم عمرو، فضلاً عن العقلاء وسوى العمرين من الشعراء، ومن هنا قال أحمد بن حنبل قوله الحق: «ما أحد مسَّ بيده محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في رقبته منة»، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «ما رأيت رجلاً قطُّ أكمل من الشافعي».

وبديهي أن يكون الفقه رأس علومه التي حذقها، ومن يرجع إلى تاريخ الإمام الشافعي وسيرة حياته يجده لا يعد نفسه لهذا الأمر بحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره فحسب، بل بجمعه كثيراً من الأحاديث النبوية في صغره وبعد صغره، وبالتمكن اللغوي، وعلوم الدين المختلفة كآثار الصحابة وخلاف العلماء والتفسيرات والقراءات مما مر بنا من قريب، وبالتبحر في الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، والوقف والابتداء، ونحو ذلك من البحوث الإسلامية.

أضف إلى ذلك أنه استوعب استيعاباً شاملاً لمدارس الفقه في عصره، على اختلاف مناحيها، فدرس فقه مالك منذ يفاعته، وأخذ فقه أبي حنيفة عن محمد ابن الحسن، وانتهى إليه فقه الأوزاعي من طريق شيخه عمرو بن أبي سلمة، واطلع على فقه الليث بن سعد بوساطة يحيى بن حسان، ووقف على دراسات الشيعة وبحوث المعتزلة في هذا اللون من العلم، إضافة إلى بحوث أهل السنة ودراساتهم، وتلمذ لعلماء مكيين ومدنيين، كما تتلمذ لآخرين يمانيين وعراقيين، وخلص من كل ذلك إلى منحنى وسط بين مناهج أهل المدينة ومناهج أهل العراق، فهو لا يتجاوز نصاً قرآنياً أو نبوياً ثابتاً، ما وجد ذلك، ويروى أنه لما قدم بيت المقدس فصلى فيه وقال: سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وكذلك كان يقول : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت » .

ومن شعره في هذه الطريقة قوله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين  
العلم ما كان فيه : قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين  
ولعل ذلك مدعاة تسمية البغداديين له بناصر الحديث ، ولعله أيضاً سر  
ميله عن أهل الكلام وكراهته المعتزلة وقوله فيهم : « حكمي في أصحاب  
الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في  
العشائر والقبائل ، يقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام » .

وقوله كذلك : « لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الهواء ما قبلته » .

ومع ذلك فهو يعمل بالقياس والاستدلال وتفريع المسائل من  
أصولها ، عندما لا يجد النص القرآني أو النبوي ، ويأخذ بالإجماع وآثار  
الصحابة التي لم يختلفوا فيها ، ويتحرى ما قرب من الكتاب والسنة أو  
رجحه القياس فيما اختلفوا فيه منها .

وأغلب الظن أن استقرار الشافعي على هذا المنهج في دراساته قد  
تعاقت عليه مرحلتان ، إذ من المعروف أنه كان حتى عام مئة وأربعة  
وثمانين يتبع مسلك الإمام مالك ، غير أنه لما اطلع على أهل الرأي في  
العراق أعاد النظر في بعض أحكام فقيه المدينة ، ويمكن أن نعد ذلك  
مرحلة أولى استمر عليها حتى مجيئه إلى مصر سنة تسع وتسعين ومئة ،  
وهناك عمق مجراه في سبيلها ، وقد أبان هو عن ذلك فقال : « إنما رجعت  
إلى أقوالي الجديدة أي لما دخلت مصر بلغني أن بالمغرب قلنسوة من  
قلانس مالك يستسقى بها الغيث ، فخفت أن يتمادى الزمان ويعتقد فيه

ما اعتقد في المسيح ، فأظهرت خلافه ليعلم الناس أنه إمام مجتهد يخطئ ويصيب» وهذه مرحلة ثانية .

وتبتدئ طرائق الشافعي في البحث الفقهي وأحكامه التي نفذ إليها في مصنفاته القيمة التي تجاوزت مئة وثلاثة عشر مؤلفاً في الفقه والحديث والتفسير والأدب . . . وقد ذكر ابن النديم منها ما ينيف على مئة وخمسة كتب قال فيها الجاحظ : « نظرت في كتب الشافعي فإذا هي درٌّ منظوم لم أر أحسن تأليفاً منه » .

ومما في أيدينا من هذه المؤلفات كتاب « الرسالة » الذي صنفه استجابة لعبد الرحمن بن المهدي الفقيه العراقي الذي « التمس من الإمام الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً يذكر فيه شرائط الاستدلال بالقرآن والسنة والإجماع والقياس وبيان الناسخ والمنسوخ ومراتب العموم والخصوص ، فوضع الشافعي كتاب الرسالة وبعثها إليه » . ومن المؤكد أن الإمام الشافعي قد رجع فيها بصره - على عادته في تحكيك آثاره - وعدّل فيها إلى أن استوت على هذا النحو الرائق المعجب ، وقد قام الأستاذ القاضي أحمد محمد شاكر بتحقيقها في سفر ضخّم قال في مقدمته : « إن أبواب الكتاب ومسائله التي عرض الشافعي فيها للكلام على حديث الواحد والحجة فيه ، وإلى شروط صحة الحديث ، وعدالة الرواة ، ورد الخبر المرسل والمنقطع ، إلى غير ذلك ، أدق وأعلى ما كتب العلماء في أصول الحديث ، بل إن المتفقه في علوم الحديث يفهم أنّ ما كتَبَ بعده إنما هو فروع وعالة عليه » .

وتبدو الظاهرة الأخيرة أيضاً في المصدر الأساسي لدراسة فقه الإمام الشافعي وهو كتاب الأم الذي كتبه في العراق أولاً وعرف باسم كتاب الحجة أو كتاب المبسوط ، ثم نَقَّح في مصر ، وهو من كلامه كما كانت الرسالة من كلامه ، إلا أن فيه بعض التعليقات أو التنبيهات التي أضافها



الربيع بن سليمان المرادي المتوفى سنة (٢٧٠ هـ) صاحب الشافعي وراوي كتبه، وهي تعليقات وتنبهات غير خافية ولا يصعب ميزها. وقد طبع هذا المصنف الضخم في مصر ملحقاً به كتاب الرسالة الذي استغرق الجزء الأول من أجزائه السبعة، ومضافاً إلى هامشه كتاب مسند الشافعي وكتاب اختلاف الحديث له. وليس بعيداً أن تكون بعض أبحاث هذه المجموعة المطبوعة مما ألفه الشافعي مفصلاً عن هذا الكتاب، ثم جاء النساخ فضموها إليه، وذلك مثل كتاب اختلاف مالك والشافعي وكتاب سير الأوزاعي في الجزء السابع.

ويدور كتاب الأم حول فقه الإمام محمد بن إدريس، والأحكام الشرعية التي أدى إليها اجتهاده، وفيه بعض أصول الفقه، سوى الرسالة. وأسلوب الشافعي في الأم، كما في الرسالة، مسترسل متلاحق الفكر ويفصل المعاني دون تكلف ولا التواء.

ومن مؤلفات الشافعي (كتاب السنن) في الحديث النبوي، وهو مروى عن صاحبه إسماعيل بن يحيى المزني المتوفى سنة (٢٦٤ هـ) وكثرته الغالبة أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ، وفيه إلى ذلك موقوفات للصحابة ومقاطيع يمثلها الشافعي نفسه، وهو مرتب على أبواب الفقه.

وكما ترك الإمام الشافعي مجموعة من الأشعار مفرقة في بطون كتب الفقه والحديث والأدب والتراجم، وهي مجموعة تسلك في الشعر الديني الذي يهتف بالخير وينمي نوازع الإنسان الصالحة المتسامية لتزداد وتقوى، ويدعو إلى مجاهدة ما فيه من ميول وأهواء ورغائب تنتهي به - إن تولاه - إلى الانحدار والارتكاس والهبوط، ومن هنا كانت الحكمة أول أغراض الشافعي في قريضه.

وتدور الحكمة حول التأمل والتفكير وما يكون وراءه من اعتبار

بالتجارب العريضة، وما يستخلص منها من أمثال ناطقة وقواعد هادية، وما يدفع ذلك إليه من زهد ونصائح وأخلاق.

فهو يتبصر في معاده المحتوم هل هو جنة هنية أو نار متلظية؟ فإن من يدري هول ذلك اليوم ليزرف الدمع تلو الدمع، بل يبكي الدم بدل الدمع، ويقطع الليل تفكيراً وذكراً، ويقل الكلام فيما سوى الذكر:

فيا ليت شعري هل أصير لجنّة فأهنا، وإمّا للسّعير فأندما  
فلله دُرّ العارفِ النَّدْبِ إِنَّهُ تَفِيضُ لِفَرَطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا  
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَا تَمَّا  
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ مَعِجَمًا

ذلك المصير هو المهيب الرهيب، وهو ما يخالف مألوف الشدائد في هذه الفانية خلافاً كبيراً، الدنيا زائلة قصيرة وإن أيامها لآتية على كل نعيم فيها وكل ضنك وجائحة:

فعواقبُ مكروهِ الأمورِ جبارٌ وأيامُ شرٍّ لا تدومُ قصارٌ  
وليسَ بباقيِ بؤسها ونعيمها إِذَا كَرَّ لَيْلٌ ثُمَّ كَرَّ نَهَارٌ  
فكم من طاغ في هذه الحياة قد أسرف في بغيه ثم انتكس فجأة  
وأحاطت به هموم ثقال ومصائب فادحة، فكانت هذه بتلك جزاء مقسطاً  
وثواباً غير جائر:

تحكّموا فاستطالوا في تحكّمهم عما قليل كأنَّ الحُكْمَ لم يكنِ  
لو أنْصَفُوا أنْصَفُوا؛ لكنْ بَغَوْا فبَغَى عَلَيْهِم الدَّهْرُ بِالْأَحْزَانِ وَالْمَحَنِ  
فأَصْبَحُوا وَلِسَانِ الْحَالِ يَنْشُدُهُمْ هَذَا بِذَاكَ وَلَا عَتَبَ عَلَى الزَّمَنِ

وكان هذا التفكير الطويل يدفع الإمام الشافعي إلى التبصّر في تجارب الحياة الواسعة، واستشراف عبرها الواعية وقواعدها الحكيمة المصطفاة. ومن تلك العبر أن من غير الإصابة الراشدة أن يوهب الإنسان الخير ثم لا ينفعه في سبيل الله ليكسب ثواب مولاه وشكور الناس، أو لا يقطف

ثمار ما أوتيته من الحظ العجيب الذي يقرب المستبعد ويحل المعضلات، ولا تستغرب أن يورق يابس العيدان إذا أصاب محظوظاً، ولا تستغرب أن يطير من يد المحروم ما كان يريد أن يبلّ به ظمأه، وما ذلك لقلّة حيلة المحروم ولا خفة عقله، بل لأن الإنسان إما أن ينال فكراً مبصراً أو غنى باذخاً ولكنهما ليسا يجتمعان معاً في يده، وهذا ما يدعو أولي الأحلام والعزائم أن يتمنوا لو أن لهم على نعمهم العقلية وخصائصهم المعنوية سعة في المال، وهذا ما يدعو أيضاً إلى الإيمان بالقضاء الحق المهيمن:

إِنَّ الَّذِي رُزِقَ الِيسَارَ وَلَمْ يَصْبِ  
فَالجَدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ  
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً حَوَى  
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً أَتَى  
لَوْ كَانَ بِالْحَيْلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي  
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحَجَا حُرِمَ الْغِنَى  
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ  
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْهَمِّ أَمْرُؤُ

حمداً ولا أجراً لغير موفّق  
والجدّ يفتح كلّ باب مغلق  
عوداً فأمّر في يديه فصّدق  
ماءً ليشربهُ فعَاضَ فَحَقّق  
بأجلّ أسباب السّمَاءِ تَعَلَّقِي  
ضِدَانٍ مُفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقٍ  
بؤسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ  
ذو هِمّةٍ يَبْلَى بِعَيْشِ ضَيِّقٍ

وعلى نحو هذه الخواطر التي تعتري المرء في بعض الأحيان يؤكد الشافعي أن أحداً لا ينال حكمة ولا يحوز معرفة إذا كان يفني عمره وهو يسعى وراء القوت وسدّ رمق عيلته، أو كان مشغول الفكر مرهقاً بالهموم، وإن لقمان الحكيم الذائع الصيت لو كان ابتلي بالفقر وأثقل بالأهل والولد لما أوتي شيئاً مما أوتي، ولما قدر أن يميز التبن من البقل:

لَا يَدْرُكُ الْحِكْمَةَ مَنْ عَمُرُهُ  
وَلَا يَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا فَتَى  
لَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ الَّذِي  
بُلِيَ بِفَقْرٍ وَعِيَالٍ لَمَّا

يكدح في مصلحة الأهل  
خالٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالشُّغْلِ  
سَارَتْ بِهِ الْبُرْكَبَانُ بِالْفَضْلِ  
فَرَّقَ بَيْنَ التَّبْنِ وَالبَقْلِ

ومن القواعد التي اجتباها الإمام الشافعي ألا يلتفت إلى سفه الحمقى ولا خصام الجاهلين، وبذلك يقمع الشر عنه ويصون عرضه:

قالوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ كَرَمٌ وَفِيهِ أَيْضاً لَصَوْنُ الْعِرْضِ إِصْلَاحٌ

وقد يسلك مع هؤلاء - لاتقاء سفههم - طريقة غريبة، فيما شيههم على حقيقهم حتى يُظَنَّ منهم، وما هو منهم، وإنه لمعاقلهم لو كانوا يعقلون:

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ امْرَأً لَا أَشَاكِلُهُ أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

إن إفاضة العلم على أمثال أولئك تفريط به وإضاعة له، لأن غراسه لا تثمر في تربتهم أبداً، وما أشبهه من يبذر علمه فيهم بمن يبنى العمارة ثم يهدمها بيديه:

فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ وَكَانَ كَالْمُبْتَنِي الْبِنَاءَ إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَهُ هَدَمَهُ

حقاً إن العلماء والسفهاء لعلى طرفي نقيض، فهؤلاء لا يقيمون لعارف وزناً ولا يقدرّون له علماً، بل يلجئون في مخالفة مقالاته ما استطاعوا، وهو من جانبه يسأم عشرتهم، ويتجنب مجالسهم، ولا يحظيهم من لدنه أي ميل أو تبجيل:

وَمَنْزِلَةُ السَّفِيهِ مِنَ الْفَقِيهِ كَمَنْزِلَةِ الْفَقِيهِ مِنَ السَّفِيهِ فَهَذَا زَاهِدٌ فِي عِلْمٍ هَذَا إِذَا غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى سَفِيهِ تَنْطَلَعَ فِي مَخَالَفَةِ الْفَقِيهِ

ومن القواعد التي استخلصها الشافعي: أن أحداً لا يسلم من ألسنة الناس، أو سفهاء الناس، حتى المصطفى ﷺ! إن هؤلاء إذا رأوك صامتاً رموك بالبكامة، وإذا وجدوك فصيحاً اتهموك بالثرثرة، وإذا ألفوك صائم

نهار قائم ليل قذفوك بالرياء، فاضرب عن أقوال أولئك صفحاً ولا تلتفت إليهم أي التفاته، ولا تخش إلا الله عز وجل وحده:

وَمَا أَحَدٌ مِنَ أَلْسِنِ النَّاسِ سَالِمًا وَلَوْ أَنَّهُ ذَاكَ النَّبِيُّ الْمُطَهَّرُ  
فَإِنْ كَانَ سَكِيَّتًا يَقُولُونَ أَبْكُمْ وَإِنْ كَانَ مِنْطِيقًا يَقُولُونَ أَهْدُرُ  
وَإِنْ كَانَ صَوَامًا وبالليل قائماً يَقُولُونَ زَرَّاقِ يَرَائِي وَيَمْكُرُ<sup>(١)</sup>

ومما كان يعاملهم به الإمام الحكيم في بعض الأحيان أن يستقبل ترهاتهم على مرارتها - بوجه بش، وكأنها مدعاة حبور لا أحزان، كل ذلك مجانية للشر، وحسماً لأسبابه:

وَلَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّمَا تُذَكِّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يَصَدَّعُ  
وَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بَشَاشَةً كَأَنِّي مُسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ  
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرِ أَتَنِي أَرَى تَرَكَ بَعْضَ الشَّرِّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

ومن حكم الشافعي الخابرة أَنَّ الصديق من ينصر أخاه حين الشدة ويؤازره فيها:

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بَأْسٍ قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَاسِ  
وَلَا يُبْغَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْرٍِ وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا لِلتَّأْسِي

وكثيراً ما كانت تحول هذه القواعد الفكرية إلى ضرب من الأمثال السائرة والعبر الجامعة، ومن هذا الطراز أَنَّ من الشقاء أن يحب المرء من لا يحبه، وأن يحرص هو على خيره، بينما الآخر يبغي ضره:

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَمَنْ تُحِبُّ يُحِبُّ غَيْرَكَ  
أَوْ أَنْ تُرِيدَ الْخَيْرَ لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ يَرِيدُ ضَيْرَكَ

وهذا آخر يريد صادقاً أن ينفع فإذا به يضر:  
رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا

(١) الهادر: الساقط، الزُّرْق: الكذب.

وهذا طبيب يعالج مرضاه وهو نفسه سقيم ، فكيف يكحل العيون من  
لا يبصر؟!

جاء الطبيبُ يَجْشُنِي فجسَّته      فإذا الطبيبُ لما بِهِ مِنْ حَالٍ  
وغدا يُعالِجُنِي بِطُولِ سِقَامِهِ      وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَعْمَشُ كَحَالٍ  
وبين الشافعي أن على الطالب المجد أن يكدح ويجد ويدأب ، وإلا  
ما تحقق له مطمح ولا حاز من المجد شيئاً :

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي      وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي  
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ      أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ  
تَرُومُ الْعَرْثَ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا      يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي  
غير أن العمل والأخذ بالسبب لا يكفي وحده فإن ثمة توفيقاً وقَدَرًا ،  
وإن العُقَابَ على قوَّته يطعم الجيف التتة ، وإن الذباب على قلة شأنه لينال  
أشهى ضروب العسل :

أَكَلِ الْعُقَابُ بِقُوَّةٍ جِيفَ الْفَلَا      وَجَنَى الذُّبَابُ الشَّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفُ  
ومن هذا اللون من خلاصات الحكمة عند الشافعي أن الإنسان هو  
القيم على أسرارهِ ، فإن هو أفشاها إلى أحد سواه كان ذلك أدعى إلى نشرها  
لا كتمها .

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ      وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ  
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوَدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ  
ومن ذلك تصويره لحال الغريب عن أهله وبلده ، فإنه يظل في قلق  
ووحشة واشتياق :

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ مَخَافَةٌ سَارِقٍ      وَخُضُوعٌ مَدْيُونٍ وَذَلَّةٌ وَامِقٍ  
وَإِذَا تَذَكَّرَ أَهْلَهُ وَبِلَادَهُ      فَفَوَّادُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ  
كل ذلك كان يدفع الشافعي إلى زهادة عفيفة ونظرة مرفوعة تأبى

التهالك على أبواب الحكام الذين إذا غضبوا بغوا وإذا لم يغضبوا إذا هم يسأمون، فالإمام الحكيم يستغني بالله عن منّهم والتزلف إليهم:

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا      فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلٌّ  
مَاذَا تُؤْمَلُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضَبُوا      جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا  
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ كَرَمًا      إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ

إِنَّ القلّة المدقعة لموتٌ مورود وهلاك مرٌّ مذاقه، لكن ذل الضراعة ليس بأقل من ذاك إيلاماً، إيثار الفناء مع شرف الكرامة خيرٌ من إهانة النفس بذلّ السؤال:

لِذَلِكَ السُّؤَالِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ      كَلَاهُ وَجَدْنَاهُ طَعْمًا وَيِيلاً  
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ إِحْدَاهُمَا      فَمَشِيَ إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا جَمِيلاً

إن الرضا بأيسر أكلة، والكفاية بأقل شربة، خير من شراهة الحرص، أو إراقة ماء الوجه على عتب اللثام:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَرَضُخِ النَّوَى      وَشُرْبُ مَاءِ الْقُلُوبِ الْمَالِحِ  
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حَرْصِهِ      وَمِنْ سُّؤَالِ الْأَوْجْهِ الْكَالِحِ

أجل أن يطعم المرء خبز الشعير مآدوماً بملح محض، وأن يضرب في أرض الله إلى أي مكان يكسب فيه رزقه، ويصون كرامته؛ خير له من أن يخفض رأسه لأحد إلا لمولاه اللطيف الخبير:

كُلُّ بَمَلَحٍ الْجَرِيشِ خَبَزَ الشَّعِيرِ      وَاعْتَقَبَ لِلنَّجَاةِ ظَهَرَ الْبَعِيرِ  
وَجِبَ الْمَهْمَةِ الْمَخُوفِ إِلَى طَنْ —      حِجَّةٌ أَوْ خَلْفَهَا إِلَى الدُّرْدُورِ  
وَصُنِ الْوَجْهَ أَنْ يَذَلَّ وَأَنْ يَخْضَ —      سَعًى إِلَّا إِلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ

وواضح من خطاب الشافعي أنه لا يعف عن الدنيا ومطامعها فحسب، بل أيضاً يدعو لذلك وينصح به، يقول في موضع آخر:

لَا تَأْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى فَائِتٍ      وَعِنْدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْعَافِيهِ  
إِنْ فَاتَ أَمْرٌ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ      ففِيهِمَا مِنْ فَائِتٍ كَافِيهِ

ويعود تارة ثالثة فيعظ الزهاد باتقاء الشبهات ، ومجانبة المرء لما لا يعنيه وتطهير نيته في كل أمر فيقول :

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ      أَرْبَعٌ قَالِهِنَّ خَيْرُ الْبَرِّهِ  
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا      لَيْسَ يَغْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بَيْنَهُ

ومما هدي إليه الشافعي ألا يبذل الإنسان مواعظه لمن لا يرغب فيها ، ذلك أنه لن يحمد عليها من جهة ، ولن تنفع المنصوح الراغب عنها من جهة أخرى :

لَا تُعْطِينَ الرَّأْيَ مَنْ لَا يُرِيدُهُ      فَلَا أَنْتَ مَحْمُودٌ وَلَا الرَّأْيُ نَافِعُهُ

ومن مواعظه لطلبة العلم أن يصبروا على ما قد يرونه من أسأتهم من جفاء في بعض الأحيان ، فإن ذلك الصبر على مرارته خير من البقاء في عماية الجهل طول العمر ، ويوصي الشافعي بالحرص على هذه الفضيلة منذ غضاضة الأعواد ، ويبين أن العلم والتقوى هما الحياة بل لبُّ الحياة :

تَصَبَّرْ عَلَى مُرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ      فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ  
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذَلِكَ التَّعَلُّمِ سَاعَةً      تَجَرَّعَ ذَلِكَ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ  
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ      فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لِفَوَاتِهِ  
حَيَاةُ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى      إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِدَاتِهِ

والناظر في شعر الإمام الشافعي يجد إثثار العلم من محامد الأخلاق التي أخذ بها نفسه ودعا إليها سواه ، فذلك مكرمة رافعة ، وخصلة نافعة ، وهو وسيلة السعادة والفقه والاستبصار :

رَأَيْتُ الْعِلْمَ صَاحِبُهُ كَرِيمٌ      وَلَوْ وَلَدَتْهُ آبَاءٌ لِيَامُ  
وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْفَعُهُ إِلَى أَنْ      يُعْظَمَ أَمْرُهُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ  
وَيَتَّبِعُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ      كَرَاعِي الضَّانِ تَتَّبِعُهُ السَّوَامُ  
فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ رِجَالٌ      وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَلَا الْحَرَامُ



وتكثر دعوة الشافعي إلى هذا الخلق المحمود والتماسه، ذلك أنه يجلو عن القلوب رين الجهالة، ويعين على فهم الدين، وبراءة النفس من مذمة الجهل، والهزم عليها، وينصح أبو عبد الله بلزوم رواة العلم، ويعيد كما كان يبدي أن من أعظم منافع المعرفة أنها تهيء النفس للرشاد واستيعاب ما نزل به الوحي:

مَعَ الْعِلْمِ فَاسْلُكْ حَيْثُمَا سَلَكَ الْعِلْمُ      وَعَنْهُ فَسَائِلُ كُلِّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمٌ  
فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى      وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمٌ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ يَزُرِّي بِأَهْلِهِ      وَذُو الْعِلْمِ فِي الْأَقْوَامِ يَرْفَعُهُ الْعِلْمُ  
فَأَيُّ رَجَاءٍ فِي امْرِئٍ شَابَ رَأْسُهُ      وَأَفْنَى شَبَابًا وَهُوَ مُسْتَعْجِمٌ قَدَمُ  
وَهَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنَظَرًا      مِنَ الشَّيْبِ لَا عِلْمٌ لَدَيْهِ وَلَا حِلْمٌ  
وَخَالِطُ رَوَاةِ الْعِلْمِ وَاصْحَبُ خِيَارِهِمْ فَصَحْبُهُمْ نَفْعٌ وَخَلَطَتُهُمْ غُنْمٌ  
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ      نَجُومٌ هَدَى مَا مِثْلَهُمْ فِي الْوَرَى نَجْمٌ  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْعِلْمُ مَا فَصَحَ الْهُدَى      وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ السَّمَاءِ لَنَا رَسْمٌ

ومن الأخلاق التي أعلى من شأنها إلى أبعد غاية حب السخاء فهو يتلهف على مال وجود به على المعسرين من ذوي المروءة لكيلا يتألم إذا التمسوا نواله فاعتذر لقلة ذات يده:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفْرَقُهُ      عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَرُوءَاتِ  
إِنَّ اعْتِدَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي      مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمَصِيبَاتِ

ويدعو كائز المال أن ينفقه على نفسه ليتنعم، وعلى غيره ليحتسب الأجر، وبذلك لا يكون كمن لا يسخو إلا إبان النزاع حيث لا يجديه الوهب كثيراً:

يَا جَامِعَ الْمَالِ تَرْجُو أَنْ تَفُوزَ بِهِ      كُلُّ مَا أَكَلْتُ وَقَدَّمُ لِلْمَوَازِينِ  
وَلَا تَكُنْ كَالَّذِي قَدْ قَالَ إِذْ حَضَرْتُ      وَفَاتُهُ: ثَلَاثُ مَالِي لِلْمَسَاكِينِ

ومن محامد الأخلاق في شعر الشافعي فضيلة العفو، فهو يصفح عن

وقع في النيل منه، من أجل ألا يردى أحد من أمة محمد ﷺ، في سبيل  
وزر منوط به يوم الحساب:

مَنْ نَالَ مِنِّي أَوْ عَلِقْتُ بِذِمَّتِهِ أَبْرَأْتُهُ لِلَّهِ شَاكِرٌ مِّنْهُ  
أَرَى مُعَوَّقَ مُؤْمِنٍ يَوْمَ الْجَزَا أَوْ أَنَّ أَسْوَأَ مُحَمَّدًا فِي أُمَّتِهِ؟  
إن خيراً من مؤاخذه هؤلاء المؤمنين أن يلتفت كل إلى نفسه لتزداد  
تقوى إلى تقواها، فيكون مثله في ذلك مثل السقيم الذي تلهيه آلامه عن  
أسقام سواه:

وَالْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا يَشْغُلُهُ عَنْ عِيوبِهِمْ وَرَعُهُ  
كَمَا الْعِيلُ السَّقِيمُ يَشْغُلُهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ وَجَعُهُ  
هكذا سبيل التقوى، خلق صفوح وإحسان وضيء، وهجران لكل  
سيئة:

فَدَعُ عَنْكَ سَوَاءَ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا  
وَأَحْسِنُ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الْكِرَامِ اكْتِسَابُهَا  
ومع الحكمة - أكبر أغراض الشافعي في قريضه - كان له شعر في  
الصدقة والفخر والمدح والهجاء. ومما احتفظت له المصادر في الصداقة  
بيتان كتبهما إلى محمد بن الحسن لما اتُّهم بممالأته على الرشيد، يقول:  
لَسْتُ أَدْرِي مَا حِيلَتِي غَيْرَ أَنِّي أُرْتَجِي مِنْ جَمِيلِ جَاهِكَ صُنْعًا  
وَالْفَتَى إِنْ أَرَادَ نَفَعَ صَدِيقٍ فَهُوَ يَدْرِي فِي أَمْرِهِ كَيْفَ يَسْعَى  
ولما أعانه على إثبات براءته وفسح له في مكتبته حتى ينسخ أئمة كتب  
الأحناف لذلك العهد، حدث أن تأخر في إحدى المرات عن تعجيل إعارته  
له لبعض المصنفات فأنفذ الشافعي إليه:

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عَيْنًا مِمَّنْ رَأَى مِثْلَهُ  
وَمِمَّنْ كَانَ مَنْ رَأَى قَدْ رَأَى مَنْ قَبْلَهُ  
الْعَالَمُ يَنْهَى أَهْلَهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ

فبعث إليه بتلك المصنفات .

ومن آثار الشافعي في هذا الشأن بيتان قالهما في محمد بن عبد الحكم، وكان من أحب إخوانه في مصر إليه، وكان قد اعتلّ:

مَرَضَ الحَبِيبُ فَعَدُّهُ      فَمَرَضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ  
فَأَتَى الحَبِيبُ يَعُودُنِي      فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

ومن شعر أبي عبد الله في الفخر بيتان يذكر فيهما ما وعاه من العلم النافع الذي يصحبه أينما حل، يقول:

علمي معي حيثما يَمُمْتُ يَنْفَعُنِي      قلبي وعاءٌ له لا بطنٌ صندوقِ  
إِنْ كُنْتُ فِي البَيْتِ كَانَ العِلْمُ فِيهِ      أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ العِلْمُ فِي السُّوقِ

وأيضاً كان يفتخر بحب آل البيت فيقول:

يا رَاكِباً قَفَّ بِالْمَحْضَبِ مِنْ مَنَى      واهْتَفَّ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَاهِضِ  
سَحَرَا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى      فَيَضَا كَمَلَتْطَمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ  
إِنْ كَانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وواضح أن الشافعي يعبر عن حبه كأي مسلم لأهل البيت، إلا أن هذا لا يخول أحداً أن يسلكه في الروافض أو الشيعة، كما صنع بعض الدارسين، فأقوالهم مردودة وليست تقوم على أي دليل، ذلك أن الشافعي لم يكن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر، فعلة المغالين الرافضين، بل كان يقدرهما إلى أبعد غاية ويقول: «أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم». وكان يصحح إمامتهم جميعاً، وكان كثير الطعن في الرافضية، وقد أثرت عنه أبيات يبين فدامة - قلة الفهم والحماقة - من إذا رآه يذكر علماً حشره مع أتباعه المغالين فيه، ومن إذا ألفاه يمدح أبا بكر سلكه في الناصبية الذين يبغضون الإمام أبا الحسن، وكل ذلك أحكام جائرة وأفهام مائلة هو منها براء:

إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلَيًّا فَإِنَّا      رَوَافِضُ بِالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ

وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ      رُمِيتُ بِنُصْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ  
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنُصْبٍ كِلَاهُمَا      بِحُبِّيهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ  
وَيَزِيدُ مَا تَقْدُمُ وَضُوحاً أَنَا نَجِدُ      الشَّافِعِي فِي مَدِيحِهِ يَقْدِرُ الْخُلَفَاءُ  
الْأَرْبَعَةُ الرَّاشِدِينَ جَمِيعاً فَيَقُولُ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ      وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ وَأَخْلَصُ  
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ      وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرُصُ  
وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عَثْمَانَ فَاضِلٌ      وَأَنَّ عَلِيّاً فَضْلُهُ مُتَخَصِّصُ  
أُمَّةٌ قَوْمٌ يُهْتَدَى بِهِدَاهُمُ      لِحَا اللَّهِ مَنْ إِيَّاهُمْ يَنْتَقِصُ  
فَمَا لِعُتَاةٍ يَشْهَدُونَ سَفَاهَةً      وَمَا لِسُفِيهِ لَا يَحِيصُ وَيَحْرُصُ

وَمِمَّا بَقِيَ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي الْهَجَاءِ بَيْتَانِ يَحْمِلُ فِيهِمَا عَلَى الْمَفْرُطِينَ  
بِالرَّأْيِ الَّذِينَ لَا يَتَحَرُونَ مَا فِي قَضَايَاهُمْ مِنْ حَدِيثِ نَبَوِي ، يَقُولُ :

لَمْ يَبْرَحِ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بِدْعاً      فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ يُعِثْ بِهَا الرُّسُلُ  
حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ      وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

وَكَذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى أُولَى الْأَثَرَةِ الَّذِينَ أَنْطَقَتْهُمْ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ طَوْلِ  
سَكُوتٍ فَيَقُولُ :

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ      أَنْسَاءً بَعْدَ أَنْ كَانُوا سَكُوتاً  
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلِ      وَلَا عَرَفُوا لِمَكْرُمَةٍ ثُبُوتاً

وَلَعَلَّهُ اتَّضَحَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْكَثِيرَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ مِنْ شَعْرِ الشَّافِعِي أَنَّهُ شَعَرَ  
حَسَنَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ ، وَيَكَادُ دَائِماً يَحُوزُ فَضِيلَةَ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ وَالْفِكْرَةِ  
الْعَفِيفَةِ ، وَتِلْكَ إِحْدَى الْمَقُومَاتِ الْأَسَاسِيَةِ لِكُلِّ فَنٍ يَبْتَغِي لِنَفْسِهِ الْإِعْزَازَ  
وَالْتَقْدِيرَ وَالسُّمُو ، وَلَا بَأْسَ أَنْ أَسُوقَ الْآنَ هَذَا النَّمُودَجَ مِثْلاً لِلْسِمَاتِ  
الْغَالِبَةِ عَلَى قَرِيضِهِ ، يَقُولُ فِي الْفَقْرِ :

مَاذَا يَخْبُرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلَهُ      إِنْ سِيلَ كَيْفَ مَعَادُهُ وَمَعَاجُهُ؟  
أَيَقُولُ جَاوَزْتُ الْفِرَاتَ وَلَمْ أُنَلِّ      رِيّاً لَدَيْهِ وَقَدْ طَغَتْ أَمْوَاجُهُ؟

ورقيتُ في درج العُلا فتضايقتُ عَمَّا أريد شعائبه وفجأه  
ولتخبرنَّ خَصَّاصَتِي بِتَمَلُّقِي والماءُ يخبرُ عن قذاهُ زُجَّاجُهُ  
فهو يتمنى المقدرة على أسباب الكرم، وذلك معنى سام وأمنية  
وضيئة، وهو في إirاده على هذه الشاكلة ليس بسطحي الطريقة داني  
المأخذ، وإن لم يكن في الوقت نفسه سحيق الغور بديع المسلك، ودائماً  
يجمع في الشعر مع شرف معناه الطرافة والدقة، وفي الأبيات حسرة  
عاطفية مؤثرة ورجاء صادقاً، وفيها تشبيه الكريم، وتصوير الأمواج  
الطاغية، والعلا المرفوع الدرجات، والسبل المتضايقية، والخصاصة  
المخبرة، والزجاج الحاكي، وهي صور بديعة وإن كان بعضها خافت  
الروح.

والعبارات قوية و الألفاظ جزلة والتدفق عادي والتراكيب مألوفة.

إلا أن في شعر الشافعي في بعض الأحيان إبداعاً ظاهراً وجمالاً ألقاً،  
يقول في تربية النفس واختيار الصديق:

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلُ  
وَلَا تُؤَلِّقَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ  
وَأِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ  
وَلَا خَيْرَ فِي وَدَّ امْرِئٍ مُتْلُونٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ

فمعانيه فاضلة تقوِّم النفس وتحلِّق بها في آفاق عالية صيِّنة، وتنجو بها  
من مصاحبة المنافق المقيت، وتزدان الأبيات بصورة النفس المحمولة  
على ما يزين ويرقي، وبتجسيم المصائب والأرزاق، وكشف الألوان  
المتقلبة لذي الوجهين أو الوجوه، وميلانه مع الريح التي يجعلها الإمام  
الشافعي مما يميل، ويكني بها عن الظروف والأحوال. والألفاظ رقيقة،  
والتراكيب محكمة، والسياق مناسب، والقافية تتماشى معه في اتفاق  
وانسجام، فيقول:

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاةُ بِهِمْ وَالسَّعْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَهَبَّاتُ  
وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ  
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ  
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلَتْ إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ  
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

ويلفت في النص أن: (لا شك) عبارة غير مألوفة في ميدان الشعر، إلا أنها قد جاءت هاهنا حسنة الموقع منسجمة مع السياق، وكذلك العطف بـ (لا) ابتغاء قصر المعنى على ما سبقها من عوائد النثر لا الشعر، لكن قصرها في البيت الرابع لتذكير المخاطب بما أوتيته من فضائل صنع الله، وانسجامها مع تراكيب البيت، ذلك جنبها أن تكون ناشزة أو غريبة، ويلفت نظرنا أيضاً تجسيم السعد فهو يهب هبوباً، وتجسيم المعروف فيها هي ذي يده، وتشخيص المكارم فتلك هي حية، وتصوير الأشحة فهاهم أولاء ميئون على الرغم من أنهم يحسبون على الأحياء، وقد أحكم الروي الهامس (التاء) فكان مع القافية خاتمة طبيعية لا متكلفة ولا مقسورة كما كان مناسباً للنصيحة الحكيمة التي تهمس ولا تشهر.

وانظر تقاسيمه الموسيقية المتتابعة المتدفقة التي تلائم سرعة الهبوب وعجلة الاغتنام وتوالي الخفقان في قوله:

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكَ فَاعْتَمَمَهَا فَعَقَبَى كُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ  
وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَلَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ

وانظر السياق المنسجم السلس المتلاحق في قوله:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لَزَمَانَنَا عَيْبُ سَوَانَا  
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ هَجَانَا  
وَلَيْسَ الذُّبُّ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

وانظر هذه التقاسيم المعنوية المفصلة :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى      وَ دَيْنَكَ مَوْفُورٌ وَعِزُّكَ صَيْنُ  
لِسَانِكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ      فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ  
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايَا      فَدَعَهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ  
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى      وَفَارِقٌ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ

والى جانب مثل هذه الأمثلة من الإبداع الفني الذي يفوق مألوف شعره  
كان ثمة مواضع أخرى يهبط فيها قريضه عن هذا المألوف، فمرة نجد فيه  
نزعة نثرية خالية من النبض الشعري الحي على جلال معانيها فيقول :

فَسَادَ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ      وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ  
هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ      لَمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

ومرة يجنح إلى عرض قضايا فقهية محدودة ثم يمعن أحياناً فيها حتى  
تشبه الألغاز، ويروى أن رجلاً جاء برقعة إليه مكتوب فيها :

رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَّفَ رَجُلًا      ابْنُ عَمِّ ابْنِ أَخِي عَمِّ أَبِيهِ

فأجاب الشافعي في الحال :

صَارَ مَالُ الْمَتَوَفَى كَامِلًا      بِاجْتِمَاعِ الْقَوْلِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ  
لِلَّذِي أَخْبَرْتَ عَنْهُ أَنَّهُ      ابْنُ عَمِّ ابْنِ أَخِي عَمِّ أَبِيهِ

والرجل الوارث هو والد المتوفى، والقصة تدل على ذكاء الشافعي  
رحمه الله وسرعة بديهته، ولعل من الواضح أنه قد اضطر إلى هذا اللغز  
اضطراراً ومن هنا ندر في شعره أشباهه .

على أن المؤكد أن لأيدي النساخ آثاراً واضحة في الطراز الأخير من  
شعره، ذلك أن النقاد القدماء أبانوا تقدمه في هذا الفن من القول، فذكر  
المبرد أن الشافعي كان من أشعر الناس، وشهد ابن العماد أنه كان مع  
جلالة قدره شاعراً مفلقاً مطبوعاً، وأبان أبو الفؤاد وعمر ابن الوردي أن

أشعاره فائقة، وأشار الياضي من ناحية أخرى أن له من الأشعار ما يخرج عن حيز الانحصار، مع أن ما في أيدينا منها لا يتجاوز خمسمئة بيت.

والمصادر الكثيرة المستفيضة التي روت مقطوعاته الشعرية وقصائده، والتي ذكرت مجموعة منها في الهوامش في ديوانه، وافتخاره بحيازة هذه الموهبة الفنية وقوله: (الشعر كلام؛ فحسنه حسن وقبيحه قبيح)، كل ذلك يرجح أن ما ينسب من أن الشعر يزري بالعلماء أو أنه لا يكاد وجود شعر القرشيين، لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وأن قوله: (لو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة) إن هي إلا أحكام أصدرها أول عمره ثم عدل عنها.

### طبقات الديوان وعملية فيه:

لقد طبع ديوان الشافعي رضي الله عنه لأول مرة في مصر سنة ١٣٢١ هـ وهو عبارة عن مجموعة مختارة من المخطوط الذي وضعه (أحمد بن أحمد العجمي) وقد اختار هذه المجموعة الأستاذ محمد مصطفى الشاذلي، ولكنني لم أعثر على هذا المختار رغم البحث الشديد، ثم عثرت على نسخة مطبوعة في القاهرة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ وهي طبعة جمعها الأستاذ محمد إبراهيم هيبه وقد ذكر في مقدمة الديوان أنه جمع هذه الأشعار من بطون الكتب، وبعد ذلك توالى طبقات الديوان أغلبها شعبية، ولكن المتفحص لهذه الطبقات يجدها خالية من البحث عن مصدر هذه الأشعار وعزوها إلى مصادرهما، فقررت أن أبحث في أصل هذا الشعر وعزوه إلى مصادره ولكن من أين أبدأ؟ فالطبقات كلها خالية من التأكد من مصدر هذا الشعر، فوجدت أن الطريق الوحيد للتأكد من صحة هذا الشعر هو الرجوع إلى الكتب التي ألفت في حياته، كمناقب الشافعي للبيهقي، ومناقب الشافعي للفخر الرازي، وتوالي التأسيس لابن حجر العسقلاني، وآداب الشافعي ومناقبه للرازي، والكتب التي ترجمت له كطبقات



الشافعية للسبكي، والأسنوي، والأسماء واللغات للنووي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات، والبداية والنهاية لابن كثير، ومعجم الأدباء لياقوت، وقد وقعت على شعر غير مطبوع في جميع الطبعات، وهو موجود في هذه الكتب، فتعجبت كيف غاب هذا الشعر كله عن هؤلاء الذين قاموا بطبع الديوان، فتأكدت أن الطبعات كلها نسخ مصورة بعضها عن بعض، ولم يكلف أحد من أصحاب هذه الطبعات نفسه جهداً أو بحثاً عن هذا الشعر، علماً بأن الذي ظفرت به يساوي ثلث الشعر المطبوع تقريباً، ومن فاته منه فقد فاته خيره، ولما انتهت من البحث في الكتب التي ألفت في حياته، أو ترجمت له، وجمعت الشعر الذي ورد فيه؛ تابعت البحث في أمهات كتب الأدب كالأغاني، والعقد الفريد، والبيان والتبيين، والحيوان، وزهر الآداب، وعيون الأخبار، وأمالى القالي، وغيرها كثير، وقد أثبتت المصادر التي أخذت منها هذا الشعر في الحواشي فما كان صحيح النسبة مقطوع بصحته أثبته، والذي نسب إلى غيره ذكرت المصادر التي نسبت الأبيات للشافعي والمصادر التي ذكرتها لغيره، وأما الأبيات التي لم أقع على مصادرها فتركها دون إشارة، وهكذا تجمّع لدينا ثلاثة أنماط:

١ - قسم مقطوع بصحته للإمام الشافعي رضي الله عنه .

٢ - قسم مشكوك بصحته منسوب له ولغيره .

٣ - قسم لم أعثر على مصدر له رغم هذا البحث .

ثم تابعت عملي بإتمام الجزء الثاني من العمل وهو جمع حكم الإمام الشافعي رضي الله عنه المنشورة، لأن محور شعر الشافعي الحكمة، وهذه الحكم المنشورة قمت بجمعها من نفس الكتب التي جمعت منها شعره .

وقد ضبطت الأبيات بالشكل الكامل، وشرحتها شرحاً مفصلاً وافياً،

وهكذا جاء الكتاب جامعاً لحكم الإمام الشافعي رضي الله عنه الشرعية  
والنثرية ، وأرجو أن أكون قد خدمت هذا الديوان لما فيه من فوائد جمّة ،  
ويكفي أنه لإمامنا الشافعي رضي الله عنه وأرضاه .  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

كتبه

محمود بيجو

دمشق ٦/ ربيع الثاني/ ١٤٢٩ هـ

١٢/ نيسان/ ٢٠٠٨ م

\* \* \*

## ترجمة الإمام الشافعي

هو محمد بن إدريس، قرشي من جهة الأب، يلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف؛ وقد روى الجرجاني (وهو من الحنفية) عن أصحاب مالك أن شافعاً جد الشافعي والذي ينسب إليه لم يكن قرشي الأصل، وإنما كان مولى لأبي لهب، وعلى ذلك يكون الشافعي مولى، ولكن قوله هذا لم يقره عليه علماء الأنساب، والظاهر أنه حمله على ذلك العصبية المذهبية فالصحيح أنه قرشي، والراجح أن أمه أزدية، والأزد من اليمن؛ وكان أبوه خرج في حاجة إلى الشام فولدت له الشافعي بغزة أو عسقلان سنة (١٥٠)، ثم مات أبوه فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، وقد نشأ فقيراً كما حدّث هو عن نفسه. رُوي عنه أنه قال: «كنت يتيماً في حجر أُمي ولم يكن لها مال، وكان المعلم يرضى من أُمي أن أخلفه إذا قام، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة، وكانت دارنا في شعب الخيف، فكنت أكتب في العظم، فإذا كثر طرحته في جرّة عظيمة» وفي رواية: «لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحدائث، فأذهب إلى الديوان فأستوهب منهم الظهور فأكتب فيها»؛ قال: «خرجت من مكة فلزمت هذيلًا بالبادية أتعلم كلامها وأخذ اللغة وكانت أفصح العرب»، وقد أفادته الإقامة في البادية مع قرشيته معرفة واسعة باللغة والشعر، أعانته على تفهم معاني القرآن والسنة فنراه يستشهد

على أن السعي معناه العمل في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ  
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. يقول زهير:

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يَذَرُكُوهُمْ مُوَا فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلِيْمُوا وَلَمْ يَأْلُوا

وبأن السر معناه الجماع في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾  
[البقرة: ٢٣٥]. بأبيات لامرئ القيس وجريير الخ. كما أفادته قوة في  
التعبير وعربية رصينة في الأسلوب وذوقاً دقيقاً، حتى لقد قرأ عليه رجل  
فلحن، فقال له الشافعي «أضرستني»؛ وقد روي أن الأصمعي أخذ عنه  
شعر الهذليين وشعر الشنفرى، ثم اتجه إلى الحديث والفقه، فأخذ في مكة  
عن سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي، وحفظ الموطأ ثم رحل إلى  
مالك في المدينة وسمع منه الموطأ، وأخذ عنه فقهه، ولازمه إلى أن مات  
مالك سنة (١٧٩) ثم خرج إلى اليمن، وقد ذكر في رحلته إليها أسباب  
كثيرة أقربها: أن والي اليمن جاء مكة فكلمه بعض القرشيين أن يأخذ  
الشافعي ويوليه بعض الأعمال، ففعل وولاه بعض الأعمال، ثم اتهم  
بالتشيع وامتنح؛ والروايات كذلك مختلفة: هل اتهم هذه التهمة وهو  
باليمن أو بعد أن عاد إلى الحجاز؛ فإن ابن عبد البر يروي أنه اتهم بالتشيع  
والميل إلى مبايعة علوي وهو بالحجاز، وابن حجر يروي روايات مختلفة  
كلها متفقة على أنه اتهم بذلك وهو في اليمن، والكل متفقون على  
النتيجة، وهي أنه حمل في هذه التهمة إلى هارون الرشيد، فنفى الشافعي  
التهمة وعفا عنه الرشيد، وكان ذلك نحو سنة (١٨٤)، وسن الشافعي نحو  
أربع وثلاثين سنة، ثم قدم بغداد سنة (١٩٥) وأقام بها سنتين ثم رجع إلى  
مكة، ثم قدم إلى بغداد سنة (١٩٨) فأقام فيها أشهراً، ثم خرج منها إلى  
مصر سنة (١٩٩)، وظل بها إلى أن مات سنة (٢٠٤). وفي أثناء إقامته  
بالعراق اتصل بمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأخذ عنه فقه  
العراقيين، قال ابن حجر: «انتهت رياسته الفقه بالمدينة إلى

مالك بن أنس، رحل إليه (الشافعي) ولازمه وأخذ عنه، وانتهت رئاسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة، فأخذ (الشافعي) عن صاحبه محمد بن الحسن جملاً ليس فيها شيء إلا وقد سمعه عليه فاجتمع له علم أهل الرأي، وعلم أهل الحديث، فتصرف في ذلك حتى أصّل الأصول، وقعد القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره وعلا ذكره، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار.

وقد خلف لنا الشافعي في كتاب الأم وصيته التي أوصى بها قبل أن يموت بسنة، فتاريخها صفر سنة (٢٠٣) يقول فيها: «هذا كتاب كتبه محمد بن إدريس ابن العباس الشافعي في صحة منه وجواز من أمره، أن الله رزق أبا الحسن (ابن الشافعي) مالاً فأخذ منه محمد بن إدريس من مال ابنه أربعمائة ديناراً جيداً صحاحاً مثاقيل وضمنها محمد بن إدريس لابنه» وفي هذه الوصية تصدق على ابنه بثلاثة أعبد كان يملكها الشافعي ووصيف أشقر خصي يقال له صالح، ووصيف نوبي خباز يقال له بلال، وعبد فراني، وتصدق بأمة شقراء كانت له - وفي هذه الوصية أيضاً تصدق بحلية، وقد عددها في الوصية - وتصدق بمنزلين له في مكة وقفهما على ابنه، ثم من بعده لأولاد ابنه الذكور والإناث الخ.

وله وصية أخرى في شعبان من هذه السنة، أوصى فيها بماله وقسمه أسهماً، وبيّن ما يفعل بعبيده وجواريه، وما يعطون من ماله، وما يعطى لفقراء آل شافع.

وهذه الوصايا تدل على أن حالته المالية في مصر كانت لا بأس بها، وإن لم تبلغ درجة الغنى.

وأما صفاته العقلية واللسانية فيكاد المؤرخون يجمعون على عذوبة منطقته، وحسن بيانه وذكائه، وقدرته الفائقة على الجدل، وقوته في التفكير، ومهارته في الاستنباط.

إذن ثقافته ثقافة في اللغة والأدب وهي واسعة، وثقافة في الحديث، فقد رحل في طلبه إلى بلاد كثيرة، وثقافة في الفقه على نمط مدرسة الحجاز، وثقافة في الرأي على نمط مدرسة العراق، وثقافة اجتماعية من مشاهدته لحياة البدو في البادية، والحضارة الأولية في الحجاز واليمن، والحضارة المعقدة المركبة في العراق ومصر، وحياة الفقراء من البدو والزهاد من المحدثين، ومن أخذوا بحظهم من الدنيا كمحمد بن الحسن الشيباني في العراق، وابن عبد الحكم في مصر، ورؤية لأنماط من الحياة الاجتماعية والاقتصادية مختلفة، تتطلب أنواعاً من التشريع مختلفة، فالمصريون يتعاملون أنواعاً من المعاملات لا يتعاملها أهل العراق، والمصريون والعراقيون يشتركون أحياناً فيما لا يشترك معهم فيه الحجازيون، ونظام الري للنيل في مصر غير نظام دجلة والفرات في العراق، وذلك يستتبع اختلافاً في الخراج وما إليه، وكلاهما يختلف في ذلك عن بلاد لا تعرف أنهاراً كالْحِجَاز؛ كل هذا وأمثاله كان له أثر كبير في تكوين مذهب الشافعي، فإن نحن أردنا أن نخطط رسماً بيانياً لمدرسته كما فعلنا من قبل كان هذا يسيراً سهلاً:

وكان الشافعي في أول أمره يعد نفسه تلميذاً لمالك، ومتبعاً لمذهبه وتعاليمه وأحد رجال مدرسته، وما زال كذلك إلى سنة (١٩٥) حيث قدم بغداد قدمته الثانية، فهناك بلغ مبلغ مؤسس مذهب يدعو إليه، والظاهر أن أقوى ما أثر فيه اتصاله في قدمته الأولى بأصحاب أبي حنيفة واستفادته من كتب محمد وعلمه بطريقة أهل العراق، فقد رأى من غير شك أن طريقتهم لا يحسن أخذها كلها، ولا تركها كلها، فعندهم القياس وهو منهج صحيح، ولكنه في نظره ليس على إطلاقه بل لا بد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة حتى ما كان منها خبر آحاد، وعندهم طريقة التفريع، وتوليد المسائل الكثيرة من أصولها، وهي طريقة جيدة، وعندهم الجدل

والاستدلال بالعدالة والمصلحة، وإلحاق الشبيه بالشبيه، وما بين الأشياء من فروق وموافقات، والمناظرة في ذلك وتأليف الحجج، وقد رأى ذلك حسناً، ورأى في نفسه استعداداً جيداً للدخول في هذا الباب والتفوق فيه، فاقتبس من ذلك أحسنه، وأضافه إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولاً، والحديث وإجماع أهل المدينة وطريقة الحجازيين في الاستنباط ثانياً.

هاتان الناحيتان قد استفاد منهما الشافعي، وألف بينهما بشخصيته، فأخرج مذهباً جديداً ودعا إليه في العراق سنة (١٩٥)، وتبعه عليه بعض أصحابه البغداديين مثل أبي عليّ الحسين بن علي الكرابيسي، وكان من مشاهير علماء العراق، وله مصنفات كثيرة مات سنة (٢٥٦)؛ ومثل أبي ثور الكلبي، وقد صحب الشافعي في بغداد وأخذ عنه، وألف في مسائل الاختلاف بين مالك والشافعي، وكان أميل إلى الشافعي في كتبه، وكأبي علي الزعفراني، كان يقرأ كتب الشافعي التي ألفها قبل قدومه مصر. ولكن يظهر أن الشافعي لم يجد لمذهبه في العراق نجاحاً كبيراً لمزاحمة الحنفية له، ولما لهم من جاه وسلطان وقوة، فتحول إلى مصر. قال الزعفراني: لما أراد الشافعي الخروج إلى مصر أنشد لنفسه:

أخيّ أرى نفسي تتوق إلى مصر      ومن دونها أرض المهامه والقفير  
فوالله ما أدري ألفتوز والغنى      أساق إليها أم أساق إلى قبيري

قال الزعفراني: فوالله لقد سيق إليهما جميعاً؛ وسأل الشافعي الربيع عن أهل مصر قبل أن يرحل إليهم، فقال له الربيع: هما فرقتان فرقة مالت إلى قول مالك وناضلت عنه، وفرقة مالت إلى قول أبي حنيفة وناضلت عنه، فقال الشافعي: أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله فآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعاً؛ قال الربيع: ففعل ذلك والله حين دخل مصر. وقد أقام بمصر نحو أربع سنوات أملى فيها كثيراً من كتبه.

منحاه في الاجتهاد: لعل خير ما يلخص مسلكه ما ذكره هو إذ قال: «الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد منه فهو سنة، والإجماع أكبر من الخبر المفرد والحديث على ظاهره، وإذا احتمل معاني فما أشبه منها ظاهره أو لاها به، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أو لاها، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب، ولا يقاس أصل على أصل، ولا يقال للأصل لم وكيف، وإنما يقال للفرع لم، فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة».

أظهر مزايا الشافعي أنه على أثر ما رأى من صور مختلفة للتشريع، وتباين بين نمط الحجازيين والعراقيين، وما كان له من الجدل ومناظرات بين هؤلاء وهؤلاء، عمد إلى أن يحدد موقفه تحديداً دقيقاً أمام هؤلاء وهؤلاء، رأى موقف الحجازيين إزاء الحديث غير موقف العراقيين، فسأل نفسه: ما موقفه؟ ورأى موقف الحجازيين إزاء القياس والاستحسان غير موقف العراقيين، فأراد أن يتعرف موقفه في ذلك؛ ورأى مثل هذا في إجماع أهل المدينة وإجماع العلماء عامة، فحاول أن يضبط ذلك؛ كل هذا نقله من الفروع إلى الأصول، وهذه من غير شك خطوة جديدة في التفكير، فإذا فرغ من وضع خطة في أصل هاجم مخالفها، لا فرق عنده بين أن يكون مخالفه حجازياً أو عراقياً، ولا فرق بين أن يكون أستاذه الذي أخذ عنه العلم، أو إنساناً لا يعرفه.

ولنسق لذلك بعض الأمثلة: فقد فكر في الحديث ورأى نفسه أمام جماعة ينكرون الأخذ بالحديث بتاتاً، وجماعة يعملون به بشروط طويلة، وجماعة يعملون به في سهولة، فوضع له خطة خلاصتها: أنه إذا حدث ثقة عن ثقة عن رسول الله ﷺ ولم يكن هناك حديث يخالفه عمل به، فإذا كانت هناك أحاديث مختلفة نظر: هل فيها ناسخ ومنسوخ، كأن يتأخر



أحدها في الزمن، ويثبت بدليل أن الحديث الأخير نسخ ما قبله فيعمل بالناسخ فإن لم يكن ناسخ ولا منسوخ نظر في أوثق الروايات وأمعنها في الصحة فعمل بها، فإن تكافأت عرضها على أصول القرآن والسنة الثابتة وعمل بما كان من الأحاديث أقرب إلى ذلك، وإذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ لا يترك هذا الحديث لأي قياس ولا لأي رأي ولا لأي أثر يروى عن صحابي كائناً من كان، أو تابعي كائناً من كان.

فلما وصل إلى هذا الأصل استعرض موقف الحجازيين والعراقيين فرأى في كليهما مخالفة له فهاجمهما، هاجم مالكا وانتقده لأنه ترك أحيانا حديثاً صحيحاً لقول واحد من الصحابة أو التابعين أو لرأي نفسه، وكان أشد نقد موجّه منه لمالك أنه ترك قول ابن عباس في مسألة إلى قول عكرمة، مع أن مالكا يسيء القول في عكرمة، ولا يرى لأحد أن يقبل حديثه، قال الشافعي: «والعجب أن يقول في عكرمة ما يقول، ثم يحتاج إلى شيء من علمه يوافق قوله فيسميه مرة ويسكت عنه أخرى».

وهاجم بهذا المبدأ أيضاً العراقيين، لأنهم يشترطون في الحديث أن يكون مشهوراً، يقدمون القياس على خبر الآحاد وإن صح سنده، وأنكر عليهم تركهم لبعض السنن لأنها غير مشهورة، وعلمهم بأحاديث لم تصح عند علماء الحديث بدعوى أنها مشهورة، ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه وقف في القياس موقفاً وسطاً لم يتشدد فيه تشدد مالك، ولم يتوسع فيه توسع أبي حنيفة، فهو يقول: «إن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار، ثم القياس عليها... ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله عز وجل، فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه... ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين

المشتبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبت، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد به تثبتاً فيما اعتقد من الصواب، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك».

وهو على هذا الأساس قد أنكر الاستحسان وهاجم القائلين به، ويظهر من مجموع قوله أنه يعني بالاستحسان مجرد الرأي من غير أن يكون مستنداً إلى أصل شرعي، وشبهه المستحسن في أثناء كلامه بالتاجر يقدر للشيء ثمناً من غير أن يدخل السوق ويعرف أسعار اليوم، فتقديره لا ينبني على أساس، كذلك الفقيه يستحسن من غير أن يرجع في استحسانه إلى أصول الشريعة، ولذلك هاجم مالكا في قوله بالمصالح المرسلة، وهاجم الحنفية في قولهم بالاستحسان.

وهكذا سار الشافعي على هذا المنوال، حدد موقفه بقواعد، وهو عمل - فيما نعلم - لم يسبق إليه؛ وقد كان لرحلته إلى المدينة ومكة واليمن والعراق مراراً ومصر أثراً في اتساع ثروته في الحديث، فلم يقتصر على الحديث الشائع في الحجاز كما فعل مالك، بل ضم إليه كثيراً من الحديث الشائع في هذه البلدان الأخرى، وهذه الرحلات كذلك جعلته لا يتعصب لأهل المدينة، ولا يعترف بالحجة التي جعلها مالك أصلاً من أصول مذهبه وهي إجماع أهل المدينة، فنقد مالكا في هذا نقداً قوياً، وذكر أن مالكا كان يقول بالإجماع، على حين أنه نفسه يروي أحاديث ضد الإجماع، فيقول مالك: «إن الناس أجمعوا على أن لا سجدة في سورة الحج إلا مرة واحدة، مع أنه يروي عن عمر وابن عمر أنهما سجدا في سورة الحج مرتين الخ...».

لم يسلم الشافعي من تهجم بعض العلماء عليه في حديثه كابن معين، فقد أكثر فيه القول، وقال فيه ابن عبد الحكم: إنه كان يروي عن الكذابين

والبدعيين، فروى عن إبراهيم بن يحيى مع أنه كان قدرياً، وروى عن إسماعيل بن علية مع أنه طعن فيه، وقالوا: إن البخاري ومسلماً لم يرويا عنه شيئاً في صحيحيهما، ولولا أنه كان ضعيفاً في الرواية لرويا عنه، وأن مذهبه أن المراسيل ليس بحجة، وقد ملأ كتبه من قوله أخبرنا الثقة، أخبرني من لا أتهمه. . الخ، وقد دافع أصحاب الشافعي عن هذه الأقوال دفاعاً شديداً، ومع هذا كله فقد كان الشافعي أقرب للمحدثين وهم إليه أميل، ولئن فاقه بعضهم في معرفة الحديث وأسانيده ورجاله فقد فاقهم بفقهه في الحديث، حتى روي عنه أنه قال لأحمد بن حنبل: أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه. كان المحدثون أميل إلى الشافعي لأنه توسع في استعمال الحديث والاستدلال به أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة، وحدّ من الرأي والقياس وضيق سلطتهما، ولذلك كان من أنصاره أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهما من كبار المحدثين، كما أنه كان أقرب إلى نفوس الحنفية من المحدثين وفقهائهم، لأنه لم ينكر القياس جملة، بل قال به وقعد له القواعد، حتى لقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهبه؛ ولعل هذا الموقف - وهو تقرّبه وجهة النظر بين المدرستين: مدرسة الحجاز ومدرسة العراق، وانتخابه ما رأى الحق في كليهما - هو أوضح ظاهرة في مدرسة الشافعي.

قال الرازي: «إن الناس كانوا قبل الشافعي فريقان: أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، أما أصحاب الحديث فكانوا عاجزين عن المناظرة والمجادلة، عاجزين عن تزيف طريق أصحاب الرأي، فما كان يحصل بسببهم قوة في الدين ونصرة الكتاب والسنة؛ وأما أصحاب الرأي فكان سعيهم وجهدهم مصروفاً إلى تقرير ما استنبطوه برأيهم ورتبوه بفكرهم. . . (فجاء الشافعي) وكان عارفاً بالنصوص من القرآن والأخبار،

وكان عارفاً بأصول الفقه وشرائط الاستدلال . . . وكان قوياً في المناظرة والجدل . . . فرجع عن قول أصحاب الرأي أكثر أنصارهم وأتباعهم».

آثار الشافعي: من أهم ما وصل إلينا من عمل الشافعي رسالته في أصول الفقه، رواها عنه تلميذه المصري الربيع بن سليمان المرادي، وقد تكلم فيها فيما يحتاج إليه المجتهد إزاء القرآن من العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، وتكلم في موقف المجتهد من الحديث وناسخه ومنسوخه، وما كان فيه من اختلاف وما يقبل منه وما لا يقبل، ثم تكلم في الإجماع، وأن (من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم)، ثم تكلم في إثبات القياس والاجتهاد، وحيث يجب القياس وحيث لا يجب، ومن له أن يقيس، ومن ليس له، ونقد الاستحسان ورد على القائلين به؛ وهو بهذا أول من وضع خطة في البحث في أصول الفقه جرى عليه كل من أتى بعده من علماء المذاهب الأخرى؛ قال الرازي: «واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسططاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض، وذلك لأن الناس كانوا قبل أرسططاليس يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة، لكن (ما) كان عندهم قانون مخلص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين، فلا جرم كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة. فإن مجرد الطبع إذ لم يستعن بالقانون الكلي قلما أفلح، فلما رأى أرسططاليس ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة واستخرج علم المنطق ووضع الخلق بسببه قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة ترتيب الحدود والبراهين، وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن أحمد ينظمون أشعاراً، وكان اعتمادهم على مجرد الطبع، فاستخرج الخليل علم العروض فكان ذلك قانوناً كلياً في معرفة مصالح الشعر ومفاسده، فكذاك - هاهنا الناس كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون

في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي رحمه الله أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع، فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسططاليس إلى علم العقل . . . واعلم أن الشافعي صنف كتاب الرسالة ببغداد، ولما رجع إلى مصر أعاد تصنيف كتاب الرسالة، وفي كل واحد منهما علم كثير، والناس وإن أطنبوا بعد ذلك في علم أصول الفقه إلا أن كلهم عيال على الشافعي فيه، لأنه هو الذي فتح هذا الباب، والسبق لمن سبق» .

نعم روى ابن النديم أن محمد بن الحسن ألف كتاباً في أصول الفقه، ولكن لم يصل إلينا هذا الكتاب حتى نستطيع أن نقارن بينه وبين رسالة الشافعي، ونعلم ماذا استفاد الشافعي من أصول محمد وماذا اخترع من نفسه؛ وقد كان هناك طريقان أمام مخترع أصول الفقه: الأول أن يضع القواعد التي تعين المجتهد على استنباط الأحكام من مصادر التشريع، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ والثاني استخراج القواعد العامة الفقهية لكل باب من أبواب الفقه، ومناقشتها وتطبيق الفروع عليها، فيستنتج - مثلاً - قواعد البيع العامة، أو قواعد الإيجار، ويحددها ويبين مسلك التطبيق عليها، وكلا الطريقتين يصح أن يسمى أصول الفقه، وقد سلك الثاني الفرنج على النحو الذي تراه في أصول الشرائع لبنتام ومن حذا حذوه؛ وقد اختار الشافعي الطريق الأول وألهمه ذلك ما كان من الجدل القوي بين المحدثين والفقهاء من جانب، وفقهاء العراق وفقهاء الحجاز من جانب آخر. فاضطره هذا الخلاف أن يضع القواعد التي رأى أنها تحسمه؛ أضف إلى ذلك أن الطريق الثاني أكثر ما ينمو في التشريع الوضعي الذي يعتمد على النظريات العقلية الطليقة وتعديلها وفق ما يجد

من نظريات فلسفية وآراء مدنية، على أن هذا الضرب قد اتجه إليه بعض المسلمين بعد كما ترى في الأشباه والنظائر لابن نجيم وإن لم يسر طويلاً .

وليس تعرضه لأصول الفقه مقتصرأ على رسالته في الأصول، بل تعرض له أيضاً في مواضع كثيرة من كتاب الأم، فتعرض - مثلاً - لمناقشة الفرقة التي تنكر العمل بالأحاديث بتاتاً، وكتب فصلاً في إبطال الاستحسان، فيظهر أن كثيراً من المسائل الفرعية كانت تعرض له فتشير في ذهنه أصولاً متفرقة يفكر فيها ويطيل التفكير، ثم يضع لها القواعد، ثم جرد هذه القواعد وأكملها ورتبها وأخرجها في كتابه الرسالة؛ وله الفضل خاصة في تنظيم الإجماع والعمل به وما يصلح منه وما لا يصلح، وتنظيم القياس الذي جرى عليه الحنفية، ووضع قواعد له، وتقسيمه أقساماً وتوضيح علله وبيان ما يجوز منه وما لا يجوز .

وقد خطا بكتابه خطوات في الفقه من حيث وضع القواعد للمجتهد وإلزامه الأخذ بها أو بنظائرها، حتى لا يأتي اجتهاده متناقضاً، يوماً يستدل بالعام ويوماً يقول إن دلالة ظنية، ويوماً يستدل بالخاص ويوماً يقول يحتمل أنه خصوصية . . الخ، ولا يخفى ما يترتب على وضع هذه المبادئ من انتظام سير الفقه وتوحيد مجاريه، وعدم الاضطراب في التفريع .

الأم: هو أكبر أثر للشافعي بين أيدينا، وقد ثار الخلاف حديثاً في مصر هل الأم كتاب ألفه الشافعي أو ألفه البويطي؟ وأظن أنه لو حدد موضع النزاع في دقة لكان الأمر أسهل حلاً، فليس يستطيع أحد أن يقول إن ما بين دفتي الكتاب الذي بين أيدينا هو من تأليف الشافعي، وأنه عكف على كتابته وتأليفه في هذا الوضع النهائي، وأهم دليل على ذلك أن مطلع كثير من الفصول العبارة الآتية: «أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي . .» وهي عبارة لا يمكن أن يكتبها الشافعي وهو يؤلف الكتاب، وفي ثنايا الكتاب نجد أخباراً بعدول الشافعي عن هذا الرأي كأن يجيء في سير الكلام: «قال

الربيع: قد رجع الشافعي عن خيار الرؤية وقال لا يجوز خيار الرؤية؛ ومحال أن تصدر من الشافعي هذه العبارة وأمثالها، كما لا يستطيع أحد أن ينكر أن في الأم مذهب الشافعي بقوله وعبارته، فالظاهر أنها أمالٍ أملاها الشافعي في حلقة كتبها عنه تلاميذه وأدخلوا عليها تعليقات من عندهم، واختلفت روايتهم بعض الاختلاف، والذي بين أيدينا منها رواية الربيع المرادي عن الشافعي.

على كل حال بين أيدينا مجموعة في سبعة أجزاء أغلبها من كلام الشافعي رواها عنه تلميذه وأدخل فيها بعض تعليقات أفردا وبينها حتى لا تلتبس بكلام الشافعي، ومجموع ذلك هو الذي أطلق عليه «كتاب الأم» وقد بَوَّبَ على أبواب الفقه كما فعل مالك في الموطأ، ولكن فيه فصول في أصول الفقه كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وقد أُمليت هذه الأبواب في مصر، والعلماء يقسمون فقه الشافعي إلى مذهبين: قديم وجديد. فأما القديم فهو ما كتبه وقال به في العراق، وأما الجديد فهو ما كتبه وقال به في مصر؛ ذلك أنه لما جاء مصر عدل عن بعض أقوال له كان قالها من قبل، وسببه أنه خالط علماء مصر، وسمع ما صح عندهم من حديث وسمع تلاميذ الليث بن سعد ينقلون عنه آراءه وفقهه، ورأى بعض حالات اجتماعية تخالف تلك التي رآها في الحجاز والعراق، فغير ذلك الشافعي في بعض أقواله، وأطلق عليه المذهب الجديد.

وفي «الأم» مصداق لجميع ما ذكرنا عن الشافعي، فهو فيه فصيح العبارة، قوي الأداء، تشوب عبارته بلاغة البادية وفصاحتها، وقوة القرشية وإيجازها، أخذ عليه بعض المتعقبين له أشياء عدوها غلطاً كقوله: ماء عذب، وماء مالح بدل ملح، وقوله: الطهور هو المطهر، مع أن الطهور هو الطاهر على سبيل المبالغة، وقوله: وليست الأذنان من الوجه

فيغسلان بدل فيغسلا، إلى أمثال ذلك؛ وهي في الحقيقة ليست أخطاء بل أجازها اللغويون والنحويون. وعلى كل حال فليس يستطيع أن ينكر أحد ما في عبارة الشافعي من دقة وقوة بلاغة.

وفي الكتاب تظهر قوة الشافعي في الجدل، فأسلوب الكتاب كله تقريباً أسلوب جدلي، حتى ليفترض مجادلاً يجادله في الجدل فيرد عليه، ثم يعترض فيجيب: فإن قال قائل كذا رددنا عليه بكذا، «قال: المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا في الكلام، قلت: فالذي ذهبت إليه محال، لا يجوز في اللسان. قال: وما إحالته وكيف لا يحتمله اللسان؟ قلت: . . الخ» وهكذا يسير في كثير من المواضع على هذا الحوار السُّقراطي، مما كان متأثراً فيه بنمط العراقيين وحجاجهم وإكثارهم من: «أرأيت».

ثم هو في الكتاب محدّث يكثر من الاستدلالات بالحديث، وهو قيّاس يكثر من استعمال القياس، فيقول: «وبهذا نأخذ وهو قول الأكثر من أهل الحجاز والأكثر من أهل الآثار بالبلدان»، ويقول: «قلنا في الكلب بما أمر به رسول الله ﷺ وكان الخنزير إن لم يكن في شر من حاله لم يكن في خير منها، فقلنا به قياساً عليه» إلى كثير من أمثال ذلك.

ثم هو متأثر بالمصرية أحياناً فإذا أراد أن يمثل بصيغة الوقفية مثلاً لذلك بوقف بيت في الفسطاط من مصر، ويتكلم في الطين الذي يعرف بالطين الأرمني والطين الذي يقال له طين البحيرة، وهما مما يدخلان في الأدوية، ويقارن بين الطين الأرمني وطين رآه في الحجاز، ويتكلم في القراطيس (وهي مصرية) ويبين متى يجوز أن تسلف ومتى لا يجوز، ويتكلم في شهادة الشعراء، ومن يجوز شهادته منهم ومن لا يجوز، فيستملّي فيما يظهر من حال الشعراء في مصر إلى أمثال ذلك.

وعلى الجملة فالكتاب ثروة كبيرة من حيث دلالة على مناحي الشافعي



في الاجتهاد، وعلى فقهه وعلى ما كان من أثر مصر في القول بالمذهب الجديد.. الخ.

وكان للشافعي أصحاب أخذوا عنه وتعلمذوا له، وحفظوا مذهبه، ونشروه، بعضهم في العراق وبعضهم في مصر؛ ومن أشهرهم في مصر البويطي والمزني والربيع المرادي.

فالبويطي هو يوسف بن يحيى، والبويطي نسبة إلى بويط قرية من قرى صعيد مصر، وكان أكبر أصحاب الشافعي وأعلمهم، وقد خلف الشافعي في رئاسة حلقة، وكان في حياته يفتي على مذهبه، وتعلمذ له كثيرون نشروا مذهب الشافعي، وألف كتابه (المختصر) اختصر فيه كلام الشافعي. قال ابن عبد البر: «وكان ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر يحسده ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن فيمن أخرج من أهل مصر إلى بغداد ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره، وحُمل إلى بغداد وحُبس فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن، وقال هو كلام الله غير مخلوق، وحبس ومات في السجن يوم الجمعة قبل الصلاة سنة ٢٣١ م» وأما المزني فهو اسماعيل بن يحيى، وكان أقدر أصحاب الشافعي على المناظرة والجدل والغوص على المعاني الدقيقة، وقد كان يخالف الشافعي في بعض أقواله، فيقول بعد أن يحكي كلام الشافعي في مسألة: «ليس هذا عندي بشيء».

ويظهر أنه امتحن في مسألة خلق القرآن فقال كلاماً نجا به من الاضطهاد، فشنع عليه أعداؤه من المصريين حتى قلّ الناس في حلقة، ثم زال ما في نفوسهم منه وعظمت حلقة حتى أخذت أكثر الجامع، وهو أكثر من دوّن فقه الشافعي، وألف فيه الكتب الكثيرة، منها المختصر المطبوع على هامش الأم، وانتشرت كتبه ومختصراته في الأقطار فخدمت مذهب الشافعي، مات سنة ٢٦٤ م.

وأما الربيع المرادي مولى قبيلة مراد، فكان مؤذناً بمسجد عمرو  
بالفسطاط وربما كان أبطاً تلاميذ الشافعي فهماً، وقيل كانت فيه سلامة  
صدر وغفلة ولكنه ثقة صادق فيما يرويه، حتى لو تعارضت روايته مع  
رواية المزني فأصحاب الشافعي يقدمون روايته، وقد حمل عن الشافعي  
الكثير من علمه، والنسخة المطبوعة من الأم روايته، مات سنة ٢٧٠ م.

وعلى الجملة فقد كان البويطي أفقه، والمزني أفصح وأمهر وأذكى،  
والمرادي أروى ولكل فضل.

ومما يلاحظ أن أصحاب الشافعي لم يكونوا يخالفونه كثيراً، كما كان  
أصحاب أبي حنيفة يخالفونه، فالمسائل التي خالف فيها أصحاب الشافعي  
إمامهم تكاد تكون معدودة وكثير منها تخريج على أصوله، وهذا بخلاف  
أصحاب أبي حنيفة، فقد خالفه أبو يوسف ومحمد وزفر في الأصول  
والفروع، وهذا يرجع - فيما أرى - إلى سببين: الأول أن مذهب أبي حنيفة  
لم يقيده أبو حنيفة، وإنما قيده ورتبه أصحابه، وله العذر في ذلك فقد  
أزهر أبو حنيفة قبيل عصر التدوين، وكان السابق والمبتكر في صبغ الفقه  
صبغته الجديدة، وترك لتلاميذه تدوينه، وهذا يجعل أصحابه في حل من  
المخالفة عند مقارنة المسائل بعضها ببعض، وتطبيقها على الأصول،  
والسبب الثاني أن مذهب أبي حنيفة - كما علمنا - أميل إلى الرأي من  
مذهب الشافعي، والرأي يمنح أصحابه حرية لا تكون لأصحاب الحديث  
ومن نحا منحاهم ومن قرب منهم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) ضحى الإسلام: أحمد أمين (ج ٢).

شرح  
ديوان الإمام الشافعي  
وحكمه



## قافية الهمزة

### ﴿ فما في النار للظمان ماء ﴾<sup>(١)</sup>

دَعِ الْأَيَّامَ تَفَعَّلْ مَا تَشَاءُ      وَطَبَّ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي      فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ<sup>(٣)</sup>  
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا      وَشِيمَتِكَ السَّمَاحَةُ وَالْوَفَاءُ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا      وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ<sup>(٥)</sup>  
تَسْتَرُ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ      يُغْطِيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ<sup>(٦)</sup>

- (١) خزانة الأدب ٤٢٦/٢، توالي التأسيس ١٤٤، جواهر الأدب ٤٢٦/٢.
- (٢) من رضي بقضاء الله تعالى وقدره عاش مطمئن البال، أما الساخط ففي قلق دائم، وعلى الإنسان أن يرضى بما تأتي به الأيام، لأن ذلك من عند الله سبحانه، وألا يكون متبرماً لحكم القضاء والقدر، وأن يتقبل ذلك كله بنفس مطمئنة.
- (٣) تجزع: الجزع ضد الصبر. وإيّاك - أيها الإنسان - والجزع والخوف مما تحمله الليالي من النوائب، لأنها ستزول، ولن تكون دائمة البقاء، فكل ما في هذه الحياة من الأحداث متحول لا يدوم.
- (٤) جلدًا: شديداً، قوياً. والأولى بك أن تتلقى حوادث دنياك بالجلد والصبر، فهذا هو خلق الرجال. وكن فوق ذلك كله سمحاً وفيّاً مع الخلائق كافة.
- (٥) أما إذا شعرت، أو خيل إليك أن عيوبك قد كثرت بين البرايا، وأردت أن تتخلص من هذا وأن تضع له ساتراً أميناً.
- (٦) فليكن نسيج هذا الستر السخاء والجود بالمال والجهد وبكل ما ينفع الناس؛ فإن هذه السجية؛ سجية السخاء، غطاء كريم، يخفي كل عيب ولا يبقى له أثراً.

وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا      فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ بَلَاءٌ <sup>(١)</sup>  
وَلَا تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ      فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمَانِ مَاءٌ <sup>(٢)</sup>  
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُقْصَصُهُ التَّائِي      وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ <sup>(٣)</sup>  
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ      وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءٌ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ      فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ <sup>(٥)</sup>  
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَابِيا      فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءٌ <sup>(٦)</sup>

(١) أما إذا أصابتك مصيبة، أو كَبُوت في أمر ما - وكل إنسان معرض لمثل ذلك - فإياك أن تظهر ضعفك أو ذُلك لعدوك فإن شِماتة الأعداء أعظم من المصيبة نفسها.

(٢) وإياك والطمع في أن تنال من بخيل شيئاً، أو تحدثك نفسك بذلك، لأن من يرجو ذلك مثله كمثله الظمآن الذي يبغي من النار ماءً.

(٣) العناء: التعب. أما رزقك الذي قدره الإله لك، فسوف يأتيك إن عاجلاً أو آجلاً، ولن يزيد ذرةً، ولو بذلت عناء مضاعفاً، فإن الرزق مقسوم، وليس على الإنسان إلا مباشرة الأسباب.

(٤) والدوام والبقاء لله تعالى وحده، وعلى هذا فلن يدوم سرور ملاً فؤادك غبطة وجوراً، ولا حزن أفعم قلبك غماً وكدرًا، وهكذا الأمر بالنسبة للرخاء والبؤس. فاغتنم الحاضر الذي أنت فيه، ودع أمر المستقبل لله تعالى وحده.

(٥) أيها الإنسان أصدُقك القول: إن كنتَ ذا قلب قنوع بما قسم له، فلا تُتعب فؤادك بالنظر لما في أيدي الناس، عندها ستشعر أنك تملك الدنيا.

(٦) تقيه: تحفظه. أما ذلك الذي قدر عليه الموت فسوف يلقاه في الساعة المقدرة ولا مفرٍّ له سواءً اختفى في غار من الأرض، أو صعد مرتفعاً في السماء.

وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْفَضَاءُ<sup>(١)</sup>  
 دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فَمَا يُعْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ<sup>(٢)</sup>

### لا تهزأ بالدعاء<sup>(٣)</sup>

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدْرِيه وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ<sup>(٤)</sup>  
 سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ<sup>(٥)</sup>  
 فَيُمْسِكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءُ<sup>(٦)</sup>

### جهد البلاء<sup>(٧)</sup>

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي النَّسَاءِ وَقَالُوا إِنَّ حُبَّ النَّسَاءِ جُهْدُ الْبَلَاءِ<sup>(٨)</sup>

(١) وأرض الله تعالى رحبة واسعة، لا يعلم حدودها إلا هو، ولكن إذا حُمِّ القضاء فإن هذا القضاء العريض سينقلب ضيقاً لا غناء فيه ولا نفع.

(٢) فاترك الأيام وشأنها، فقد يصيبك منها أحياناً ما لا يسرك، ولكن الموت في النهاية سيضع حداً لهذا الشقاء، ومع الموت لن ينفع دواء، ولا يقي منه حذر.

(٣) المستطرف ١/ ١٠٥ دون نسبة.

(٤) تزدريه: تحتقره وتستهمين به. ومن يهزأ بالدعاء؟! إن الذي يستخف بالدعاء ويقلل من شأنه، لا يعلم حقيقة الدعاء ولا ما يصنعه.

(٥) لا تخطي: لا تخطيء. الأمد: الغاية ومنتهى الشيء والجمع آماد. فمصائب الليل والنهار ماثلة في كل حين، وهي لا تخطئ أبداً من قُدَّرت له، ولكنها مرهونة بالقدر، ولها غاية وبداية غير معلومة للبشر.

(٦) والله عزَّ وجلَّ وحده، هو الذي يصرفها عن يشاء، ويصيب بها من يشاء، ولا يرفع القضاء إلا الدعاء.

(٧) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٢/٢.

(٨) جهد؛ بالفتح: المشقة؛ وبالضم: الطاقة. قال كثير من الناس وأعادوا: إن من يحب النساء ويعلق قلبه بهن، فإن ذلك ينتهي به إلى المشقة والعناء.

ليس حُبُّ النِّسَاءِ جُهْدًا وَلَكِنْ قُرْبَ مَنْ لَا تَحِبُّ جُهْدُ الْبَلَاءِ<sup>(١)</sup>

### حياة الأشراف واللىثام<sup>(٢)</sup>

أرى حُمْرًا تَرَعَى وتُعْلَفُ ما تهوى      وأسداً جِيعاً تَظْمَأُ الدَّهْرَ لا تُرَوَى<sup>(٣)</sup>  
وأشراف قوم لا يَنَالُونَ قُوَّتَهُمْ      وقوماً لِيثاماً تَأْكُلُ المَنَّ والسَّلْوَى<sup>(٤)</sup>  
قضاءً لِدَيَّانِ الخلائِقِ سابق      وليسَ على مُرِّ القضا أحدٌ يَقْوَى<sup>(٥)</sup>  
فمن عَرَفَ الدَّهْرَ الخَوْونَ وصَرْفَهُ      تصَبَّرَ للبلوى ولم يَظْهَرِ الشَّكْوَى<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

(١) والحق أن ليس حب النساء - وأعني به الحب المباح - مشقة وشقاء، بل إن مجالسة من لا تحب والعيش معه هو البلاء.

(٢) المخلاة ١٣٢. وتنسب الأبيات إلى الإمام علي بن أبي طالب، انظر الديوان المنسوب إليه ١٣٢.

(٣) إن معنى الأبيات أن هناك كثيراً من الناس الذين يشبهون الحمر ترتع وتجد ما تشتهي، وهناك أناس يشبهون السباع محرومة من ضرورات العيش ولا تكاد تجد من حاجاتها إلا الضروري.

(٤) وكذلك فإن كثيراً من أشراف القوم وكبرائهم، لا يحصلون على أقواتهم الضرورية إلا بشق الأنفس، بينما تجد كثيراً من اللثام والرعاع ترتع في بحبوحة من العيش، طعامهم المن والسلوى.

(٥) إن هذه القسمة هي من قضاء ديَّان الخلائق، وهي سابقة علم البشر. وإذا كان الأمر كذلك، فليس لأحد من بني الإنسان أن يعترض على ذلك، وليس يقوى كائن على تغيير ذلك.

(٦) الخؤون: الكثير الخيانة. والعاقل الذي خبر الأيام وعرف أنها لا تدوم على حالة واحدة، فهي حلوة حيناً، ومرة أحياناً، إن من فهم ذلك اتخذ الصبر درعاً له، ورضي بما قسم له.



## قافية الباء

### خالف هواك<sup>(١)</sup>

إذا حارَ ذهنُك في مَعْنين      وأَعْيَاكَ حَيْثُ الهوى والصَّوابُ<sup>(٢)</sup>  
فَدَغْ ما هَوَيْتَ فإنَّ الهوى      يقودُ الثُّقُوسَ إلى ما يُعَابُ<sup>(٣)</sup>

### حق الأديب<sup>(٤)</sup>

أَصْبَحْتُ مُطْرَحاً في مَعَشَرٍ جَهِلُوا      حَقَّ الأديبِ فَبَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ<sup>(٥)</sup>

(١) بهجة المجالس ١/ ٨١٤ نسبا لسهل الوراق .

(٢) سلوك الإنسان في هذه الحياة موزع بين العقل والهوى، فإن عرض لك أمر ما تنازع فيه عقلك وهواك، ولم تستطع ترجيح أحدهما بسبب الحيرة التي تتناكب، ولم تعرف أين يكمن الصواب .

(٣) فالطريق السليم، والاختيار الصحيح أن تترك داعي الهوى، الذي يبعدك عن الحق وتتبع سبيل الحق، لأن الهوى يجر من العيوب ما لا يحصى .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧/ ٣١٩، مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٦٤ ومناقب الشافعي للرازي . العلماء والأدباء في هذه الحياة، كثيراً ما يُغبن حقهم، ولا تعرف قيمتهم الحقيقية إلا بعد موتهم يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

(٥) قدر في هذه الحياة أن أعيش بين أناس لا يعرفون قيمة الفضلاء، ولا يميزون بين الغث والسمين . إنهم جهلاء لا يقيمون للعالم وزناً ولا للأديب مكانة، لذلك فقد أعرضوا عني، ولم يأخذوا مني شيئاً، واستبدلوا بأبخس الأشياء أثمنها .

وَالنَّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ وَبَيْنَهُمْ      فِي الْعَقْلِ فَرْقٌ وَفِي الْأَدَابِ وَالْحَسَبِ<sup>(١)</sup>  
 كَمِثْلِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ يَشْرُكُهُ      فِي لَوْنِهِ الصُّفْرُ وَالتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَطْبِ مِنْهُ رَوَائِحُهُ      لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ<sup>(٣)</sup>

#### هكذا الحظ<sup>(٤)</sup>

تَمُوتُ الْأَسَدُ فِي الْغَابَاتِ جَوْعاً      وَلَحْمُ الضَّأْنِ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ<sup>(٥)</sup>  
 وَعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ      وَذُو نَسَبٍ مَفَارِشُهُ التُّرَابُ<sup>(٦)</sup>

(١) الخلائق - في أصل وجودهم - سواء؛ لكن الذي يفرق بينهم، و يجعلهم متفاوتين، إنما هو العقل والأدب وطيب الأصل، وفيما عدا ذلك فهم متساوون.

(٢) الذهب الإبريز: الذهب الخالص. مثلهم في ذلك مثل الذهب الخالص، يخلط مع النحاس وغيره، فيكتسب صفرة، ولكن الفضل والقيمة الحقيقية تبقى للذهب الأصلي، وذلك لا يخفى على العارفين.

(٣) وكذلك أعواد الخشب فهي في الظاهر متشابهة ولكن الذي يميز بعضها من بعض، هو طيب الرائحة فيقال هذا حطب يصلح للدفع والاشتعال، وذاك عود لنشر الأريج.

(٤) توالي التأسيس ١٤٤.

(٥) الضأن: الغنم. قال بعضهم: سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة... وهكذا فإنك قد تصادف سباعاً تموت في الغابات جوعاً على الرغم من سطوتها وجبروتها، وفي المقابل ترى لحم الغنم الثمين تتمتع به أصناف من الكلاب.

(٦) وكذلك قد ترى عبداً سوقة يرفل بأثواب النعيم وينام على الحرير، بينما ينام الكريم الشريف على التراب وهذا من هوان الدنيا على الله تعالى.

### علي رقيب<sup>(١)</sup>

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب<sup>(٢)</sup>  
ولاً تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب<sup>(٣)</sup>  
غفلنا لعمر الله حتى تداركت علينا ذنوبٌ بعدهن ذنوب<sup>(٤)</sup>  
فياليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توبتنا فتتوب<sup>(٥)</sup>

### خذني العفو<sup>(٦)</sup>

خذني العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب<sup>(٧)</sup>

(١) مناقب الشافعي للرازي ١١١ - ١١٢ ، طبقات الشافعية للأسنوي ١٤ ، مناقب الشافعي للبيهقي ١١٨/٢ ونسبت الأبيات لأبي العتاهية ، انظر ديوانه ١٥٤ بتحقيق الدكتور المرحوم شكري فيصل . المؤمن الحق له من نفسه رقيب ، حاله في السر والعلن سواء .

(٢) أيها الإنسان! إياك أن تغفل لحظة ، سواء كنت في خلوة مع نفسك أو كنت في زحمة مع الناس ، وتذكّر أن عليك رقيباً أميناً يحصي عليك أقوالك وأفعالك .

(٣) وإياك أن تظن أن الله تعالى غافل عما يفعله العباد ، وإياك أن تشعر أن ما تعمله سر يخفي على مولاك ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى .

(٤) غفلنا نحن البشر وأطلقنا لنفوسنا العنان ، حتى تلاحقت الآثام ، وتراكمت الأخطاء ونحن عن ذلك لاهون .

(٥) ليس لنا - والأمر كذلك - إلا أن نتوجه بقلوب واجفة إلى ربنا الحليم ، طالبين منه العفو والمغفرة وأن يلهمنا توبة نصوحاً ، فيتوب علينا إنه هو الغفور الرحيم .

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٨/٢ ، ولفخر الرازي ١١٧ .

(٧) تستديمي : تجعلها تدوم . العفو من شيم الكرام . والمرأة الصالحة ، من تجعل شعارها العفو مع زوجها لأن ذلك أدعى لبقاء المودة ودوام الحب ، =

فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ<sup>(١)</sup>

### نبوءة الكواكب<sup>(٢)</sup>

خَبَّرَا عَنِّي الْمُنْجِّمَ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَيْتُهُ الْكَوَائِبُ<sup>(٣)</sup>  
عَالِمًا أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ قَضَاءٌ مِنَ الْمُهِمِّينِ وَاجِبٌ<sup>(٤)</sup>  
شَاهِدٌ أَنَّ مَنْ تَكْهَنَ أَوْ نَجَّمَ زَارَ عَلَى الْمَقَادِيرِ كَاذِبٌ<sup>(٥)</sup>

### السُّكُوتُ عَنِ السَّفِيهِ<sup>(٦)</sup>

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهِ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا<sup>(٧)</sup>

= وعليها أن تتمسك بالصمت عند سورة الغضب من زوجها .

(١) لأن الحقد وإضرار الأذى ، إذا اجتمع مع الحب في قلب ما ، فإن الحب سيزول ويفنى وتبقى الضغينة والشحناء .

(٢) بهجة المجالس ١١٥/٢ ، ومحاضرات الأدباء ٦٨/١ ، ونسبت للخليل بن أحمد الفراهيدي ، انظر الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢٤١/١ .

(٣) الأغبياء والجهلاء هم الذين يصدقون المنجمين . فأبلغوا عني المنجمين أنني كافر بأكاذيبهم ولا أستخير الكواكب في شأن من شؤني .

(٤) لأنني أعلم علم اليقين أن ما كان من الأمور في الماضي وما سيكون منها مستقبلاً ، إنما هو قضاءٌ ومقدر من الذي فطر السموات والأرض ومن بيده مقاليد الأمور .

(٥) وأنا شاهد على من ادعى التكهّن والعلم بالنجوم ، إن مثل هذا المخلوق كذاب ، ويعيب على المقادير حكمها النافذ ، شاء أم أبى .

(٦) أحسن القصص ١٠٥/٤ ، ونسب البيتان للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، انظر الديوان ١٦ .

(٧) السفيه لا يحترم الناس ، وكثيراً ما يخاطب الفضلاء من الخلائق بكل قبح وسفاهة ، وإذا قُدِّر لي مواجهة مثل هذا الإنسان ، فإني أربأ بنفسي أن أجيبه .

يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَيْبًا<sup>(١)</sup>

### أنت حسبي

أَنْتَ حَسْبِي وَفِيكَ لِلْقَلْبِ حَسْبٌ وَلِحَسْبِي إِنْ صَحَّ لِي فِيكَ حَسْبٌ<sup>(٢)</sup>

لَا أَبَالِي مَتَى وَدَاذُكَ لِي صَحَّ مِنْ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خَطْبٌ<sup>(٣)</sup>

### بالفضل يعلو الإنسان

أَرَى الْغُرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ فَاضِلًا تَرَقَّى عَلَى رُوسِ الرُّجَالِ وَيَخْطُبُ<sup>(٤)</sup>

وَإِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ يُقَاسُ بِطُفْلِ فِي الشُّوَارِعِ يَلْعَبُ<sup>(٥)</sup>

### سأضرب في الأرض<sup>(٦)</sup>

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيبًا<sup>(٧)</sup>

(١) العود: ضرب من الطيب يتبخر به. وكلما ازداد في سفهه ازدادت حلماً وترفعاً، ومثلي في ذلك عود الطيب الذي تعم رائحته الأرجاء، عندما تزيده إحراقاً.

(٢) إنها مناجاة، وهي مناجاة راقية، فأنت يا إلهي تكفيني أمري كله، وفي قربك ومودتك للقلب كفاية لا مطمع بعدها، فأنت كفايتي ومنتهى أمني إن صح مني العزم وصفا القلب.

(٣) إن رضيت عني، ومنحتني القرب والوداد، فإني لا أبالي بعد ذلك ما ستأتي به الأيام، وما ستحملة من المصائب والخطوب.

(٤) قيمة المرء بما يملكه من فضل، وليست قيمته بما يملكه من مال أو جمال أو كبر في السن، فالفتي ذو التجارب القليلة، سيرتفع فوق أكتاف الرجال ليخطب فيهم إذا كان حليماً حكيماً.

(٥) أما من كان قليل الفضل مثلي - وهذا تواضع منه - فإن قيمته تقاس بقيمة طفل صغير لا همَّ له إلا اللعب مع قرنائهم في الشوارع.

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٨٥.

(٧) علو الهمة من الإيمان، سأجوب بلاد الله تعالى الواسعة طولاً وعرضاً، حتى =

فَإِنْ تَلَفْتَ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمْتَ كَانَ الرُّجُوعُ قَرِيباً<sup>(١)</sup>

دعاء<sup>(٢)</sup>

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْعَامِرِيِّ غَمَامَةً وَرَدَّ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَأَعْطَى ذَوِي الْحَاجَاتِ فَوْقَ مُنَاهُمْ وَأَمْتَعَ مَحْبُوباً بِقُرْبِ حَبِيبٍ<sup>(٤)</sup>

اغترب<sup>(٥)</sup>

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبْ<sup>(٦)</sup>  
سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ<sup>(٧)</sup>

= أحقق ما أريده من رفعة أو مال أو علم، أو أمضي غريباً لا يعرفني أحد.

(١) سأبذل نفسي وأتعبها وأحملها فوق طاقتها، فإن تلفت فلله درها لأنها فارقت الدنيا وهي مجاهدة، وإن سلمت فإن الرجوع قريب.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٥ / ٢.

(٣) أسأل الله الكريم أن يمنّ على أرض العامري بغمامة تسقي الزرع، وتحيي الضرع، وأسأله تعالى أن يردّ كل مغترب إلى وطنه لينعم بالأنس مع أهله وأحبائه.

(٤) وأتضرع إليه أن يعطي كلّ ذي سؤلٍ سؤلَه، وأن يزيدهم من فضله، كما أرجوه وأطمع منه أن يجمع شمل الأحباء جميعاً، لأن في ذلك بهجة لهم وسروراً.

(٥) توالي التأسيس ١٤٤، جواهر الأدب ٧٢٥ - ٧٢٦. ونسبت الأبيات لأبي فراس العامري المعروف بمجد العرب وهو غير أبي فراس الحمداني. الحركة المدروسة حياة، والجمود الخامل موت. . .

(٦) الإنسان العاقل الذي يشعر بالكرامة، لا يطيب له العيش والمقام في بلد لا يستطيع أن يقدم شيئاً لمن هم حوله، ويستفيد هو نفسه من هذا المقام؛ لذلك فمغادرة الأوطان في مثل هذه الحال لازمة.

(٧) وانصب: جدّ في الأمر واجتهد فيه. إن من يغامر فيسافر ويغترب سوف يجد =

إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ  
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ  
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً  
وَالتَّبَرُّ كَالتُّرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِينِهِ  
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ  
إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجِرْ لَمْ يَطْبِ<sup>(١)</sup>  
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبْ<sup>(٢)</sup>  
لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ<sup>(٥)</sup>

= بديلاً عما يفارقهم من الأحباب والأصحاب، وهو بعمله هذا سوف يلقي  
بلا شك نوعاً بل أنواعاً من المشقة، ولكن هل تلذ الحياة إلا إذا مزجت  
بالجهد والتعب؟

(١) ساح: جرى وسال. والماء الذي هو سرّ الحياة، يعطينا درساً بليغاً في هذا  
المجال، فهو إن بقي ساكناً لا يجري فسوف يصبح أسناً تعافه النفس. أما إذا  
جرى رقراقاً، فإن المخلوقات تتخاطفه، لأنه يكون بشير خير، ينثر الرخاء  
أيما حلّ.

(٢) فالسباع في غاباتها، إن لم تفارق أوكارها طلباً للصيد، ما أصبحت سباعاً  
ضاربة تهابها الحيوانات. وكذلك السهم، كيف له أن يصيب عدواً أو يوفر  
صيداً إن لم يفارق قوسه.

(٣) والشمس التي هي علة بقاء الكائنات المبتوثة على هذه الأرض، لو أنها  
وقفت جامدة في كبد السماء، لا تريم مكانها في الفضاء، ولم تتحرك كما  
قدّرها الخالق الحكيم، لمَلَّها الناس على اختلاف مشاربهم.

(٤) التبر: الذهب. وقلّ ذلك عن سيد المعادن الذهب الذي يقتتل الناس من  
أجله ويفني بعضهم بعضاً، هل يظل بهذا الخطر، إذا لم يستخرج من الأرض  
ويعالج، وأعواد الطيب كذلك، لا قيمة لها إن لم تنقل من مكانها، فيعرفها  
الناس، وإلا ستكون كغيرها من الأعواد التي تستعمل حطباً.

(٥) إن حركة العود من أرضه أضفت عليه قيمة غالية، وكذلك حركة الإنسان  
ومغادرته بلدته تكسبه العزة والرفعة التي اكتسبها الذهب عندما فارق  
التراب.

## جواب اللئيم<sup>(١)</sup>

قُلْ بِمَا شِئْتَ فِي مَسَبَّةٍ عِرْضِي فَسَكُوتِي عَنِ اللَّئِيمِ جَوَابُ<sup>(٢)</sup>  
مَا أَنَا عَادِمُ الْجَوَابِ وَلَكِنْ مَا مِنَ الْأَسَدِ أَنْ تُجِيبَ الْكِلَابُ<sup>(٣)</sup>

## الخطوب تنوب<sup>(٤)</sup>

لَسْتُ بَعُدْتُ دَارَ الْمَعَزَى وَنَابَهُ مِنْ الدَّهْرِ يَوْمٌ وَالْخُطُوبُ تَنُوبُ<sup>(٥)</sup>  
لَمْشِي عَلَى بُعْدٍ عَلَى عِلَّةِ الْوَجَا أَدْبُ وَمَنْ يَقْضِ الْحُقُوقَ دَبُوبُ<sup>(٦)</sup>  
أَلَدُّ وَأَحْلَى مِنْ مَقَالٍ وَخَلْفَهُ يَقَالُ إِذَا مَا قُتِمَتْ أَنْتَ كَذُوبُ<sup>(٧)</sup>  
وَهَلْ أَحَدٌ يُصْغِي إِلَى عُذْرِ كَاذِبٍ إِذَا قَالَ لَمْ تَأْبَ الْمَقَالَ قُلُوبُ<sup>(٨)</sup>

(١) أحسن القصص ٤/ ١٠٦ وفي البيت الثاني اقواء والأصل (الكلابا) مفعول به منصوب.

(٢) كريم النفس يترفع عن مجارة اللئيم، فإن أنت بادرني بالسباب، وأكثر منه، فإن جوابي عنه هو السكوت الحازم.

(٣) لست بعاجز عن ردّ الجواب على اللئيم، ولكن ليست من شيمة الأسود أن تردّ على الكلاب، مهما تحرّشت بها، فإن لكل واحد منهما مكانته وقدره.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٠٢، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٧.

(٥) الحياة ممتلئة بالخطوب، فإن أصيب أخ لي بواحدة منها، وهذا متوقع في هذه الحياة المشحونة بالنوائب.

(٦) الوجا: وجع في القدم. فإني لن أتوانى عن مواساته مشياً على قدمي المصابتين، وسأدب إلى هذا الواجب ديبياً، ومن أراد أداء حقوق الصحبة، فهو دبوب إلى مقصده، أي أنه يسير ولو ببطء شديد.

(٧) إن هذا الدبيب لأداء هذا الحقّ، ألدّ عندي وأجمل من كلام معسول يُلقي، ثمّ يقال بعد ذلك كله لقائله أنت كذوب، لأنك لم تصدق القول بالفعل.

(٨) وهل هناك من أحد يستمع إلى عذر كاذب إذا تكلم بكلام منمّق قد تميل القلوب إلى تصديقه، على الرغم من كذبه.



### هكذا الدهر<sup>(١)</sup>

وما الدهرُ إلَّا هَكَذَا فَاصْطَبِرْ لَهُ رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ  
تناظر بشر المريسي والشافعي في حضرة الرشيد ، فقال بشر<sup>(٢)</sup> :

أَهَابُكَ يَا عَمْرُو مَا هَبَّتَنِي وَخَافَ بُشْرَاكَ إِذْ هَبَّتَنِي  
وَتَزَعُمُ أُمِّي عَنْ أَبِيهِ مِنْ أَوْلَادِ حَامٍ بِهَا عِبَّتَنِي  
فأجابه الشافعي رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup> :

أَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي وَأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أَعَابَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَصْفَحْ عَنْ سَبَابِ النَّاسِ حِلْمًا وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا<sup>(٥)</sup>  
سَلِيمُ الْعَرَضِ مَنْ حَذَرَ الْجَوَابَا وَمَنْ دَارَى الرَّجَالَ فَقَدْ أَصَابَا<sup>(٦)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٩/٢ ، والمخللة ١٢٨ . وقد ورد البيت في  
الديوان المنسوب إلى الإمام علي كرم الله وجهه ص ١٧ وهو :  
وما الدهر والأيام إلا كما ترى رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ  
(٢) حلية الأولياء ٨٣/٩ .

(٣) وأي كنز في الدنيا يعدل مكارم الأخلاق؟

(٤) كريم النفس جُبِلَ على حب مكارم الأخلاق ، فهو لا يَأْلُو جهداً في التحلي  
بها ، وهو في الوقت نفسه يكره كل حركة أو سكون يعاب عليها .

(٥) والكريم من الناس ، يعرض عن شتم اللئيم الذي بادره بالشتائم ، يعرض عنه  
حلماً وترفعاً لا جنباً وانكساراً ، لأن شرار الخلق يهون السباب والشتائم  
والبذيء من القول .

(٦) أما الماجد العفيف فيصون عرضه ، ويحذر أن يقابل الناس بما يكرهون ، بل  
يداريهم ويسلك معهم سبيل الرفق واللين ، لأن ذلك هو طريق الصواب  
والسلامة .

وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ      وَمَنْ يُهِنِ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ قَضَتِ الرَّجَالُ لَهُ حُقُوقاً      وَمَنْ يَعْصِ الرَّجَالَ فَمَا أَصَابَا<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

---

(١) وهو أيضاً لا يستخف بأحد، فيحسب لكل إنسان حسابه، فلا يستهين بمخلوق مهما قل شأنه، لأن الذي لا ينزل الناس منازلهم، لن يلقي من أحد إكراماً.

(٢) إن من يتخلق بهذه السجايا، لا يتوانى الناس - أكثرهم - من أداء حقوقه من الاحترام وبذل المستطاع لإرضائه، أما الذي يجافي أقرانه وخلطاءه ويسلك معهم سبيل العناد والاختلاف فإنه أخطأ الصواب، ولن يجد حوله إلا القليل ممن يتعاملون معه.

## قافية التاء

### المال يوجب العطاء<sup>(١)</sup>

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ      أَنْسَاءَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا سُكُوتًا<sup>(٢)</sup>  
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلِ      وَلَا عَرَفُوا لِمَكْرُمَةٍ ثُبُوتًا<sup>(٣)</sup>  
كَذَاكَ الْمَالُ يُنْطِقُ كُلَّ عَيٍّ      وَيُتْرَكُ كُلُّ ذِي حَسَبٍ صَمُوتًا<sup>(٤)</sup>

### مكارم الأخلاق

إِذَا رُمْتَ الْمَكَارِمَ مِنْ كَرِيمٍ      فَيَمِّمَ مَنْ بَنَى لِلَّهِ يَتًا<sup>(٥)</sup>

(١) مناقب الشافعي لليبهي ٢/٦٣، وطبقات الشافعية للسبكي ١/٦٠، وحلية الأولياء ٩/١٤٨.

(٢) المال من زينة الحياة الدنيا، وغالباً ما يشعر صاحب المال بالقوة بعد الضعف، وبالفصاحة بعد أن كان لا يحسن النطق إلا قليلاً.

(٣) وكثير من أولئك الذين منّ الله تعالى عليهم بالمال ييخلون، فلا يحسنون لأحد، أو يعطفون على من هو بحاجة إلى عطف ورعاية، وفوق ذلك فقد جعلوا بينهم وبين المكرمات حاجزاً لا يعرفون لها مستقراً ومقاماً.

(٤) العيُّ: العاجز عن الكلام. تلك طبيعة المال في هذه الحياة الدنيا، تجعل من الأعياء فصحاء إذا تحدثوا، وقلة المال تجعل - في كثير من الأحيان - ذوي النسب والفضل صامتين وهذا من المحزنات.

(٥) إذا طلبت مكارم الأخلاق، وفضائل الشيم، فتوجه إلى ذاك الإنسان الذي بنى بيتاً لله تعالى، سواء كان هذا البناء مادياً بالمساهمة في رفع البنيان، أم كان هذا البناء معنوياً، بحضوره الجماعة في أوقاتها وما يتبع ذلك من تعارف ومودة وحب بين المصلين.

فَذاكَ اللَّيْثُ مَنْ يَحْمِي حِمَاهُ وَيَكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا<sup>(١)</sup>

### جواب السَّفيه<sup>(٢)</sup>

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ<sup>(٣)</sup>

فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَجَّتْ عَنْهُ وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ<sup>(٤)</sup>

سَكَتٌ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنُّ أَنِّي عَيَّيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيَّيْتُ<sup>(٥)</sup>

### هَمَّتْهُ الْعِبَادَةُ<sup>(٦)</sup>

قَلِيلُ الْمَالِ لَا وَلَدٌ يَمُوتُ وَلَا هَمٌّ يُيَادِرُ مَا يَفُوتُ<sup>(٧)</sup>

(١) إن مثل هذا الإنسان هو القوي حقاً، وهو بمنزلة الليث الذي يزود عن حماه ويكرم نزلاءه في حياتهم وبعد مماتهم.

(٢) البيت الأول في أدب الدنيا والدين للماوردي منسوب لـ (عمرو بن علي) ومعه البيت الثالث :

سكت عن السفیه فظن أني عييت عن الجواب وما عييت  
(٣) كثيراً ما يلتقي الإنسان في حياته مع جهلاء لا يعقلون، وفوق ذلك فألستهم تنطق بالفحش من القول، فإذا قدر لواحدنا أن يجتمع بأحد من هؤلاء ويسمع منه كلاماً يؤذي، فالدواء الناجع في مثل هذا الموقف هو السكوت.

(٤) لأنك إن أجبت، وجاريت في سفاهته، فقد فرجت عنه، وجعلته يستمد من ذلك قوة، أما إن عرضت عنه، فإنه سيموت كمداً وغماً.

(٥) وإني عندما أسكت عن إجابة السفیه فإني أفعل ذلك، لأنني أكرم نفسي من الانحدار بها إلى مستواه، إلا أنه لغبائه يظن أي سكوت عنه عجزاً أو ضعفاً.

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٨/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرزاي ٢٧٣.

(٧) الهم: الغم والحزن. طوبى لمن قل ماله، إنه خفيف الحمل من الأعباء، وغالباً ما يحجم عن الزواج وإنجاب الأولاد، وبذلك لا يحزن على فقد ولد، ولا يحمل هملاً لما سيأتي، أو يسارع الزمن ليدرك الأمور قبل فواتها.

قَضَى وَطَرَ الصَّبَا وَأَفَادَ عِلْمًا      فَهَمَّتْهُ التَّعَبُّدُ وَالشُّكُوتُ<sup>(١)</sup>  
خَفِيفُ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ عِيَالٌ      خَلِيٌّ مِنْ حُرْمَتٍ وَمِنْ دُهِيتٍ<sup>(٢)</sup>

### السعد تارات وهبات<sup>(٣)</sup>

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاةُ بِهِمْ      وَالسَّعْدُ لَا شَكَّ تَارَاتٌ وَهَبَاتٌ<sup>(٤)</sup>  
وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ      تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتٌ<sup>(٥)</sup>  
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ      مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتٌ<sup>(٦)</sup>  
وَأَشْكُرُ فِضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلَتْ      إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتٌ<sup>(٧)</sup>

(١) وطر الصبا: مرحلة الصبا. إنه أمضى مرحلة صباه بطلب العلم، واكتساب المعرفة، ومن ثم بادر إلى الإكثار من العبادة، وعمل الخيرات تقرباً إلى الله تعالى، وغالباً ما تراه صامتاً، لأن في الصمت أحياناً عبادة.

(٢) خلي: خالي البال. لقد أراح نفسه من أعباء هذه الحياة الصاخبة، فهو لم يتزوج لينجب أطفالاً ينوء بتربيتهم وتدبير شؤونهم، لذلك فهو خليّ البال، لا يشكو من حرمان أو من كثير من المصائب التي تزخر بها الحياة.

(٣) المنهج الأحمد ١ / ٧١. الإحسان إلى الناس سبب لاستعباد قلوبهم . . . .

(٤) تارات: مفردها تارة وهي فترة، هبات: مفردها هبة. الخلق كلهم يخدم بعضهم بعضاً، وهم كذلك ما داموا على قيد الحياة، والغنى والسعد لا يكونان من نصيب الإنسان دائماً، فإن السعد يشرق مرة ويغيب أخرى.

(٥) والفاضل من الناس من يكون هدفاً لذوي الحاجات، يقصدونه فيكون الكهف الآمن لهم، يقضي لهم رغباتهم ويعينهم على تذليل العقبات التي تعترضهم.

(٦) مقتدراً: قادراً على المعروف. وأنت أيها الإنسان الكريم إياك أن تمنع يد العون عن أحد، ما دام الله تعالى قد أكرمك وجعلك قادراً على قضاء الحاجات، فإنك لا تدري هل سيدوم هذا السعد معك، أم سيتحول؟

(٧) وعلى العاقل أن يسجد لله تعالى شكراً دائماً، أن جعل حاجات الناس تقضى =

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتٌ<sup>(١)</sup>

## (٢) خلق المسلم

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ<sup>(٣)</sup>  
إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ لَأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ<sup>(٤)</sup>  
فَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ كَأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتٍ<sup>(٥)</sup>

= على يديه، ولم يجعله طالباً حلّ مشكلاته من غيره من المخلوقات، إنه فضل ومنّة عليه أن يعترف بهما.

(١) هناك كثير من الخلائق فارقوا الحياة الدنيا، ولكن ذكرهم باق على كل شفة ولسان اعترافاً بما قدّموه من معروف، وبين ظهرانينا أناس أحياء صورة، يتحركون ويظهرون بين الناس ولكنهم في الحقيقة أموات لا يُذكرون في ناد ولا محفل.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٧/٢، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٩٤/١٩، وتنسب هذه الأبيات إلى (عبد القادر بن محمد بن عمر بن حبيب الصفدي الشافعي). أخلاق المسلم؛ ذروة الأخلاق، كيف لا وهي الماثورة عن الرسول الكريم ﷺ الذي كان خلقه القرآن.

(٣) الإنسان الصالح في هذه الحياة، لا يعدم من مخالطة أناس مختلفين في المشارب، فمنهم الصالح ومنهم غير ذلك. والفرد الذي يجعل العفو شعاره، وترك الحقد ديدنه، هو الذي يعيش رخيّ البال، قلما يعاديه إنسان في حياته.

(٤) وهو زيادة في تعميق هذا الخلق الرفيع يُحْيِي عَدُوّه إذا رآه، وكأنه صديق حميم، يفعل ذلك اتقاءً لشره، وليدراً عن نفسه العداء، بتحية يرسلها إليه.

(٥) أظهر البشر: أظهر السرور بلقائه. فأنا أظهر البشر، وأعلن المودة، للإنسان الذي قد يكون مبغضاً إليّ، وذلك إمعاناً في هذا الخلق الذي عزمت أن أتبعه، ويظهر ذلك وكأنه صادر من قلب مفعم بالحب.

النَّاسَ دَاءً وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ      وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ<sup>(١)</sup>  
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِنْ خِلٍّ يَخَالِطُنِي      فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْعَدَاوَاتِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيهِ      فِي جَسَمٍ حَقْدٍ وَثُوبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ<sup>(٣)</sup>

### الأخوة<sup>(٤)</sup>

أَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي      وَكُلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي<sup>(٥)</sup>

- (١) المودات : مفردها مودة وهي المحبة . بعض الناس - وهذه حقيقة لا تنكر - داء للآخرين ، بمعنى أنهم يسلكون مع بني جنسهم سلوك السوء الذي هو أشد فتكاً من بعض الأدوية ، لذلك فإن مخالطتهم خطيرة ، وفي الوقت نفسه . إن اعتزالهم قطع للصلات بين البشر ، فعلى الإنسان أن يسلك سبيل الحكمة في المخالطة والاعتزال .
- (٢) خل : صديق صاحب . والفرد لا يسلم من أقرب الناس مودة له ، فقد تظهر منه بعض الهفوات والتجاوزات ، فكيف الحال مع أناس يبغضونك ، ويناصبونك العداء جهاراً وعلانية ؟!
- (٣) فالحازم الذي يملك أمر نفسه ، يلقي عدوه وبغضه وهو عارف بما يحمله له في صدره من عداوة وبغضاء ، ومع هذا فإنه لا يظهر له إلا بثوب المودة والإخاء ، وذلك هو خلق المسلم .
- (٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٩/٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٦ ، وتوالي التأسيس ٧٤ ، ونسبت الأبيات لأبي العتاهية ، انظر ديوان أبي العتاهية بتحقيق المرحوم الدكتور شكري فيصل ص ٥٩ .
- (٥) غضيض الطرف : غضَّ الطرف : صرفه وأغمضه . العثرات : العيوب . الإخوان في الدنيا كثر ، غير أنني أحبّ منهم من كان بيني وبينه تواصل وتوافق في الطباع والآراء ، وكذلك أرغب فيمن يتجاوز عن أخطائي ، ولا يحصي عليّ العثرات والهفوات .

يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مَعَ الْحَسَنَاتِ<sup>(٢)</sup>  
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ الْإِخْوَانِ غَيْرِ ثِقَاتِي<sup>(٣)</sup>

#### إحدى المصيبات<sup>(٤)</sup>

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفَرَّقُهُ عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ<sup>(٥)</sup>  
إِنَّ اعْتِدَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ<sup>(٦)</sup>

#### خلق الرجل<sup>(٧)</sup>

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُزْلِفَتْ بَنَا أَهْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَّتِ<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) أكون وإياه متفقان في الأمور التي نريدها أو نبغي تنفيذها، فهو الذي يحفظ الود ويحفظني ويدفع عني الأذى في حياتي وبعد مماتي .
- (٢) ولكن كيف أعثر على من قد وصفته، إني إذا عثرت عليه، فلن أتردد في مقاسمته إياه مالي وحسناتي التي هي ذخري في الآخرة .
- (٣) تذكرت إخواني، وأعدت تقويمهم، فلم أجد - ويا للأسف - إلا القليل ممن هم أهل للثقة وحسن الصحبة .
- (٤) مناقب الشافعي للفخر الرزاي ٢٠٣، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٩/١، وبهجة المجالس ٤٨٦/١ ولكنه أشار إلى أنه تمثل بهما .
- (٥) ليتني أملك مالاً فأقسمه على أولئك المقلين من أهل المروءات، فأبادرهم بسد حاجاتهم قبل أن يسألوها .
- (٦) إن من أكبر المصائب لديّ، عندما يأتي واحد من هؤلاء فيسألني شيئاً لا أملكه، فلا أستطيع إجابة سؤاله .
- (٧) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ٢٧٧، وقال بعض أهل العربية وهذا الشعر لطفي الغنوي، حلية الأولياء ١٥٣/٩، والانتقاء ٨٧ .
- (٨) أسأل الله الكريم أن يجزي جعفرًا خير الجزاء، لما قدمه لي ولأهلي عندما ضاقت بنا السبل وعبست في وجهنا الأيام .



أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا      تُلَاقِي الَّذِي يَلْقُونَ مِنَّا لَمَلَّتِ<sup>(١)</sup>  
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَالْجَوُّوَا      إِلَى حُجْرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَلَّتِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا      وَتَنْجَلِي الْعَمَاءِ عَمَّا تَجَلَّتِ<sup>(٣)</sup>  
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا لِسُلْمَى وَأَهْلِهَا      عَبِيداً وَمَلَّتْنَا الْبِلَادُ وَمَلَّتِ<sup>(٤)</sup>

### آل الرَّسُول ﷺ<sup>(٥)</sup>

آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي      وَهُمْ إِلَيهِ وَسِيلَتِي<sup>(٦)</sup>  
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَدَاً      بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي<sup>(٧)</sup>

\* \* \*

(١) إنهم لم يملونا بل تحمّلوا أعباءنا بصبر وكرم، ولو أننا كنا في ضيافة أمهاتنا، لملت منا، ولكنهم لم يفعلوا.

(٢) لقد جعلونا معهم ومنهم أسرة واحدة، وأسكنونا حجراتٍ تنعم بالدفء شتاء وبالظلال صيفاً.

(٣) أكرمونا غاية الإكرام، وقالوا لنا: اسكنوا في دورنا وتمتعوا فيها، حتى تطمئنوا إلى أمركم، وتنكشف عنكم هذه الغمة التي ألمت بكم.

(٤) لقد أكرمنا بعد أن أصابنا الذل والهوان من سلمى وأهلها، وأصبحنا عبثاً ثقيلاً على كل بلد نزلنا به.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٩/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٥١.

(٦) أهل بيت النبي ﷺ هم واسطتي لكل خير أرتجيه من ربي الكريم، ومحبتهم من أعظم القربات إليه تعالى.

(٧) إنني بهذه المحبة والمودة أرجو خالقي تعالى، أن يجعلني من الذين يؤتُون كتابهم بيمينهم وذلك هو الفوز العظيم.

## قافية الجيم

### فرج الله قريب<sup>(١)</sup>

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى      ذَرَعاً وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ<sup>(٢)</sup>  
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا      فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ<sup>(٣)</sup>

### ما أقرب الفرجا<sup>(٤)</sup>

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا      مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا<sup>(٥)</sup>  
مَنْ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى      وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا<sup>(٦)</sup>

(١) روي أن هذين البيتين (لإبراهيم بن العباس) كما حدّث الصولي عن العباس بن محمد .

(٢) مصائب الدنيا ونوازلها كثيرة، ولَرُبَّ إنسان يصاب بواحدة منها، فيضيق بها ذرعاً، ويظن ألا انكشاف لها، وإذا بالخالق الرحيم قد جعل لها مخرجاً سهلاً .

(٣) تتابعت هذه المصائب، واستحكمت حلقاتها واشتدت، حتى إنني ظننت ألا مخرج منها، وإذا بها تُحَلُّ عقدها، بعد أن كنت أظن ألا اعتناق منها .

(٤) طبقات الشافعية، ونسب البيتان للربيع بن سليمان بن عبد الجبار المتوفى سنة ٢٠٧هـ .

(٥) ما رزق الإنسان شيئاً أفضل من الصبر، والصبر الجميل البعيد عن التذمر والشكوى ومراقبة المولى تعالى والتضرع إليه، يفتح له باب النجاة .

(٦) من كان صادقاً في تعامله مع خالقه الكريم، لم ينله شيء من الأذى، ومن كان يرحوه سرّاً وعلانية، فسوف ينال منه ما يرحوه ويؤمله لا محالة .

## قافية الحاء

### القضاء غالب<sup>(١)</sup>

الْهَمُّ فَضَلٌ وَالْقَضَا غَالِبٌ      وَكَائِنْ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ<sup>(٢)</sup>  
 أَنْتَظِرُ الرُّوحَ وَأَسْبَابَهُ      آيَسَ مَا كُنْتُ مِنَ الرُّوحِ<sup>(٣)</sup>

### الصَّمْتُ شَرَفٌ<sup>(٤)</sup>

قَالُوا سَكَتٌ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ      إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ<sup>(٥)</sup>  
 وَالصَّمْتُ عَنِ جَاهِلٍ أَوْ أَحَقَّ شَرَفٌ      وَفِيهِ أَيْضاً لَصَوْنُ الْعِرْضِ إِصْلَاحُ<sup>(٦)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٨/٢ .

(٢) الهم الذي يعتري الإنسان عندما تصيبه مصيبة ، هذا الهم هو زيادة في الكرب لأن القضاء هو النافذ وكل ما قُدِّرَ للمخلوق سوف يلقاه .

(٣) لذلك فانتظر السكينة والراحة ، وفتش عن أسبابها ، ودع ما كنت فيه من الراحة والأمل لأن الذي قُدِّرَ سوف يكون .

(٤) نتيجة الأفكار ٧ .

(٥) عندما خوصمت من أحد السفهاء ، قيل لي لقد سكت ، ولم تردّ عليه بما يستحق من الكلام ، فأجبتهم : إن الإجابة في مثل هذا المقام مفتاح لباب الشر ، ومدعاة لزيادة الخصام .

(٦) إن صمتي عن الجاهل حين يتناول عليّ ، وعن الأحقق الغبي الذي لا يعي ما يقول ، إن صمتي آنذاك شرف لي ، وهو يصون عرضي من أن يقدح .

أَمَا تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ وَالْكَلْبُ يُخْشَى لَعْمَرِي وَهُوَ نَبَّاحٌ<sup>(١)</sup>

### الفقيه والصوفي

فَفِيهَا وَصُوفِيًّا فَكُنْ لَيْسَ وَاحِدًا فَإِنِّي وَحَقَّ اللَّهُ إِيَّاكَ أَنْصَحُ<sup>(٢)</sup>  
فَذَلِكَ قَاسٍ لَمْ يَذُقْ قَلْبُهُ نُقَى وَهَذَا جَهْلٌ كَيْفَ ذُو الْجَهْلِ يُصْلِحُ<sup>(٣)</sup>

### المفتي المكي<sup>(٤)</sup>

حدث الربيع بن سليمان قال : كنت عند الشافعي رضي الله عنه إذ جاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها ، فمضى الرجل إلى باب المسجد ، قلت : والله لا تفوتني فتيا الشافعي فأخذت الرقعة من يده فإذا فيها :  
سَلِّ الْمَفْتِيَ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَضَمَّةٍ مُشْتَاكِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ

(١) أَلست ترى المهابة التي يُلقِيها أُسْدٌ صامت في قلوب الناظرين إليه ، وما تلاحظ خسة الكلب الذي لا يفتأ يعوي وينبح ، شتان بينهما ، وفي هذا عبرة .

(٢) يرى الإمام ألا تكون فقيهاً فقط أو صوفياً فقط ، فهو ينصح سامعه ألا يسلك طريق واحد منهما منفرداً ، بل عليه الجمع بينهما ، وأن لا يُهمل مسلكاً على حساب الآخر .

(٣) لأن الأول في نظره يقسو في أحكامه ولا يتهاون ، ولأن قلبه بعيد عن المحبة والخوف والرجاء ، والآخر جهول ، لم يبلغ درجة العلماء في معرفة الأحكام التفصيلية للشريعة ، فكيف تأخذ النصيحة منه .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٤/٢ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٣٠٥/١٧ ، وحلية الأولياء ١٥٠/٩ - ١٥١ ، وطبقات الشافعية للسبكي .

وقال صاحب المختار من شعر بشار ٤٨ أبو طاهر إسماعيل بن أحمد التجيبي : وأنا أرتاب بهذه الحكاية عن الشافعي على كثرة إسنادها إليه وتعليقها به .

فوجدت الشافعي قد وقع وأجابه بقوله :

أَقُولُ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التَّقَى تَلَاَصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ، فقال لي : يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر (يعني شهر رمضان) وهو حدث السن ، فسأل : هل عليه جناح أن يُقْبَلَ أو يَضْمَ من غير وطء؟ فأفتيته بهذا .

قال الربيع : فتتبع الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي ، فما رأيت فراسة أحسن منها رضي الله تعالى عنه .



## قافية الدال

### التفويض لله تعالى<sup>(١)</sup>

<p>إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي وَلَا تُخْطِرُ هُمُومَ غَدٍ بِيَالِي أَسْلَمْتُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا وَمَا لِإِرَادَتِي وَجْهٌ إِذَا مَا</p>	<p>فَحَلَّ اللَّهُ عَنِّي يَا سَعِيدُ<sup>(٢)</sup> فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ<sup>(٣)</sup> وَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ<sup>(٤)</sup> أَرَادَ اللَّهُ لِي مَا لَا أُرِيدُ<sup>(٥)</sup></p>
---	--

(١) آداب الشافعي ومناقبه للرازي/ ١٠٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتوالي التأسيس للحافظ ابن حجر العسقلاني . من توكل على الله تعالى كفاه أمر آخرته ودنياه .

(٢) إذا أصبح الإنسان وقد منّ الله تعالى عليه بقوت يومه ، فقد انتفى عنه الهم ، لأن المولى تعالى الذي كفل للعباد رزقهم ؛ قد كفاه ذلك فليس للهم عنده من سبيل .

(٣) أما الغد فلا يعلم أحد ما سيأتي به ، فهو من المغيبات التي اختصّ بها المولى تعالى ، لذلك فإن التفكير في هموم الغد ليس من طبيعة المؤمن ، فإن المستقبل كله بيده تعالى ، وهو الذي كفل للمخلوقات كلها أرزاقها .

(٤) وإذا حدثت أمور ، أو جدّت أحداث فإنني أفوض الأمر فيها لله تعالى ، وأترك كل مالا تنشرح له نفسي ، لأن إرادتي تابعة لإرادته تعالى ، فلا أريد إلا ما يريد .

(٥) وهل لإرادتي من أثر ، إذا عزمت أمراً ، أو فكرت في شيء لم يردّه الله تعالى كلاً إنني لا أجرؤ على هذا ، فأنا عبد أَرْضَى بما يقدره الله تعالى .

## الموت سبيل كل حي<sup>(١)</sup>

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتَ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا وَكَأَنَّ قَدْ<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ عَلمُوا لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ لَئِنْ مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَيَّ بِمُخْلَدٍ<sup>(٤)</sup>

## أخلاق البشر<sup>(٥)</sup>

لَيْتَ الْكِلَابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَلَيْتَنَا لَمْ نَرِ مِمَّا نَرَى أَحَدًا<sup>(٦)</sup>  
إِنَّ الْكِلَابَ لَتَهْدَى فِي مَوَاطِنِهَا وَالْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدًا<sup>(٧)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٣/٢، ومناقب الشافعي للرازي ١١٥، حلية الأولياء ١٥١/٩ وقد وردت هذه الأبيات في ديوان عبيد بن الأبرص ص ٦٨.

(٢) وهل هناك حيٌّ ينجو من الموت؟ لقد تمنى رجال من بني قومي، تمنوا لي الموت، وما علموا أنني إذا متُّ، فتلك نهاية كل مخلوق، ولست الوحيد الذي سيلقها.

(٣) أبلغ كل من يدعي خلاف ما أقول، وهى نفسك لمثل ذلك، ولا تظن أن الغاية بعيدة، واعتقد جازماً وكأنها قد وقعت.

(٤) إن هؤلاء الأشخاص، قد علموا هذه الحقيقة، ولكن علمهم لم ينفعهم، فإني إذا قُدر عليّ الموت، فهل هم الخالدون؟!.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٣/٢، ومناقب الشافعي للرازي ١١٤، حلية الأولياء ١٤٩/٩.

(٦) الخلق متفاوتون، فمنهم من يجاري مرتبة الملائكة، ومنهم من ينحدر إلى مرتبة الشياطين، فالإمام يتمنى مجاورة الكلاب، ولا يرى أحداً من أولئك الذين أشبهوا الشياطين في أخلاقهم.

(٧) تهدى: تهدأ. والسبب أن هذه الكلاب عندما تكون في مراتبها، تتصف بالهدوء وتقنع بما هي فيه، أما أولئك فإنهم لا يعرفون للهدوء سبيلاً، فهم في هياج دائم.

فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا تَلْفَى سَعِيداً إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِداً<sup>(١)</sup>

## الحسد<sup>(٢)</sup>

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ<sup>(٣)</sup>

## محن الزَّمان<sup>(٤)</sup>

مَحَنُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ لَا تَنْقُضِي وَسُرُورُهُ يَأْتِيكَ كَالْأَعْيَادِ<sup>(٥)</sup>

مَلِكُ الْأَكَابِرِ فَاسْتَرْقِ رِقَابَهُمْ وَتَرَاهُ رِقَافاً فِي يَدِ الْأَوْغَادِ<sup>(٦)</sup>

## فوائد الأسفار<sup>(٧)</sup>

تَغْرَبَ عَنِ الْأوطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَسَافِرٌ فَقِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ<sup>(٨)</sup>

(١) وإذا كان الأمر كذلك، فانطلق بنفسك إلى مكان تنعم فيه بالوحدة والسكينة، لأن الوحدة والابتعاد عن مثل هؤلاء، تجلب السعادة والحبور.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٤ / ٢، ومناقب الشافعي للرزاي ١١٥.

(٣) مهما تنوعت العداوة بينك وبين بعض الناس، فإن الصلح ممكن، والمودة قد تعود، أما ذلك الشخص الذي يعاديك حسداً منه على نعمة أنعمها الله تعالى عليك، هذا الإنسان لا ترجى مودته.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٩١ / ٢.

(٥) مصائب الدهر ومحنه تأتيك تباعاً وربما استمرت شهوراً. أما الدعة والسرور فهما زائران خفيفان كالأعياد التي تمر مرة في السنة.

(٦) الوجد: الدنيء والساقط من الناس. هذه المحن والخطوب ملكت رقاب أكابر الناس، فجعلتهم كالأرقاء، لا يعرفون كيف يجدون لأموالهم مخرجاً، وهي في الوقت نفسه منقادة لبعض الأذنياء من بني البشر.

(٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢٦ / ٢، ونسبت الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، انظر الديوان المنسوب إليه ص ٤١. اغترب تتجدد؛ مقالة قيلت قديماً...

(٨) علو الهمة من الإيمان، وإن المرء مطالب بتوفير عيش كريم له ولمن يعوله، =



تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدٍ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِجَنَّةٌ وَقَطْعُ الْفَيَافِي وَارْتِكَابُ الشَّدَائِدِ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدٍ<sup>(٣)</sup>  
 تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup>

يُرِيدُ الْمَرءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَا<sup>(٥)</sup>

= فإن كان في البلد الذي يقيم فيه ضيق وعسر، فما عليه إلا أن يلتمس طريق  
 الاغتراب، الذي ينأى به عن وطنه، ففي الاغتراب تحقيق بعض الآمال،  
 وفيه فوائد خمس .

(١) الماجد: الرجل الكريم ذو الخلق الطيب . فالبعد عن الوطن والأهل أحياناً،  
 تفريج همٍّ لزم صاحبه، ففي تغيير المقام شعور بالراحة، وفيه أيضاً كسب  
 عيش كريم، يبعد شبح الفاقة والعوز . والسفر - في كثير من الأحيان - سبب  
 لاكتساب المعارف والعلوم، ناهيك عن صحبة أناس أماجد فضلاء يكونون  
 عوناً في الشدة وأنساً في الرخاء .

(٢) ومن الناس من يقول: إن السفر والاغتراب مدعاة للذل والبعد عن الأهل  
 والأصحاب، وإنه - أي الاغتراب - مشقة وقطع للمسافات الطويلة،  
 وتجشم لوعثاء التنقل، ومواجهة ضروب من الشدائد والمصاعب .

(٣) فالجواب الفصل عند ذلك هو أن موت الإنسان خير له من الإقامة في دار  
 يُسَامُ فيها الذل والهوان، وإن الغربة خير ألف مرة من العيش بين معشر  
 حاسدين، ووشاة لا يرعون فيمن يعيش بين ظهرائهم إلا ولا ذمة .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٠/٢، وحلية الأولياء ١٥١/٩، وحدث  
 محمد بن إبراهيم حدثنا يوسف بن عبد الأحد قال: قلت للزماني: كان  
 الشافعي يتروح بيتين من الشعر ما هما؟ فأشدني: يريد المرء أن يعطى  
 مناه... الخ .

(٥) كل امرئ يتمنى أن يدرك ما يبتغيه في هذه الحياة دون إبطاء، ولكن إرادة الله =

يَقُولُ الْمَرءُ فَايَّدَتِي وَمَالِي وَتَقَوَى اللَّهُ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا<sup>(١)</sup>

### هكذا دهري

وَلَمَّا أَتَيْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ عَنْدهُمْ<sup>(٢)</sup> أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ ابْتِلَاءِ الشَّدَائِدِ  
تَقَلَّبْتُ فِي دَهْرِي رَحَاءً وَشِدَّةً<sup>(٣)</sup> وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ  
فَلَمْ أَرْ فِيهَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ<sup>(٤)</sup> وَلَمْ أَرْ فِيهَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ<sup>(٥)</sup>

### الموت يطلبه<sup>(٥)</sup>

وَمُتَّعَبُ الْعَيْشِ مُرْتَاخٌ إِلَى بَلَدٍ<sup>(٦)</sup> وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ  
وَضَاحِكٌ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ<sup>(٧)</sup> لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدٍ<sup>(٨)</sup>

= سبحانه هي النافذة فعلاً وتسير وفق ما خطط لها .

(١) يصيح المرء بملء فيه : أين مالي ؟ أين الفوائد التي أرغب فيها ؟ ولكنه - لجهله - لا يعلم أن تقوى الله تعالى ورضاه هما الكنز الذي سيدخره ليوم آتيه لا محالة .

(٢) أردت أن أختبر الناس ، فطلبت منهم أخاً يكون عوناً لي عندما تغزوني الشدائد بلا رحمة ، وأضع فيه ثقتي فيحفظها ويرعاها .

(٣) لقد ذقت في حياتي الحلو والمر ، وتقلبت في دهرى بين الشدة والرخاء ، وعندما ناديت فيمن أجاورهم : هل من مساعدٍ يمد لي يده فينقذني مما أنا فيه ؟ .

(٤) لكنني لم أجد - ويا أسفي - لما أصابني إلا شامتاً سرّه ما أصابني ، ولم أجد فيما سرّني من أحداث ، إلا حاسداً يتمنى زوال النعمة عني .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٦/٢ ، ومناقب الشافعي للرازي ١١٨ ، والعمدة ٤٠/١ .

(٦) قل لهذا الذي يُتعب رواحله ، قاصداً بلداً يظن أن فيه راحة له ، وهو لا يدري أن حنقه ينتظره في ذاك البلد الذي يسعى إليه طلباً للراحة .

(٧) الكمد: الغم والحزن . أخبر هذا الإنسان الذي يضحك بملء شديقه ، =

مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْماً فِي بَقَاءِ غَدٍ      ماذا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقٍ بَعْدَ غَدٍ؟<sup>(١)</sup>

### البرُّ في غير كنهه<sup>(٢)</sup>

أَتَانِي عُذْرٌ مِنْكَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      كَأَنَّكَ عَنْ بَرِّي بِذَاكَ تَحِيدُ<sup>(٣)</sup>  
لِسَانُكَ هَشٌّ بِالنَّوَالِ وَلَا أَرَى      يَمِينُكَ إِنْ جَادَ اللِّسَانُ تَجُودُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا كَانَ ذُو قُرْبَى لَدَيْكَ مُبْعِداً      وَنَالَ النَّدَى مَنْ كَانَ مِنْكَ بَعِيدُ<sup>(٥)</sup>  
تَفَرَّقَ عَنْكَ الْأَقْرَبُونَ لَشَأْنِهِمْ      وَأَشْفَقْتُ أَنْ تَبْقَى وَأَنْتَ وَحِيدُ<sup>(٦)</sup>

= والمنايا جائمة من فوقه، لو كان هذا المسكين يعلم شيئاً مما هو مُغَيَّبٌ له لمات غمّاً وحزناً.

(١) إن هذا المخلوق الضعيف إذا كان لا يعرف ما سيأتي به الغد من أمور، فلم يشغل فكره ويسهر الليل متفكراً في رزق بعد غده من الأيام؟! .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٧/٢، ومناقب الشافعي للرازي ١١٦ . ذو الفضل الذي لا يبرُّ ذوي قرباه، يُسْتَغْنَى عنه ويذمّ.

(٣) البر: الود والحب . تحيد: تميل وتنحرف . من الناس من يظهر لك الحب، ويُسمعك كلاماً معسولاً، لكن ذلك لا يعدو أن يكون رياءً، وكأنه بهذه التصرفات يبعد وينحرف عن البر الحقيقي الذي يجب أن يبذل لذوي القربى .

(٤) اللسان ينثر الكلام والأقوال يميناً ويساراً وبسبب وبلا سبب، أما إذا تعدى الأمر إلى بذل العطاء والمال، مما يفرّج ويسد الخلة؛ فهو عن ذاك بعيد بُعد الأرض عن السماء .

(٥) أيها العاقل! ليكن ودك وصلاتك متلاحقة لذوي قرابتك، فهم أحق من غيرهم، لأن نداك وإحسانك إليهم، يجعلهم حصناً لك، وظلاً ظليلاً تنفياً ظلاله متى شئت .

(٦) أما الإحسان والمعروف إلى الأبعد من الناس، بصرف النظر عن الغاية البعيدة التي تتأملها، وإهمالك الأدين، فذلك الذي يفرقهم عنك، =

وَأَصْبَحْتَ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالذَّمِّ وَاقِفًا      فَيَالَيْتَ شِعْرِي أَيَّ ذَاكَ تُرِيدُ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنْ قُلْتَ: لِي بَيْتٌ وَسِيطٌ وَبَسْطَةٌ      وَأَسْلَافٌ صِدْقٍ قَدْ مَضَوْا وَجُدُودٌ<sup>(٢)</sup>  
 صَدَقْتَ، وَلَكِنْ أَنْتَ خَرَبْتَ مَا بَنَوَا      بِكَفِّكَ عَمْدًا وَابْنَاءَ جَدِيدٍ<sup>(٣)</sup>

### الرَّوَاسِي تَقَادُ بِالْحَقِّ<sup>(٤)</sup>

مَتَى مَا تَقْدُ بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ يَأْبُهُ      وَإِنْ قُدْتَ بِالْحَقِّ الرَّوَاسِي تَنْقَدُ<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ      ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدُ<sup>(٦)</sup>

= وبيعهدهم منك، ويطل عليك شبح الخوف من تركهم لك، وعندها ستشكو الوحدة التي كنت السبب في حدوثها ووجودها.

(١) وبعد هذا كله، ستبقى ماثلاً في وسط الطريق، الذي لا يوصلك إلى درجات الشكر والحمد على ما قدمته لهؤلاء الأقرباء، ولا هو في الوقت نفسه يضعك في زمرة المذمومين، فأنت مذبذب بين هاتين، فأخبرني عندها ماذا تريد؟ وأي شيء تبغي!!؟

(٢) أما إذا قلت إنني في سعة من العيش أتنعّم في بيت عريق يظلني لا أعدم فيه شيئاً من الدعة والطمأنينة ولي قرابة وجدود كانوا أعلاماً مشهورين، لكنهم مضوا وارتحلوا.

(٣) فإنك صادق في ادّعائك، وليس بمقدور أحد أن ينكره عليك، غير أنك قد أسهمت في تخريب ذلك البنيان الشامخ، وقد كان في استطاعتك المحافظة عليه جديداً قائماً.

(٤) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير. تاريخ ابن عساكر (معهد) ٢/١٠.

(٥) الرواسي: الجبال. الحقّ يستمد قوته من قوة الله تعالى، ولهذا فإنه الغالب دوماً، وإذا ما أردت أن تجعل الباطل قائداً للحق، فإن ذلك لن يستقيم مطلقاً، أما إذا جعلت الحق قائداً وأساساً، فإن الجبال الرواسي تسير وفق إرادتك.

(٦) وكذلك هي الأمور يجب أن تؤتى من مصادرها الصحيحة، وأبوابها =

## الشعر (١)

فَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي      لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَشْجَعَ فِي الْوَعْيِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ      وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيدٍ<sup>(٣)</sup>  
وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي      جَعَلْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي<sup>(٤)</sup>

## العلم للمعاد (٥)

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَعَادِ      فَازَ بِفَضْلِ مَنْ الرِّشَادِ<sup>(٦)</sup>  
فَنَالَ حُسْنًا لِطَالِبِيهِ      بِفَضْلِ نَيْلٍ مِنَ الْعِبَادِ<sup>(٧)</sup>

= الطبيعية، وإلا فإنك تخطئ الهدف، ولن تهتدي إلى الصواب.

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٦٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٩، وفيات الأعيان ٤/ ١٦٧، وصبح الأعشى ١/ ٢٧٢.

(٢) يزري: يسيء وينقص من قدرهم. إن من البيان لسحراً، والشعر من البيان الراقي إذا قيل في وجوهه الشريفة، أما إذا اتخذته الإنسان وسيلة للكسب والنفاق، فإنه يضع من قيمة صاحبه - والعلماء خاصة - ولولا ذلك لكنت أشعر من لبيد ذلك الشاعر الذي ذاع صيته في الجاهلية والإسلام.

(٣) الوعى: الحرب. ولولا أن الحروب قد تكون ظالمة أحياناً، لكنت مشاركاً فيها، وكنت الشجاع الذي يشار إليه بالبنان، ولذاع صيتي كما ذاع صيت آل المهلب وبني يزيد.

(٤) وإن خشية الإله الجبار تملأ صدري، فتجعلني وقفاً عند حدود الله تعالى، ولولا ذلك، لكنت نظرت إلى الخلائق كلهم، وكأنهم عبيد مسخرون.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٨٩، ومفتاح السعادة ١/ ٣٧.

(٦) مَنْ كَدَّ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهَدَفَهُ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، لِيَفُوزَ فِي الْآخِرَةِ بِالرِّضْوَانِ وَالْإِكْرَامِ، إِنْ مِنْ فَعَلَ هَذَا فَازَ، وَأَفْلَحَ وَسَلَكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ.

(٧) وهو في الوقت نفسه، ينال الحسن والثناء ممن يطلبون العلم، وينال فضل =

## الحُسَادُ (١)

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذُوو عَدَدٍ رَبِّ الْمَعَارِجِ لَا تُفْنِي لَهُمْ عَدَدًا (٢)  
 إِنَّ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي لِمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي مِمَّا يَجْلِبُ الْحَسَدَا (٣)  
 فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ (٤)

فَيَا عَجَبِي كَيْفَ يُعْصِي الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدٌ (٥)  
 وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدٌ (٦)  
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ نَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ (٧)

= ذلك العلم الذي ينشره بين عباد الله الصالحين .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٤/٢ ، والمستطرف ٢١٥/١ ، وقد نسبهما لنصر بن سيار .

(٢) لقد حباني الله تعالى بالعلم والمعرفة ، لذلك فقد كثر حسادي ، وازدادوا يوماً بعد يوم ، أسألك ربي ألا تفنيهم ، بل أن تمد في أعمارهم .

(٣) إنهم عندما يحسدونني لما وهبتي من العلم والفضل ؛ فإن ذلك ليس بمستغرب لأن هذه الصفات والمزايا تجلب الحسد من بعض الخلائق .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٩/٢ ، ونسبت الأبيات لأبي العتاهية كما في الأغاني ٣٥/٤ ط دار الكتب ، وانظر ديوان أبي العتاهية ١٠٤ تحقيق المرحوم د . شكري فيصل .

(٥) كل ما في الكون يدل على عظمة الخالق وجلاله ووحدانيته ، فيا عجبي كيف يعصي إنسان خالقه المتصف بهذه الصفات أم كيف يجحده؟!

(٦) إن في كل حركة أو اختلاج عرق في هذا الوجود ، شاهداً من أبرز الشواهد على عظمته ووجوده وتديره للكائنات .

(٧) وإذا قلبت الطرف في كل ما ترى حولك من موجودات ، صغيرة كانت أم كبيرة ، فإنها جميعاً تنطق بلسان واحد : إنه الإله الواحد القهار القادر على كل شيء ، فتبارك الله العظيم .

## الجود يعدي<sup>(١)</sup>

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى      وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي<sup>(٢)</sup>  
فَلَا أَنَا مِمَّا قَدْ أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى      أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَاتَّلَفْتُ مَا عِنْدِي<sup>(٣)</sup>

## راحة الحق<sup>(٤)</sup>

أَرَى رَاحَةً لِلْحَقِّ عِنْدَ قَضَائِهِ      وَيَتَّقُلُ يَوْمًا إِنْ تَرَكَتُ عَلَى عَمَدِ<sup>(٥)</sup>  
وَحَسْبُكَ حَظًّا أَنْ تُرَى غَيْرَ كَاذِبٍ      وَقَوْلُكَ لَمْ أَعْلَمْ وَذَاكَ مِنَ الْجُهْدِ<sup>(٦)</sup>  
وَمَنْ يَقْضِ حَقَّ الْجَارِ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ      وَصَاحِبِهِ الْأَدْنَى عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ<sup>(٧)</sup>

(١) حلية الأولياء ١٤٩/٩، وآداب الشافعي ومناقبه للرازي ١٤٠، ومناقب الشافعي للبيهقي ٢٨٧/١، وقد نسب الزبير بن بكار البيتين لابن الخياط.

(٢) الإنسان يتأثر بمن حوله، فإن كانوا أجواداً اقتدى بهم، وإن كانوا غير ذلك اقتضى أثرهم، إلا من عصم ربي، وقد لمست كف أحد الأغنياء الأجواد أطلب ما أغتني به، وكنت لا أدري أن الجود يعدي الناس بعضهم من بعض.

(٣) أتلفت: أنفقت حتى لم يبق عندي شيء. ولكن نصيبي كان مختلفاً إذ أنني لم أفد من صاحبي ما كنت أؤمله من الغنى ولكن جوده عداني، فأخذت أنفق حتى لم أبق مما عندي شيئاً.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٣/٢، ومعجم الأدباء ٣١٨/١٧. مقالة الحق والإذعان له، يورث طمأنينة وبرداً لا يعدلها شيء.

(٥) الإنسان السوي ذو الفطرة السليمة يشعر براحة لا توصف، عندما يرى الحق سائداً بين الناس وفي المجتمع، في أقوالهم وأفعالهم. أما تجنّب سبيل الحق فيورث الضيق والكآبة، وعدم الشعور بالرضى، وخاصة عند تركه عمداً.

(٦) يكفيك عزاً وفخراً، أن تُشتهر بين الناس بالصدق، وأنتك تعاف الكذب وتمقته، إن المولى تعالى سيعلي قدرك بين خلقه، ولا يضرّك قول (لا أعلم)، وأنت صادق قد بذلت الجهد فيما يُعرض لك.

(٧) أما حق الجار فأداؤه من علامات الإيمان الكامل، لأن من لا يأمن جاره أذاه =

يَعِشُ سَيِّدًا يَسْتَعَذِبُ النَّاسُ ذِكْرَهُ وَإِنْ نَابَهُ حَقُّ أَتَوْهُ عَلَى قَصْدٍ<sup>(١)</sup>

### حُبُّ الْوَلِيِّ<sup>(٢)</sup>

قَالُوا تَرْفَضْتَ قُلْتُ كَلَّا مَا الرَّفْضُ دِينِي وَلَا اعْتِقَادِي<sup>(٣)</sup>  
لَكِنْ تَوَلَّيْتُ غَيْرَ شَكٍّ خَيْرَ إِمَامٍ وَخَيْرَ هَادِي<sup>(٤)</sup>  
إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَلِيِّ رَفْضًا فَإِنَّ رَفْضِي إِلَى الْعِبَادِ<sup>(٥)</sup>

### عَفْوُ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٦)</sup>

إِنْ كُنْتَ تَغْدُو فِي الذُّنُوبِ جَلِيدًا وَتَخَافُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدًا<sup>(٧)</sup>

= فليس من الإيمان في شيء، وكذلك عصبتك فإن لهم حقاً عليك، وأداؤه من المروءة والواجبات، وبعد هذا أصدقاؤك وأصحابك، عليك أن ترعى حقوقهم وأن تكون وفياً معهم، سواء كانوا قريبين منك، أولم يكونوا كذلك.

(١) إن من يتخلق بهذه الأخلاق، ويتحلى بهذه الصفات يعيش مكرماً بين الناس، تلهج الألسن بذكره ويستعذب الناس سيرته، وهم عون له أبداً، فما بالك إن وقع في ضيق، أو أضحى في عسر؟.

(٢) نور الأبصار: ١٣٧.

(٣) رأي بعضهم أميل لإمام من أهل البيت فقال لي: أترفضت؟ أجبت: لا، إن الرفض ليس من ديني الذي أعنتقه، ولا من معتقداتي التي أؤمن بها.

(٤) لكنني أحببت وتوليت إماماً فاضلاً هادياً كريماً، فمَحَضَّتْهُ الْحُبُّ وَالْوَدَادُ.

(٥) فإذا كان حب الأئمة المخلصين والولاء الصالحين رفضاً، فإني لا أرفض ذلك، إنما أرفض حب العباد الذين ليسوا من عباد الله المخلصين.

(٦) نور الأبصار ٢٣٨، وأحسن القصص ٤/ ١٠٣.

(٧) أيها الإنسان إن كنت صابراً على المعاصي، وتخاف من الوعيد الذي توعد به الله سبحانه العصاة من المذنبين.



فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهِمِّينَ عَفْوُهُ      وَأَفَاضَ مِنْ نِعَمٍ عَلَيْكَ مَزِيدَا<sup>(١)</sup>  
 لَا تَيَاسَسَنَّ مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ فِي الْحَشَا      فِي بَطْنِ أُمِّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدَا<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ شَاءَ أَنْ تَصْلَى جَهَنَّمَ خَالِدًا      مَا كَانَ أَلْهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدَا<sup>(٣)</sup>  
 غدر الأخلاء<sup>(٤)</sup>

إِنِّي صَحِبْتُ أَنْاسًا مَا لَهُمْ عَدَدُ      وَكُنْتُ أَحْسِبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي<sup>(٥)</sup>  
 لَمَّا بَلَوتُ أَخِلَائِي وَجَدْتُهُمْ      كَالذَّهْرِ فِي الْغَدْرِ لَمْ يَقُوعَا عَلَى أَحَدٍ<sup>(٦)</sup>  
 إِنْ غَبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتُمُنِي      وَإِنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَعُدْ<sup>(٧)</sup>

(١) أبشر فلقد أتاك من مدبر السموات والأرضين عفو يغمرك، وأفاض عليك من نعمه التي لا تحصى .

(٢) إياك واليأس من رحمة الله تعالى، فهو الذي رعاك بعنايته مذ كنت مضغة في بطن أمك وبعد أن ظهرت إلى الدنيا لا تملك من أسباب القوة والحياة شيئاً .

(٣) إن الله تعالى رحيم بعباده، وإن رحمته فوق التصور ولو أنه أراد أن يعذب عباده ما كان ألهمهم أن يوحده، وأن يستغفروا الذنوبهم .

(٤) الأخلاء: مفردها خل وهو الصاحب . سأل أحدهم الناس عن خلٍّ وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل . . .

(٥) وهكذا يبدو الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، في هذه الأبيات يعرض تجربته في حياته التي كثر فيها الأصحاب والخلطاء، كانوا كثيراً وكان يظن أنهم قد ملؤوا عليه حياته . .

(٦) ولكن الاختبار قد فرزهم، وأظهر له حقيقة مرة كادت أن تصدمه وتفقد توازنه، وهي أن هذه الكثرة من الأخلاء هم غناء كغناء السيل لا يغني ولا يفيد، فهم يشبهون الأيام التي تمر بنا، فهي تبطش غير عابئة بشيء، وتمضي فلا تبقي على أحد .

(٧) آية ذلك أنك إن غبت عنهم، فشرارهم يأكلون لحملك، ويشتمونك بأقذع الشتائم، أما إذا أصبت بمرض، فإن أفضلهم لا يُجشِّمُ نفسه عناء زيارتك، فما بالك بمن دون ذلك .

وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَ لَهُمْ فَرَحِي وَإِنْ رَأَوْنِي بِشَرٍّ سَرَّهُمْ نَكْدِي<sup>(١)</sup>

### يوم دعاء<sup>(٢)</sup>

قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته، قال الشيخ: كان الشافعي - رحمه الله تعالى - يوماً من أيام الحج جالساً للنظر، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها:

عفا الله عن عبد أعان بدعوة خليلين كأننا دائمين على الود  
إلى أن مشى واشي الهوى بنيمة إلى ذاك من هذا فزالا عن العهد

قال: فبكى الشافعي - رحمه الله تعالى - وقال: ليس هذا يوم نظر؛ هذا يوم دعاء، ولم يزل يقول: اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ، حتى تفرق أصحابه.

قال ابن قضيبة البان في كتابه حل العقال: قال الشافعي رضي الله عنه: ثم ذكر أن هذه الأبيات مجربة في صرف الآفات:

يَا مَنْ تُحَلُّ بِذِكْرِهِ عَقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَائِدُ<sup>(٣)</sup>  
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدُ<sup>(٤)</sup>  
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا صَمَدٌ تَنْزَرُهُ عَنْ مُضَادِّ<sup>(٥)</sup>

(١) فإن أتتني حسنة تسوهم، وإن أصابتنى مصيبة طاروا بها فرحاً وسرهم ما حلَّ بي.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٩/٢ ومعجم الأدباء لياقوت ٣٠٦/١٧.

(٣) أَمِنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ؟ إِلَهِي! يَا مَنْ إِذَا ذَكَرْتَهُ سَهَّلْتَ الْأُمُورَ مَهْمَا عَظُمَتْ وَادْلَهَمَّتْ، وَلَا يَبْقَى لِلْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ أَثَرٌ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ.

(٤) إِلَيْكَ أَشْكُو مَا يُؤْرِقُنِي، وَيُنْغِصُ عَيْشِي، إِذْ إِنَّنِي أَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ، أَنْ أَمْرَ الْخَلْقِ جَمِيعُهُمْ عَائِدٌ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

(٥) أَنْتَ الْحَيُّ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَزُولُ، وَأَنْتَ الَّذِي تَقِيمُ أَمْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، =

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَادِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>  
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا بُلِيَتْ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ<sup>(٢)</sup>  
 أَنْتَ الْمَنْزُوعُ يَا بَدِيدُ عَنِ الْخَلْقِ عَنْ وَلَدٍ وَوَالِدٍ<sup>(٣)</sup>  
 أَنْتَ الْمُعْرِضُ لِمَنْ أَطَاعَكَ وَالْمُذِلُّ لِكُلِّ جَا حِدٍ<sup>(٤)</sup>  
 إِنِّي دَعَوْتُكَ وَالْهَمُومُ مُجِيوشُهَا قَلْبِي تُطَارِدُ<sup>(٥)</sup>  
 فَرَجٌ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ<sup>(٦)</sup>  
 فَخَفِي لُطْفَكَ يُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدِ<sup>(٧)</sup>

- = فلا يظهر فيها خلل أو اضطراب ، أنت المقصود من الخلائق جميعاً ، لا مدبر سواك ، ليس كمثلك شيء ، وأنت المنزه عن الشبيه والنظير .
- (١) أنت الذي ترقب عبادك جميعاً ، فلا يغيب عنك شيء من أمرهم ، عظم ذلك أو صغر ، أنت واحد في ملكك لا ينازعك فيه أحد .
- (٢) أيها العليم بحال عبادك أجمعين ، أنت الذي تخلق كل شيء يتعرض له العباد من خير أو شر ، ولا يغيب عنك شيء مما يحدث في هذا الوجود .
- (٣) إنك المنزه عن كل نقص ، والكمال كله لك ، يا من خلقت السموات والأرض وما بينهما على غير مثال سابق ، فأنت الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .
- (٤) وإن معاهد العزّ بيدك ، تسبغها على من أطاعك من عبادك المخلصين ، كما أن أسباب الذل أعددتها لكل جاحد كفور بنعمك وآلائك .
- (٥) فأنا أدعوك بكل ذل وتضرع ، والهموم قد غشيتني ، وغزت جيوشها قلبي وكياني ، وصارت تطاردني أينما توجهت .
- (٦) إلهي أدعوك مسترحماً أن تذهب عني هذه الهموم ، فإنك القادر وحدك على تفريج كربتي ، وأنت أهل المنّ والعوائد الحسنى ، وإليك الفضل كله .
- (٧) إن مصائب الدنيا ، وكرب الزمان الممعة في العناد ، لا يُستعان عليها إلا بنفحة من لطافك التي وسعت كل شيء .

والمُسَهِّلُ والمُسَاعِدُ <sup>(١)</sup>	أَنْتَ الْمَيَّسِّرُ والمُسَيِّبُ
بِأَيِّ إِلَهِي لَا تُبَاعِدُ <sup>(٢)</sup>	يَسِّرْ لَنَا فَرَجاً قَرِيباً
كُنْ رَاحِمِي فَلَقَدْ أَيْسَرُ <sup>(٣)</sup>	كُنْ رَاحِمِي فَلَقَدْ أَيْسَرُ
وَالهِ مَا خَرَّ سَاجِداً <sup>(٤)</sup>	ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ

\* \* \*

- 
- (١) فأنت الذي بيدك مقاليد اليسر، وأنت الذي تخلق الأسباب وتهيئها، وتسهل كل عسير فيغدو ميسراً ممكناً بعد أن كان عسيراً.
- (٢) إلهي! نتضرع إليك بضعفنا وذلنا، أن تيسر لنا مما نحن فيه فرجاً قريباً لا بعيداً، فالإنسان جزوع، وعلى الشدائد غير صبور.
- (٣) ارحمني يا أرحم الراحمين، فلقد قطعت الأمل من كل مخلوق، القريب والبعيد، القوي والضعيف، ولا أمل لي إلا بفرج قريب من جنابك.
- (٤) وأختم تضرعي ودعائي إليك، يا إلهي الرحيم، سائلاً أن تصلي على نبيك الذي بعثته رحمة للعالمين، ما بقي فردٌ من المؤمنين ساجد لعظمتك.

## قافية الراء

### ابتلاء<sup>(١)</sup>

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَرْمِينَنِي      بِالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَهُنَّ صَرِيرُ<sup>(٢)</sup>  
 إبليسُ والدُّنيا ونَفْسِي والهَوَى      أَتَى يَفِرُّ مِنَ الهَوَى نَحْرِيرُ<sup>(٣)</sup>

### جنان الخلد<sup>(٤)</sup>

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا      يُمَسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارَا<sup>(٥)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٩/٢.

(٢) صرير: صوت. الدنيا دار ابتلاء وكل امرئ يمتحن، وفي الدنيا أربعة أشياء تقف للعبد بالمرصاد، وكلما رأت منه غفلة رمته بواحدة من هذه الأشياء، وهي ترمي بها عن قوس له صوت صارخ.

(٣) نحرير: العالم المتقن. وهذه الأشياء: إبليس الذي يزين كل معصية، والدنيا التي تغر وتضر وتمر، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى الذي يُلقي بصاحبه في أودية الضياع والحرمان، فكيف للعالم التقى أن ينجو من هؤلاء الأربع؟!

(٤) نور الأبصار ٢٣٦، وتنسب الأبيات إلى عبد الله بن المبارك، انظر سمير المؤمنين ٢٧.

(٥) أيها الإنسان الذي تعانق الدنيا، وأنت تعلم أن لا بقاء لها، تمسي وتصبح على سفر من مكان إلى آخر طلباً لعرض من عروضها الفانية.

هَلَّا تَرَكْتَ لِذِي الدُّنْيَا مُعَانَقَةً حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَاراً<sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمِنَ النَّارَ<sup>(٢)</sup>

### أَمْطِرِي لَوْلُؤاً<sup>(٣)</sup>

أَمْطِرِي لَوْلُؤاً جِبَالَ سَرَنْدِيدٍ — سَبَّ وَفِيضِي آبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا<sup>(٤)</sup>  
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قُوتاً وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْراً<sup>(٥)</sup>  
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْراً<sup>(٦)</sup>  
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالقُوتِ عُمْرِي فَلَمَّاذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرًا<sup>(٧)</sup>

(١) أفلا تحررت قليلاً من هذا التشبث بهذه الدنيا الفانية، لتحظى غداً بالفوز بجنان الخلد، وهناك تعانق حوراً عيناً أبكاراً.

(٢) إن كنت تطمع أن تدخل جنة عرضها السموات والأرض، فواجب عليك أن تتقي النار بالتزام أوامر الله تعالى ونواهيه، وعندها تكون أهلاً لهذا الإكرام.

(٣) مقدمة كتاب الأم للشافعي ١٤ .

(٤) سرنديب: جزيرة تسمى اليوم سيرلانكا. أيتها الجبال المطلة على سرنديب، أمطري ما شئت من اللؤلؤ، وأنت يا آبار تكرور فيضي واملئي ما حولك ذهباً يستهوي القلوب .

(٥) إن ذلك لن يغريني، فأنا ألتزم بالقناعة، وأومن بأني لن أعدم قوتاً ما دمت حياً؛ لأن المولى تعالى قد تكفل بذلك، كما أنني لن أعدم قبراً يضم رفاتي بعد الممات .

(٦) إنني - والحمد لله - أمتلك همة لا تقل عن همة الملوك، كما أن لي نفساً أبية تعشق الحرية، وترى في الذل كفراً وخروجاً عن النهج القويم .

(٧) إنني إذا قنعت بما قسمه الله تعالى لي ما بقيت، فلماذا أترلف لزيد وعمرو من الناس، أخطب وده، وأطمع في القرب منه .

## المشكلات (١)

إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي      كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ بَرَقَتْ فِي مَخِيلِ السَّحَا      بِ عَمِيَاءَ لَا يَجْتَلِيهَا الْفِكْرُ<sup>(٣)</sup>  
مُقَنَّعَةً بِغُيُوبِ الْعُيُومِ      وَضَعْتُ عَلَيْهَا حُسَامَ الْبَصَرِ<sup>(٤)</sup>  
لِسَانِي كَشِقْشِقَةِ الْأَرْحَبِيِّ      أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِيِّ الذَّكْرِ<sup>(٥)</sup>  
وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرِّجَالِ      أَسْأَلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرُ؟<sup>(٦)</sup>  
وَلِكِنِّي مُدْرَهُ الْأَصْغَرَيْنِ      أَقْضِي بِمَا قَدْ مَضَى مَا غَبَرَ<sup>(٧)</sup>

- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٦١/٢، ومعجم الأدباء لياقوت ٣٠٩/١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٩/١، وتوالي التأسيس ٧٤، وتاريخ دمشق ٢٠٠/١٠، ونسبت الأبيات إلى الإمام علي بن أبي طالب انظر الديوان المنسوب إليه ٥٦. الحياة وعاء فيه الحلو والمر، والمشكلات جزء منها.
- (٢) تصدين: تعرضن. إن مشكلات الحياة حينما تعترض سيري، فإنني أستعين على كشف ظلماتها وبيان حقائقها بنظر ثاقب، وعقل مفكر بعواقب الأمور.
- (٣) ومهما عظمت المشكلة واستعصت، حتى لا تكاد تبين لمعرفة وحلها، غير بروق خاطفة ويحار كثير من الناس في إدراك كنهها.
- (٤) وقد تكون غارقة في بحار من الظلمات، فيسلط عليها أضواء من فكره، ومصايح من تجاربه، فيتبدد ركامها وينقشع ظلامها.
- (٥) الشقشقة: الزبد الذي يخرجه البعير إذا هاج. وإن بياني كراي ناصع قوي، فإني إذا تكلمت كنت كالجمل القوي الهادر، ولساني كالسيف اليماني، ينطق بالحق وفصل الخطاب.
- (٦) الإمعة: الرجل الذي يتابع كل واحد على رأيه ولا يثبت على شيء. وإني لا أنكر فائدة الشورى ولكني لست إمعة لا رأي لي، أسير إذا سار الناس، وأقف إذا وقفوا، ولا أقف أسائل الناس حائراً متردداً ما الخبر؟
- (٧) مدره: المقدم في اليد واللسان عند القتال. الأصغرين: القلب واللسان. إنني مقدم في القلب واللسان، أعين على حل المشكلات المستعصية، =

وسبأق قومي إلى المكرماتِ وجَلَّابُ خَيْرٍ ودَفَّاعُ شَرٍّ<sup>(١)</sup>

### شوق إلى مصر<sup>(٢)</sup>

لَقَدْ أَصْبَحْتَ نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى مِصْرَ وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ<sup>(٣)</sup>

فَوَاللهِ لَا أَدْرِي أَلِلْفُوزِ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ<sup>(٤)</sup>  
فخرج الشافعي رضي الله عنه يريد مصر، ففُطِّع عليه الطريق، فدخل  
بعض المساجد وليس عليه إلا حزمة، فدخل الناس وخرجوا ولم يلتفت إليه  
أحد فقال:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَاعُ جَمِيعُهَا بِفَلَسٍ لَكَانَ الْفَلَسُ مِنْهُمْ أَكْثَرًا<sup>(٥)</sup>

= وأستشرف الماضي والمستقبل من الأيام.

(١) وقبل هذا كله فإن أفعالي تسبق أقوالي في المكرمات، وأجلب الخير  
ما استطعت، وأدفع الشر عن الناس قاطبة.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٨/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٨ -  
١١٩، ومعجم الأدباء لياقوت ٣٢٠/١٧، وطبقات الشافعية للسبكي  
١/١٦٠، والمحمدون من الشعراء ١٣٩، وحلية الأولياء ٨٢/٩.

(٣) تتوق: تشتاق. المهامه: ج مهمه وهي المفازة البعيدة والصحراء. القفر:  
الصحراء التي لا نبات فيها ولا ماء. أنا في شوق كبير إلى مصر، وأصبحت  
نفسي تحدثني حديثاً لا ينقطع لزيارة مصر، وهي لا تدري، أم أنها تدري أن  
ما بيني وبينها صحارى ومفازات موحشة لا نبات فيها ولا ماء.

(٤) وإنني أقسم أنني لا أدري الغاية من هذا، أهى الفوز والنجاح وإدراك الغنى،  
أم أن هذا الشوق وهذه الرغبة هما اللذان يسوقاني إلى أجلي المحتوم.

(٥) فأصبحت لا أرى عليّ من الثياب سوى عدد إذا ضُمَّ بعضه لبعض، وكانت  
قيمته فلساً، بل ربما كان الفلاس أكثر قيمة منها.



وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِمِثْلِهَا      نَفُوسُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلًّا وَأَكْبَرًا<sup>(١)</sup>  
وَمَا ضَرَّ نَصَلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ      إِذَا كَانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجْهَتُهُ فَرَى<sup>(٢)</sup>  
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَزْرَتْ بِيَرَّتِي      فَكُم مِّنْ حُسَامٍ فِي غِلَافٍ مُّكْسَرًا<sup>(٣)</sup>

#### أكثر من الإخوان<sup>(٤)</sup>

وَأَكْثَرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعَتْ إِيْتَهُمْ      بُطُونٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ وَظُهُورُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفٌ خِلٌّ لِعَاقِلٍ      وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرُ<sup>(٦)</sup>

(١) غير أن المولى تعالى تدارك هذه النفس التي تضمّنها هذه الثياب، فهي نفس عزيزة أبيّة، حتى إن نفوس الخلائق مجتمعة لو قيست بها لرجحت عليها.

(٢) إخلاق: البالي. عضباً: قاطعاً حاداً. فرى: قطع. إنها كنصل السيف الماضي، لا يضره ولا ينقص من قيمته أن كان غمده بالياً لا يملأ العين، إن قيمة هذا السيف بقوته وقدرته، إذ إنه حيثما وجهته للطعان كان قاطعاً مهلكاً للأعداء.

(٣) فإن كانت تقلبات الأيام جعلت ثيابي بالية، يحتقرها من ينظر إليها، فإن ذلك لن يُنقص من قيمة نفسي، وستبقى عزيزة ذات مكانة عالية، كالسيف البتار الذي لم يُنقص من قيمته وقدرته على القطع اهتراء غمده.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٣/٢، وتوالي التأسيس ١٤٢، ومناقب الشافعي للرازي ١١٤، ونسبت الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انظر الديوان ٦٣.

(٥) المرء كثير بإخوانه، فعليك أيها العاقل أن تكثر منهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإنك إن استجذبت بهم أحاطوك برعايتهم ونجدتهم، ونصروك على عدوك.

(٦) والعاقل لا يجد أن ألفاً من الإخوان هم عدد كثير ولكنه بالمقابل لو رأى عدواً واحداً يناصبه العداء يرى أن هذا عدد كبير.

## القناعة<sup>(١)</sup>

تدرّعتُ ثوباً للقنوعِ حصينةً      أصونُ بها عرضي وأجعلها ذخراً<sup>(٢)</sup>  
ولم أخصِرِ الدهرَ الخؤونَ فإنّما      قصّاراهُ يرمي بي الموتَ والفقر<sup>(٣)</sup>  
فأعددتُ للموتِ الإلهَ وعفوهُ      وأعددتُ للفقرِ التجلّدَ والصبر<sup>(٤)</sup>

## اسأل من يدري<sup>(٥)</sup>

إذا كنتَ لا تدري ولا أنتَ بالذي      تسألُ من يدري فكيف إذا تدري<sup>(٦)</sup>  
ولو كنتَ تدري أو تدريتَ لم تكنُ      تخالفُ من يدري على علم ما يدري<sup>(٧)</sup>

- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٦٥ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٢ .
- (٢) اتخذت من القناعة درعاً واقياً يصون عرضي ، ويحفظ ماء وجهي وكرامتي ، وجعلت منها ذخراً حميداً لا أفرط فيه .
- (٣) وإنني لم أحاول تفادي حوادث الأيام ومصائبها ، لأن أعظم المصائب التي يمكن أن تحلّ بي هي الموت أو الفقر .
- (٤) التجلد : التصبر واحتمال المكاره . وقد أعددت للموت حصناً لا يخيب من يأوي إليه ، ألا وهو اللجوء إلى باب الإله العظيم وعفوه الذي وسع كل شيء ، أما الفقر فقد هيأت له نفساً لا ينقصها التجلد ، ولا يعوزها الصبر .
- (٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٠٠ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١١ ، ونسب البيتان للإمام علي بن أبي طاب كرم الله وجهه انظر الديوان المنسوب إليه ٦٣ .
- (٦) العاقل يفتش عن الحكمة والمعرفة ، فإن كنت أيها الفتى لا تدري حلّ عقدة ، ولا تسأل من هو عالم بها ، فكيف تحصل لك المعرفة والدراية .
- (٧) أما إذا كنت عارفاً بأمر ، أو اكتسبت دراية عنه ، فإن ذلك لا يورث خلافاً بينك وبين من يعلمها ويتقنها .

### عواقب الأمور<sup>(١)</sup>

عواقبُ مكروهِ الأمورِ جبارٌ      وأيامُ شرٍّ لا تدومُ قصارٌ<sup>(٢)</sup>  
وليس بباقي بُؤسها ونعيمها      إذا كَرَّ ليلٌ ثمَّ كَرَّ نهارٌ<sup>(٣)</sup>

### كل ذي عينين ناظر<sup>(٤)</sup>

يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ      أَلَا كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاطِرٍ<sup>(٥)</sup>  
وَلَيْسَ اكْتِحَالُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيَّةٌ      إِذَا عَفَّ فِيمَا بَيْنَ ذَاكَ الضَّمَائِرِ<sup>(٦)</sup>

### لا تخضع إلا لله<sup>(٧)</sup>

كُلُّ بَمَلَحِ الْجَرِيشِ خُبَزَ الشَّعِيرِ      وَاعْتَقِبْ لِلنَّجَاةِ ظَهَرَ الْبَعِيرِ<sup>(٨)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٣/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١٩٩.

(٢) إن كثيراً من الحوادث والأمور لها عواقب، وقد تكون هذه العواقب لا فائدة فيها، كما أن أيام الشر والكمد التي لا تدوم هي أيام قصار.

(٣) وفي كل الحالات فإن الأيام التي تحمل في طياتها بؤساً، أو تحمل نعيماً محبباً، إن هذه الأيام بنوعها ليست باقية دائمة، طالما أن هناك ليلاً يقبل و نهراً يزول.

(٤) روضة المحبين ١١٢، نقلهما ابن القيم عن الحاكم في مناقب الشافعي أنهما من شعر الشافعي، ومناقب الشافعي للبيهقي ٩٣/٢، ونسباً لجميل بن معمر (جميل بثينة) انظر الديوان ٨٢.

(٥) النظرات البريئة عن الغش، لا تقدح من عفة الإنسان، والذين يمنعونني من النظر فهؤلاء يجلبون لي البلية، إذ إن كل ذي عينين لا بد ناظر إلى المحاسن والمبهمات.

(٦) وإنني على يقين بأن وقع النظر على النظر دون أن يصحبها شهوة محرمة، فإن ذلك لا يجرح ضمير الناظر طالما أن قلبه سليم، ونظره عفيف.

(٧) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٧٢.

(٨) الجريش: الملح الذي لم يطيب. كرامة المرء فوق كل اعتبار، إذا ضاق بك=

وَجُبِ الْمَهْمَةُ الْمَخُوفَ إِلَى طَنْجَةِ      أَوْ خَلَفَهَا إِلَى الدَّرْدُورِ<sup>(١)</sup>  
وَصُنِ الْوَجْهَ أَنْ يَذَلَّ وَأَنْ يَخْضَعَ      إِلَّا إِلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ<sup>(٢)</sup>

### لا ملتقى حتى القيامة<sup>(٣)</sup>

سَأَصْبِرُ فَاصْبِرْ واقْطَعْ الْوَصْلَ بَيْنَنَا      وَلَا تَذْكُرْنِي واسْأَلْ بِاللَّهِ عَنْ ذِكْرِي<sup>(٤)</sup>  
فَقَدْ عِشْتَ دَهْرًا لَسْتَ تَعْرِفُ مَنْ أَنَا      وَعِشْتُ وَلَمْ أَعْرِفْكَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ<sup>(٥)</sup>  
سَلَامٌ فِرَاقٍ لَا مَوَدَّةَ بَيْنَنَا      وَلَا مُلْتَقَى حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ<sup>(٦)</sup>

= الزمان فاجعل نفسك ترضى بخبز الشعير الذي مُلِّح بملح لا طيب فيه ،  
واسلك سبيل النجاة لنفسك ولو على ظهر بعير .

(١) الدردور : موضع في ساحل بحر عمان مضيق ، انظر معجم البلدان لياقوت  
٥٢ / ٤ . واقطع الفيافي والقفار التي يحجم سلوكها الجبناء ، إلى طنجة في  
المغرب ، أو أبعد منها إذا اقتضى الأمر إلى ساحل عمان ، غير هباب ولا  
وجل .

(٢) واحفظ ماء وجهك من أن يذل ويخضع لإنسان من بني جنسك ، ولا تجعل  
ذلك الذل والخضوع إلا للذي خلقتك ، فهو اللطيف الخبير .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٥ / ٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٥ .

(٤) واسل : سلا يسلو تسلية تلهى عن الشيء لينساه . سأصبر صبراً جميلاً على  
فراقك ، وعليك أن تصبر أيضاً ، لأن الوصل بيننا قد انقطع ولا مجال  
لإعادته ، واستعن بالله اللطيف عن تذكري .

(٥) لقد عشتَ زمناً طويلاً ، وأنت لا تعرف من أنا وما هي طباعي ، وكذلك الأمر  
بالنسبة إليّ ، فكأنني لم أعرفك في يوم من الأيام .

(٦) وإني إذ أفارقك ، أسلم عليك سلام فراق ، وكأنه لم يكن بيننا مودة في يوم  
ما ، ولن نلتقي إلا يوم الدينونة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

### الرّزِيّة فقد حرّ<sup>(١)</sup>

لَعَمْرُكَ مَا الرّزِيّةُ هَدْمُ دَارٍ وَلَا شاةٌ تَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنَّ الرّزِيّةَ فَقْدُ حُرٍّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ<sup>(٣)</sup>

### شرابهم الحديث

أَكْرَمَ بِمَجْلِسِ فِتْيَةٍ رِيحَانُهُمْ وَرَقُ الشُّدُورِ<sup>(٤)</sup>  
صَبُّوا أَبَارِيقَ الْهَوَى بَيْنَ الْقُلُوبِ عَلَى الصُّدُورِ  
جَعَلُوا شَرَابَهُمُ الْحَدِ يَثَّ وَكَأْسُهُمْ أَبَدًا يَدُورُ

### يا كاحل العين<sup>(٥)</sup>

يا كاحلَ الْعَيْنِ بَعْدَ النَّوْمِ بِالسَّهَرِ مَا كَانَ كُحْلُكَ بِالْمَنْعَوْتِ لِلْبَصْرِ<sup>(٦)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٥/٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٨ ،

وورد في أمالي القالي ١/٢٦٩ أنشدنا أحمد بن عبيد لامرأة من الأعراب .

(٢) الرزية : المصيبة . ما أكثر المصائب في هذه الحياة وليس أعظمها هدم دار عامرة ، ولا شيهاً تموت ، ولا جِمالاً تُفقد .

(٣) لكن البلية العظمى هي فقد إنسان كريم حر ، كان ملء السمع والبصر ، يفيض خيره على كثير من الناس ، فبفقد هذا الإنسان موت لبشر كثير .

(٤) أكرم بمجلس فتية أطهار ، يحملون ورق السدر بدلاً من الريحان . لقد صبوا محبتهم وإخلاصهم وهواهم في أباريق استقرت بين الصدور والقلوب . إن الشراب الذي يسكرون منه ، هو طيب الحديث ، وبث أشواق المحبة والعطف ، وكأسهم هذه تدور وتدور ، دليلاً على إخلاصهم ومحبتهم لبعضهم .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٩/٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٠٥/١ .

(٦) يا من له عينان مكحولتان خِلَقَةً ، لقد أخذت تسهر بعد أن نمت قريراً ، إن كحلك هذا ليس بوسع من يبصره أن يصف جماله .

لو أَنَّ عَيْنِي إِلَيْكَ الدَّهْرَ نَازِرَةً      جَاءَتْ وَفَاتِي وَلَمْ أَشْبَعْ مِنَ النَّظَرِ<sup>(١)</sup>  
سُقِيًّا لِدَهْرٍ مَضَى مَا كَانَ أَطْيَبَهُ      لَوْلَا التَّفَرُّقُ وَالتَّنْغِيصُ بِالسَّفَرِ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي يَأْتِي بِلا عِدَةٍ      مِثْلُ السَّحَابِ الَّذِي يَأْتِي بِلا مَطَرٍ<sup>(٣)</sup>  
دَعْنِي أَمْتَعُ طَرْفِي مِنْكَ بِالنَّظَرِ      فَنَوُزُ وَجْهِكَ يَجْلُو ظُلْمَةَ الْبَصَرِ<sup>(٤)</sup>

### لا يسلم أحد من لسان الناس<sup>(٥)</sup>

وَمَا أَحَدٌ مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ سَالِمًا      وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرُ<sup>(٦)</sup>  
فَإِنْ كَانَ سَكِيَّتًا يَقُولُونَ أَبْكُمْ      وَإِنْ كَانَ مِنْطِقًا يَقُولُونَ أَهْدُرُ<sup>(٧)</sup>

- (١) لو قدر لي أن تبقى عيناى تتملى من حسنك الدهر كله، لحضرتنى الوفاة وأنا لم أشبع ناظري من حسن مرآك.
- (٢) التنغيص: نغص الله عليه العيش أى كدَّره والتنغيص التكدير. سقى الله تعالى أياماً مضت ما كان أجملها وأطيبها، لولا أن التفرق لسفر حادث، جعلها مشوبة بالكدر والحزن.
- (٣) وهكذا الأمور فإن الذي يحمل إليك رسالة من حيث ليس فيها موعد للقاء، هو كالسحاب الذي يجلل السماء، ولكن لا مطر فيه.
- (٤) يجلو: يزيل. أريد اللقاء وأريد أن تسمح لي أن أمتع طرفي، وأتملى من حسنك ولطفك، فإن النور المنبعث من وجهك يزيل الظلام عن البصر.
- (٥) نتيجة الأفكار / ٥ / ، وقد نسبت الأبيات إلى ابن دريد، انظر هدية الأمم ص ١٩٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
- (٦) وهل يسلم أحد من ألسنة الخلائق، إن الأنبياء ودعاة الفضيلة على جلال قدرهم لم يسلموا من ذلك.
- (٧) سكيئاً: كثير الصمت والسكون. أبكم: أخرس لا يحسن الكلام. أهدر: ساقط. فإذا كان المرء يؤثر الصمت وعدم الخوض فيما لا نفع فيه، اتهموه بالبكم، وإن كان منطلق اللسان، ذكي الجنان، له في كل مقام مقال، قيل: إنه ساقط القيمة.

وَإِنْ كَانَ صَوَاماً وَبِاللَّيْلِ قَائِماً يَقُولُونَ زَرَّاقُ يُرَائِي وَيَمْكُرُ<sup>(١)</sup>

### (٢) استعلى به البطر

تَاهَ الْأَعِيرُجُ وَاسْتَعْلَى بِهِ الْبَطْرُ فَقُلْ لَهُ: خَيْرُ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْحَذَرُ<sup>(٣)</sup>  
أَحْسَنْتَ ظَنَّاكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنْتَ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ<sup>(٤)</sup>  
وَسَالَمْتَكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ<sup>(٥)</sup>

### (٦) اقبل اعتذار المعتذر

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَراً<sup>(٧)</sup>

(١) زراق: كذاب. حتى إذا انصرف إلى الزهد والعبادة، فصام نهاره، وقام ليله، يقول حساده ومن لا ضمير لهم، إنه كذاب يرائي بأفعاله، وهو في حقيقته ماکر.

(٢) تنسب الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، انظر الديوان المنسوب إليه ص ٥٩.

(٣) الأعيرج: حية صماء كالأفعى. أصابه خير من مولاه الكريم، فأصابه الكبير وأخذ يتيه على الناس، قل لهذا الإنسان لا تأمن الدهر، وكن على حذر، فالأيام لا تبقى على حالة واحدة.

(٤) أظهرت لك الأيام جانبها المضيء، فأحسن الظن بها واستسلمت، لكنك نسيت أن تحسب حساباً لما ستأتي به الأقدار في قابل الأيام.

(٥) لقد سالمك الدهر حيناً، وأبدى لك البشاشة فإغتررت بذلك، وكان عليك أن تدرك أن الكدر يأتي في ساعة غير منتظرة وبعد صفاء دام زمناً.

(٦) روي هذان البيتان (لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن نفطويه) نقلاً عن أبي إسحاق الرفاعي.

(٧) بر: صدق. فجر: كذب. إذا أتاك من أخطأ في حقك، وقدم اعتذاره طالباً منك الصفح، فاقبل عذره إن كان صادقاً في هذا الاعتذار أو لم يكن، لأن الصفح من شيم الكرام.

لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَرّاً<sup>(١)</sup>

### فَنُّ الْمَنَازَرَةِ<sup>(٢)</sup>

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ      بِمَا اخْتَلَفَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ<sup>(٣)</sup>  
فَنَاطِرُ مَنْ تُنَاطِرُ فِي سُكُونٍ      حَلِيماً لَا تُلِحُّ وَلَا تُكَابِرُ<sup>(٤)</sup>  
يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلا امْتِنَانٍ      مِنَ الثُّكَّتِ اللَّطِيفَةِ وَالنَّوَادِرِ<sup>(٥)</sup>  
وَإِيَّاكَ اللَّجُوجَ وَمَنْ يُرَائِي      بِأَتِي قَدْ غَلَبْتُ وَمَنْ يُفَاخِرُ<sup>(٦)</sup>

(١) أجلك : عظمك . إن من يريك ظاهراً منه ترضى عنه ، فقد أطاعك فاقبل ذلك منه ، وإن من يخجل أن يعصي لك أمراً ، وإنما يفعل ذلك سراً ، فقد عظمك واحترمك .

(٢) مناقب الشافعي للفخر الرازي ٢٢٧ . الخير كل الخير أن يتحاور الناس ويتبادلوا الأفكار وفي ذلك خير للجميع .

(٣) إن كنت ممن وهبك الله تعالى علماً وفضلاً ، فذلك كنز عظيم ، لأن العلم والفضل ميراث الأولين والآخرين ، وهذه سلسلة مباركة يجب المحافظة عليها .

(٤) تلح : التماذي في طلب الشيء . وعندما يتناظر العلماء وذوو الفضل ، فإن من الأجدر بهم أن يتحاوروا في سكون وهدوء ، وأن يكون الحلم سيداً ، لا يلحون في الكلام والإجابات ، ولا يكابرون في أمور تثير الخلافات فيما بينهم .

(٥) إنما رائداهم في ذلك كله ، الإفادة والاستفادة ، دون من أو تعال ، وينثرون في ثنايا حديثهم كثيراً من تفاصيل العلم الدقيقة التي لا يصل إليها العالم إلا بعد طول بحث وتفكير .

(٦) اللجوج : التماذي في الخصومة . وإياك أن تناظر من يتمادى في اللجاجة والخصومة والذي يكون همه من المناظرة الغلبة والانتصار ، ليتفاخر بهذا أمام الناس .



فَإِنَّ الشَّرَّ فِي جَنَابِ هَذَا يُمْتَنِي بِالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ<sup>(١)</sup>

### الدَّهْرُ يَوْمَانِ<sup>(٢)</sup>

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرٍ وَالْعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٍ وَذَا كَدَرٍ<sup>(٣)</sup>  
أَمَا تَرَى الْبَحَرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ<sup>(٥)</sup>

### السُّكُوتُ

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتَجَرًّا فَلَزِمْتُهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحًا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ<sup>(٦)</sup>  
وَمَا الصَّمْتُ إِلَّا فِي الرِّجَالِ مَتَاجِرُ وَتَاجِرُهُ يَعْلُو عَلَى كُلِّ تَاجِرٍ<sup>(٧)</sup>

(١) إن الاستهانة بهذه الآداب، يُعَرِّضُ المتناظرين للتنافر والمقاطعة، فلا يستفيد أحدهم من الآخر، وفي هذا خسارة للعلم والأدب، وتمهيد للجهل والخذلان.

(٢) أحسن القصص ٤/ ١٢٠، وهو ينقل عن الجوهر النفيس.

(٣) العمر الذي نعيشه، ما هو إلا يومان، فيوم تأمن فيه على نفسك ومالك وعرضك، ويوم تشعر فيه بالخطر ولا تنعم بالأمان، وكذلك العيش كله، إما أن يكون صافياً مبهجاً، وإما أن يكون منغصاً مكدرًا.

(٤) والحياة كالبحر، يحوي في باطنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولكنك ترى أن القبيح يطفو على أمواجه، أما الدرر والأشياء النفيسة فإنها تستقر في قاعه.

(٥) وأما السماء ففيها من النجوم والمجرات ما لا يحصى، ولكن جرمين فقط يصابان بالكسوف؛ إنهما الشمس والقمر.

(٦) السكوت من ذهب كما وصفه الأقدمون، لقد تمثل لي سكوتي بمتجر يؤويني فلزمته ولم أفكر في مغادرته. وإني بهذا حفظت نفسي، إذا لم أجد ربحاً فإنني لن أحصل خسارة.

(٧) وإني أشبه الصمت في الرجال كالمتاجر التي يرجي منها الخير والربح، والمقيم فيها هو إنسان رفيع القدر لا يدانيه تاجر آخر مهما برز واشتهر.

## راض بما حكم الدهر

وَمَا كُنْتُ أَرْضِي مِنْ زَمَانِي بِمَا تَرَى      وَلَكِنِّي رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ خَانَتْ عُهُودَهَا      فَإِنِّي بِهَا رَاضٍ وَلَكِنَّهَا قَهْرُ<sup>(٢)</sup>

## دية الذنب

قِيلَ لِي قَدْ آسَى عَلَيْكَ فُلَانٌ      وَمَقَامُ الْفَتَى عَلَى الذُّلِّ عَارُ<sup>(٣)</sup>  
قُلْتُ قَدْ جَاءَنِي وَأَحْدَثَ عُذْرًا      دِيَّةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

- 
- (١) لست من الرجال الذين يخضعون بسهولة، ولكنني رضيت بما قُدِّرَ لي من زماني، لأنني علمت أن ذلك محكوم به سلفاً، ولا حيلة لي في ذلك.
- (٢) فإن كانت الأيام عاندتني، ولم تعطني ما أؤمله منها، ونسيت عهودها معي، فإنني راضٍ بما ستأتي به، ولكن ذلك عن قهر وليس عن رضى مني.
- (٣) قال لي بعضهم إن فلاناً قسا عليك، وإن سكوتك عن ذلك، وإقامتك على مودته عار.
- (٤) فأجبتهم، لقد جاءني واعتذر لي عما بدر منه، وإن دية الذنب من أصحابي هي الاعتذار وقد حصل.

## قافية السين

صديقك من كان معك في الشدائد <sup>(١)</sup>

صديقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بَأْسٍ	قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَّاسِ <sup>(٢)</sup>
وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْرِ	وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا لِلتَّاسِي <sup>(٣)</sup>
عَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِسًا بِجُهْدِي	أَخَا ثِقَةٍ فَأَلْهَانِي التِّمَاسِي <sup>(٤)</sup>
تَنَكَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا	كَأَنَّ أَنْسَهَا لَيْسُوا بِنَاسٍ <sup>(٥)</sup>

رحمتك اللهم

قلبي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أَنْسٍ      فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ <sup>(٦)</sup>

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٣٠١/١ .

(٢) بأْس : شدة . إن الصديق الذي يتخلى عنك عندما تصاب بمصيبة وشدة، إن مثل هذا الصديق هو أشبه بالعدو، إذا أخذنا ذلك بالقياس .

(٣) والأصدقاء والأحباء نَذَّحْهم في كل وقت وزمن ليكونوا لنا عوناً ويمدون يد المساعدة لمواساتنا في كل حين .

(٤) ملتمساً : باحثاً مفتشاً . أمضيت سنين طويلة من عمري جاهداً أطلب أخاً أثق به ويكون عوناً لي في شدتي، لكن طلبي لمثل هذا الإنسان باء بالفشل .

(٥) لقد تغير وجه البلاد، وتغير تبعاً لذلك مَنْ يعيش فيها، وكأن الناس قد بَدَّلُوا بغيرهم، ولذلك لم تعد ترى واحداً يهتم بأمرك .

(٦) الغلس : ظلام الليل . المؤمن يأنس بمناجاة ربه على الدوام، ومناجاة الرب حياة القلوب . . . اللهم إني أشعر بالوحشة والاغتراب عندما أسهو عن =

مَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِتِّي إِلَّا وَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدْسِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوباً أَنْتَ تَعْلَمُهَا وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِي فِيهَا بِفِعْلِ مُسِي<sup>(٣)</sup>  
فَإَمْنٌ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبْسٍ<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْ مَعِيَ طَوْلَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي عَبَسٍ<sup>(٥)</sup>

= ذكرك ومناجاتك ، فقلبي مفعم بالأنس والحبور ، عندما أتذكر رحمتك بي ، في سري وإعلاني ، وفي ليلي ونهاري .

(١) ستي : نعاسي . وذكرك يحلولي في نومي ويقظتي ، وعندما ينساب النعاس إلى عيني في هذه الأحوال كلها ، لا أنساك ، ولا أنسى إكرامك لمخلوقاتك جميعاً ، ففي نسمة الهواء المنعشة التي أنعمت بها عليّ ، أذكرك ، وأتضرع إليك ، وأسعى إلى التقرب منك .

(٢) إِنَّ النعمة الكبرى التي أنعمت بها عليّ أنك ألهمتني بأن أوقن بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وأنت صاحب الفضل والنعماء والقدس المتناهي .

(٣) أنا لا أبرئ نفسي من الذنوب فقد أتيت منها ما يخفى على الناس ، ولكنك تعلمها حق العلم ، فأنت الذي تعلم الغيب والشهادة ، ولا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن عظيم لطفك ورحمتك بعبادك ، أبقيتها خافية ، ولم تفضحني على رؤوس الخلائق بفعلتي المسيء .

(٤) لبس : غموض . أرجوك ربي وأتذلل لعظمتك أن تمن عليّ وأن تدخلني في زمرة الصالحين من عبادك وأوليائك ، وألا تجعلني في لبس من أمر ديني .

(٥) عبس : سورة عبس . إلهي أكرمني بأن تكون معي ، ما امتد بي العمر ، وطال بي الزمن ، وأن تكرمني في آخرتي بأن تجعلني ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في حشري وحسابي ، بحق كتابك الكريم الذي أنزلته على نبيك نوراً وهدى للعالمين .

## طريق الخلاص

- يا واعظ الناس عما أنت فاعله<sup>(١)</sup> يا من يعدُّ عليه العمر بالنفس<sup>(١)</sup>  
 احفظ لشيبك من عيب يدنس<sup>(٢)</sup> إن البياض قليل الحمل للدنس<sup>(٢)</sup>  
 كحامل لثياب الناس يغسلها<sup>(٣)</sup> وثوبه غارق في الرجس والنجس<sup>(٣)</sup>  
 تبغي النجاة ولم تسلك طريقها<sup>(٤)</sup> إن السفينة لا تجري على اليبس<sup>(٤)</sup>  
 ركوبك النعش ينسبك الركوب على<sup>(٥)</sup> ما كنت تركب من بغل ومن فرس<sup>(٥)</sup>  
 يوم القيامة لا مال ولا ولد<sup>(٦)</sup> وضمة القبر تنسي ليلة العرس<sup>(٦)</sup>

(١) العاقل من وعظ نفسه أولاً، ثم يلتفت إلى غيره فيعظه . . أيها الإنسان الذي يقف واعظاً بين الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، هلاً بدأت بنفسك أولاً، فتنهاها عما تنهى الناس عنه، أنسيت أن عمرك أنفاس تتردد بين جنبيك، وهي مقدرة لا تزيد ولا تنقص .

(٢) لقد خطَّ رأسك الشيب، فأكرم هذا الشيب واحفظه من أي عيب يكدر هذا البياض الدال على التقدم في العمر، إن البياض رمز النقاء ولا يحتمل أن يخالطه عيب أو نقص مهما قل .

(٣) إنك إن لم تبدأ بنفسك وتحافظ على نقائها، تكن كذلك القصَّار الذي يحمل ثياب الناس، فينظفها من الأدران، وثوبه مغمور بالأرجاس وهو ساء عنه، ولا يحاول إعادته نقياً طاهراً .

(٤) إنك تبغي النجاة، وتحب أن تكون من زمرة الناجين، ولكن أنظن أن طريق النجاة والفلاح سهل ممهد لا وعورة فيه لقد أخطأت خطأ كبيراً؛ لأنك تريد أن تسير بسفينة حياتك على أرض يَبَس وهذا مُحال .

(٥) والموت لا بد من ملاقاته، طال العمر أم قصر، وعندما تركب النعش الذي سيكون مطيتك إلى مثواك الأخير، عند ذلك ستنسى أيام عزك التي كنت تعتلي فيها صهوات الجياد وغيرها من المركوبات .

(٦) إن يوم القيامة، يوم تشيب فيه الولدان، ولا يبالي فيه إنسان بإنسان، بل كل يسعى لإنقاذ نفسه، فهو يوم لا مال يفيد مهما كان كثيراً، ولا ولد يدافع عن=

## وقفه الحرّ بباب نحس

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ      وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْسٍ<sup>(١)</sup>  
 وَقَرُّ بَرْدٍ وَقَوْدُ فَرْدٍ      وَدَبْنُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ      وَصَرْفُ حَبٍّ بِأَرْضِ خَرَسٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَنَفْخُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ      وَضَرْبُ إلفٍ بِحَبْلِ قَلَسٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَيَبْعُ خُفٍّ وَعَدَمُ إلفٍ      وَيَبْعُ دَارٍ بِرُبْعِ فِلَسٍ<sup>(٥)</sup>  
 أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةِ الْحُرِّ      يَرْجُو نَوَالاً بِبَابِ نَحْسٍ<sup>(٦)</sup>

= أمه وأبيه أمّا ضمة القبر، فيالها من ضمة، إنها تُنسي بأهوالها ليلة العرس التي هي ليلة مميزة في حياة المرء.

(١) إن قلع الضرس مؤلم ولا شك، وكذلك الحبس في مكان لا راحة فيه، وأن تُنزع نفس، وأن يرد أمس الدابر.

(٢) القر: شدة البرد. القود: القصاص. وشدة البرد التي لا تُحتمل في الشتاء، والقصاص من فرد ارتكب جناية، وكذلك دبغ جلد حيوان في جو رطب لا شمس فيه.

(٣) خرس: لا تنبت زرعاً ولا كلاً. وأكل لحم ضبّ الذي أنف منه رسول الله ﷺ، وصيد دبّ على ما فيه من مشقة وخطر، وبذر حبّ بأرض لا تنبت زرعاً.

(٤) وأن تقف وراء نارٍ وتنفخ فيها، وأن تتحمل عاراً، وأن تببع داراً تؤويك بربع فلس.

(٥) قلس: حبل السفينة الضخم. وأن يبيع الإنسان خفه للحاجة، وانعدام إلف تأنس به، أو أن تضربه بحبل السفينة الضخم.

(٦) النوال: العطاء. كل ما تقدم من مواقف أهون على الإنسان الكريم من أن يقف بباب لئيم يطلب منه حاجة أو عطاء.

## شرف العلم<sup>(١)</sup>

- (٢) الْعِلْمُ مَغْرَسٌ كُلُّ فَخْرٍ فَافْتَخِرْ      وَاحْذَرِ يَفُوتُكَ فَخْرُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ  
 (٣) وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يَنَالُهُ      مَنْ هَمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ  
 (٤) إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يَعْنِي بِهِ      فِي حَالَتِهِ عَارِيًّا أَوْ مُكْتَسِيًّا  
 (٥) فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًا      وَاهْجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وَعَبْسٍ  
 (٦) فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ      كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخْرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

(١) أحسن القصص ١/ ١٢٠ وهو ينقل عن الجوهر النفيس . العلم حياة الفرد والشعوب ، والجهل فناء . . .

(٢) العلم غرسة من غراس الفخر ، لا تعدلها غرسة ، فافتخر بالعلم ، وارفع رأسك ، فهو الحياة ، ومن دون العلم تصبح الحياة صحراء مجدبة لا خير فيها ، فاجتهد أيها الإنسان في تحصيل العلم ، وإياك أن يفوتك شرف هذا المقصد .

(٣) والعلم لا ينال إلا بالجهد والمثابرة ، والسهر والحرمان والصبر ، أما من كان همه في مطعم شهّي يملأ معدته ، ولباس مزركش يزين به جسمه ، فالعلم يرفض مثل هذا الإنسان ولا ينقاد له .

(٤) إن طالب العلم هو في معزل من مباهج الحياة هذه ، فهو يعلم أنها غثاء ، وعليه أن يشمر عن سواعد الجهد سواء كان عارياً إلا من الضروري من الثياب ، أو كان يرفل في أبهى الحلل .

(٥) والعافل اللبيب هو الذي يأخذ لنفسه منه بحظ وافر ، ويطلب المزيد منه ، لا يكل ولا يمل إنه يهجر طيب المنام ساهراً يدرس ويطلع ، ويترك اللهو العابث ، فهو مقطب في أكثر أحواله يتفكر في مسائل وبحوث مرت به .

(٦) إن مثل هذا الإنسان هو زين المجالس ، وهو محط الأنظار ، إليه يتوجه الجلساء ومنه يفيد الندماء ، فهو الرئيس في كل ناد بلا منازع ، وهو فخر وعز لمن يجالسهم ويتحدث إليهم .

### في الضمير الأخرس<sup>(١)</sup>

هل تذكُرِينَ إِذِ الرِّسَالُ بَيْنَنَا      يَجْرِينَ فِي الشَّجَرِ الَّذِي لَمْ يُغْرَسِ<sup>(٢)</sup>  
أَيَّامَ سِرُّكَ فِي يَدِي وَمِثَالُهُ      لِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الضَّمِيرِ الْأَخْرَسِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٥ / ٢.

(٢) أتذكرين أيام كانت الرسائل تصل ما بيننا، وكأنها الماء تجري في جذور الشجر التي لما تغرس .

(٣) أيام كانت أسرارك في قلبي ويدي، وكذلك كانت أسراري بين يديك، ولم يدع منها شيء، بل بقيت في ضمير الغيب .



## قافية الصاد

خلفاء رسول الله ﷺ (١)

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ      وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ وَأَخْلَصُ (٢)  
وَأَنَّ عُرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنُّ      وَفِعْلُ زَكِيٍّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ (٣)  
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ      وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرَصُ (٤)

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٨/٢ ، ومناقب الشافعي للرازي ٨٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٦/١ . وهل بعد رسول الله ﷺ من حاز فضلاً و عزاً أفضل من خلفائه الأربع الراشدين؟؟!

(٢) لقد منَّ الله تعالى عليَّ وهداني للإيمان ، فأنا أشهد يقيناً بأن الله سبحانه ، لا معبود بحق سواه ، وهو خالق كل شيء ، وهو رب كل المخلوقات ، خلقها وهداها لما فيه استمرار بقائها وصلاحها ، وأشهد أن انبعاث الناس بعد موتهم حق أيضاً ، فالصالحون إلى نعيم أبدي ، وغيرهم إلى عذاب سرمدي .

(٣) وأشهد أيضاً أن الإيمان سلسلة موصولة ، يشد بعضها بعضاً ، وهذا الإيمان قول واضح صادر عن قلب مطمئن مؤمن تمام الإيمان بما يقول ، يؤكد عمله صالح يتبعه ، فالإيمان وحده لا يُغني إن لم يرافقه عمل صالح يصدقه ، والإيمان يزداد رسوخاً بكثرة الأعمال الصالحة ، وقد ينقص نتيجة الإقلال منها ، والانغماس فيما لا يرضي الخالق جل وعلا .

(٤) أبو حفص : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وإن اعتقادي الجازم ، هو أن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ ، وهو خليفة الله تعالى في الأرض ، وجاء من بعده عمر الفاروق رضي الله عنه ، الذي كان يحرص على إحقاق الحق ، ونشر العدل ، مما جعله مضرب المثل للمتقدمين ، والمتأخرين من هذه الأمة .

وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ<sup>(١)</sup>  
 أَيْمَّةٌ قَوْمٌ يُهْتَدَى بِهِدَاهُمُ لِحَا اللَّهِ مَنْ إِيَّاهُمْ يَنْتَقِصُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا لِعُتَاةٍ يَشْهَدُونَ سَفَاهَةً وَمَا لِسَفِيهِ لَا يَحِيصُ وَيَحْرِصُ<sup>(٣)</sup>

#### (٤) العلم نور

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءٍ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي<sup>(٥)</sup>

(١) ومن تمام إيماني، شهادتي المخلصة بأن عثمان ذا النورين رضي الله عنه من أفاضل الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ، وما بخلوا عليه بشيء، أما أبو الحسن (علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه فله فضل خاص، إذ إنه من الصحابة المقربين ومن المنتسبين إلى النبي الكريم ﷺ.

(٢) لحا الله قلباً: قبحه. ينتقص: ينقص من أقدارهم. هؤلاء الأعلام، هم أئمة الإسلام، وهم النبراس المنير، يستضاء بنورهم، ويقتدى بسلوكهم، من سار على دربهم كان من الصفوة، ومن تخلف عن ركبهم كان من المقصرين، فقبح الله تعالى كل من يحاول أن ينتقص من قدر واحد منهم، لأنه بذلك يخالف تعاليم الرسول العظيم ﷺ الذي أمرنا أن نجلهم ونقدرهم، فهم خلفاؤه المخلصون من بعده.

(٣) فما لهؤلاء البغاة لا ينزلونهم؛ منازلهم يتمادون في سفاهتهم، ويقولون أشياء لا تليق بمقامهم الكريم، ويحيدون عن الحق، ويميلون إلى مالا يرضي الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ؟!

(٤) توالي التأسيس للعسقلاني ١٤٥، وفي المستطرف ٢١/١: شكا رجل إلى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له: استعن على الحفظ بترك المعاصي فأنشأ يقول:

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءٍ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
 وَذَلِكَ أَنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ فَضْلٌ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُوتَى لِعَاصِي

(٥) العلم يستقر في القلوب الطاهرة، ولقد شكوت إلى معلمي وكيع، سوء =

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نَوْرٌ      وَنَوْرُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

=      حفظي لما أقرأ، فنصحني أن أتجنب المعاصي ما صغر منها وما كبر .  
(١) وأخبرني بأن هذا العلم من نور الله سبحانه، وهو لا يحل في قلوب العصاة، بل إنه يستقر في قلوب الأتقياء الصالحين .

## قافية الضاد

### عادة الأيام

إِذَا لَمْ تَجُودُوا وَالْأُمُورُ بِكُمْ تَمْضِي      وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ الْبَسْطُ وَالْقَبْضَا<sup>(١)</sup>  
 فَمَا يُرْجَى مِنْكُمْ إِنْ عَزَلْتُمْ      وَعَصَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِأَنْيَابِهَا عَصَا<sup>(٢)</sup>  
 وَتَسْتَرْجِعُ الْأَيَّامُ مَا وَهَبَتْكُمْ      وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ تَسْتَرْجِعُ الْقَرْضَا<sup>(٣)</sup>

### القضاء غالب<sup>(٤)</sup>

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ      لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورِ الْقَضَا<sup>(٥)</sup>

(١) إذا أوتيتُم نعماً من الله تعالى ولم تجودوا على عباده، وبقيت الأمور ماضية معكم، وقد استطعتم أن تبسطوا أيديكم لمن أردتم، وأن تقبضوها عن الآخرين.

(٢) فهلا فكرتم في يوم تُعزلون فيه مما أنتم عليه، وتُكشر لكم الدنيا عن أنيابها، وتعضكم بمصائبها عضاً مؤلماً.

(٣) وقد تسترجع الأيام ما وهبتكم إياه من خير وجاه، لأن هذا يعتبر قرضاً والقرض سيُستردّ في يوم مهما طال أمده.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٢٩٦، ويلاحظ أن البيت الأخير يختلف في القافية فهو ليس من الأبيات وقد نسب هذا البيت للربيع بن خيثم، انظر المستطرف ٢/ ٢٩٤.

(٥) إذا أصيب المرء بمرض، فإنه يستعين بالطبيب لينقذه، ولكن الطبيب بكل ما أوتي من علم وبراعة، لا يستطيع ردّ القضاء الذي أَراده الله تعالى.

مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالدَّاءِ الَّذِي      قَدْ كَانَ يُبْرَى مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى <sup>(١)</sup>  
هَلَكَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي      جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى <sup>(٢)</sup>

### قف بالمحصَّب <sup>(٣)</sup>

يَا رَاكِباً قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنِىٍّ      وَاهْتَفِ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ <sup>(٤)</sup>  
سَحَرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنِىٍّ      فَيَضًا كَمُلْتَظِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ <sup>(٥)</sup>  
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي <sup>(٦)</sup>

(١) ومن العجيب أن ترى طبيباً، مات جراء أحد الأدوية التي كان يعالج مرضاه منها، فقد كان يستطيع أن يداوي بعضهم ويشفيه، فما له لا يستطيع مداواة نفسه؟.

(٢) إن القضاء إذا حُمَّ، رأيت من يداوي، والمداوى، ومن أحضر الدواء للمريض، وكذلك من باعه، كل أولئك تراهم أصبحوا في قبضة الموت لا يستطيعون حراكاً.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٧١/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٥١، ومعجم الأدباء ٣١٠/١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٢٩/١، والنجوم الزاهرة ١٧٧/٢، وتاريخ ابن عساكر ٤٠٧/١٤، والانتقاء ٩٠-٩١.

(٤) أيها الساعي إلى الديار المقدسة، قف في مكان رمي الجمار في منى، واهتف من أعماق قلبك في خيف منى وما ارتفع فيها من الأرض.

(٥) اهتف بهذا النداء سَحَرًا، في الوقت الذي يفيض الحجيج فيه إلى منى، وهم كأمواج الفرات المتلاطم.

(٦) قلْ بملء فيك، إن كان حب آل النبي محمد ﷺ، يُعَدُّ رَفْضًا فليشهد الإنس والجن بأنني أرتضي الرفض مذهباً لي.

### جفاء الصديق<sup>(١)</sup>

- لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَفَاهُ أَخُوهُ      أَظْهَرَ الدَّمَ أَوْ تَنَاوَلَ عِرْضًا<sup>(٢)</sup>  
 بَلْ إِذَا صَاحِبِي بَدَا لِي جَفَاهُ      عُدْتُ بِالْوَدِّ وَالْوَصَالِ لِيَرْضَى<sup>(٣)</sup>  
 كُنْ كَمَا شِئْتَ فَإِنِّي حُمُولٌ      أَنَا أَوْلَى مَنْ عَن مَسَاوِيكَ أَغْضَى<sup>(٤)</sup>



- 
- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٠ / ٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٤ .  
 (٢) جفاه: قاطعه وخاصمه . الدم: ذمه شنع عليه وتكلم عليه بسوء . إن نفسي طيبة - والحمد لله - فأنا لست ممن إذا قاطعه صديقه أو خاصمه لشيء طراً ، بدأ يتكلم بكل سوء وينسى ما كان بينهما من مودة ورعاية للعهد وصون العرض .  
 (٣) ولكنني من أولئك الذين إذا أظهر له صاحبه شيئاً من الجفاء بادلته بإظهار الود والمحبة ، ولم أترك وصاله حتى ترضى نفسه وتطيب .  
 (٤) يا من يصاحبني ، كن كما شئت في تعاملك معي ، فإنني قد عقدت العزم على تحمل ما يبدر منك ، وسأكون أول من يغض الطرف عن مساوئك إن ظهر لي منها شيء .

## قافية العين

### الدُّلُّ فِي الطَّمَعِ <sup>(١)</sup>

حَسْبِي بِعِلْمِي إِنْ نَفَعُ      مَا الدُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ <sup>(٢)</sup>  
 مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ رَجَعَ      عَنْ سُوءِ مَا كَانَ صَنَعَ <sup>(٣)</sup>  
 مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعَ      إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ <sup>(٤)</sup>

### الحسود <sup>(٥)</sup>

وَذِي حَسَدٍ يَغْتَابُنِي حَيْثُ لَا يَرَى      مَكَانِي وَيُثْنِي صَالِحاً حَيْثُ أَسْمَعُ <sup>(٦)</sup>

- 
- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٦/٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٤ ، ونسبت الأبيات لعبد الله بن المبارك ، انظر جامع بيان العلم ١٦٣ .
- (٢) إن كنت ممن أوتي شيئاً من العلم ، فانتفعت به وعملت بمقتضاه ، فإن في ذلك كفاية لي ، ولا أطلب المزيد لأن الطمع يورث الدل .
- (٣) إن الذي يراقب الناس بعين ناقدة ، فيرى عاقبة الطامعين والمنحرفين ، إن ذلك يحفزه إلى الرجوع عن كل سيئة بدرت منه تجاه الآخرين .
- (٤) والدنيا لا تثبت على حال ، فإذا ارتفع فيها الإنسان وحلّق وظنّ أنه لن يهبط فهو مخطئ ، لأن الطائر مهما علا في الجو ، فإنه سيهوي أخيراً .
- (٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٥/٢ ، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١ .
- (٦) هناك من يحمل نفساً خبيثة ، يحسدني عندما لا يراني ، ويتمنى زوال نعم الله تعالى عني ، أما إن ضمنا المجلس ، فيكيل لي المدح والثناء .

تَوَرَّعْتُ أَنْ أَغْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَمَا هُوَ إِذْ يَغْتَابُنِي مُتَوَرِّعٌ<sup>(١)</sup>

## الحر والعبد<sup>(٢)</sup>

الْعَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنَعَ وَالْحُرُّ عَبْدٌ إِنْ طَمَعَ<sup>(٣)</sup>  
فَاقْنَعْ وَلَا تَطْمَعْ فَلَا شَيْءٌ يَشِينُ سِوَى الطَّمَعِ<sup>(٤)</sup>

## ترك الشرّ للشرّ أقطع<sup>(٥)</sup>

وَلَقَدْ أَسْمِعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّمَا تَذَكَّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يَصْدَعُ<sup>(٦)</sup>  
وَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بَشَاشَةً كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ<sup>(٧)</sup>  
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ غَيْرَ أَنَّنِي أَرَى تَرَكَ بَعْضَ الشَّرِّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ<sup>(٨)</sup>

(١) إني أتورع أن أقع في غيبته إذا لم يكن حاضراً في مجلس، أما هو فإنه يخوض في حديث ينال مني بشتى السبل، ولا يتورع عن فعل ذلك أبداً.

(٢) مقدمة الأم للشافعي.

(٣) كل إنسان يملك أمر نفسه إن شاء جعلها حرة، وإن شاء جعلها في عداد العبيد، إنه عندما يقنع بما في يده يجعلها حرة، أما إن طمع فهو يلقيها في أوحال العبودية.

(٤) إذا؛ اتخذ القناعة شعاراً لك، ولا تجعل الطمع يستحوذ عليك فإنه أسوأ صفة في الحياة.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٦/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٥.

(٦) يصدع: يتمزق. قد أسمع أحياناً كلاماً من بعض الناس فتهيج نفسي وأشعر بالضيق، ويكاد قلبي يتمزق غيضاً كلما تذكرته.

(٧) بشاشة: بشراً وسروراً. لكنني على الرغم من ذلك، أبدي البشاشة وطلاقة الوجه لمن بدا منه ذلك، وكأني مغتبط بما سمعت منه في حقي.

(٨) وليس ذلك تيهاً وتكبراً مني، ولكنني فكرت في أمري، فوجدت أن ترك شيء من الشر يقطع دابر الشر كله، وفي ذلك خير للجميع.



## نفع صديق<sup>(١)</sup>

وأرسل رحمه الله تعالى إلى محمد بن الحسن بهذين البيتين حين حُبس بالعراق :

لَسْتُ أُدْرِي مَا حِيلَتِي غَيْرَ أَنِّي      أَرْتَجِي مِنْ جَمِيلِ جَاهِكَ صُنْعًا<sup>(٢)</sup>  
وَالْفَتَى إِنْ أَرَادَ نَفْعَ صَدِيقٍ      فَهُوَ يَدْرِي فِي أَمْرِهِ كَيْفَ يَسْعَى<sup>(٣)</sup>

## إذا لم تستح فاصنع ما شئت<sup>(٤)</sup>

إِذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضًا وَلَمْ تَخْشَ خَالِقًا      وَتَسْتَحِيَ مَخْلُوقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ<sup>(٥)</sup>

## دعوة المظلوم<sup>(٦)</sup>

وَرُبَّ ظَلُومٍ قَدْ كُفِّتَ بِحَرِّهِ      فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيَّ وُقُوعٍ<sup>(٧)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٦/٢ .

(٢) إنني في عسر من أمري، ولا أدري الوجه الصحيح للتخلص منه، لكنني أتوسم فيك خيراً كثيراً، إن صنعت لي معروفاً بما تتمتع به من جاه .

(٣) والأخ الصدوق، إذا أراد نفع صديقه لا يعدم سبيلاً للوصول إلى نفعه، وجعله من السعداء .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٨/٢، ونسب البيت لأبي دلف العجلي، انظر بهجة المجالس ٥٩٣/٣ .

(٥) إذا كنت ممن لا يحفظ كرامة عرضه، ولم يكن في قلبك خشية من الديان الذي سوف يحاسبك على أعمالك، وإن كنت من أولئك الذين لا يستحون من خلق الله تعالى، فاصنع ما شئت، لأنك فقدت كل رادع .

(٦) هذه الأبيات لجمال الدين بن نباته انظر ديوانه ٣١٤ .

(٧) ظلوم وظالم معنى واحد . الظلم ظلمات، إن كثيراً من الذين يظلمون الناس، قد لا تقدر على مواجهته، إن مثل هذا الإنسان سوف يوقعه القدر في شر لا يستطيع الخلاص منه .

فَمَا كَانَ لِي الْإِسْلَامُ إِلَّا تَعَبُداً      وَأَدْعِيَةً لَا تُتَّقَى بِدُرُوعٍ<sup>(١)</sup>  
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلَفَهُ      سِهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيِّ رُكُوعٍ<sup>(٢)</sup>  
مُرِيَّشَةً بِالْهُدْبِ مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ      مُنْهَلَّةً أَطْرَافَهَا بِدُمُوعٍ<sup>(٣)</sup>

#### محال في القياس<sup>(٤)</sup>

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ      هَذَا مَحَالٌّ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ<sup>(٥)</sup>  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ<sup>(٦)</sup>

(١) إن الإسلام عقيدة وعبادة خالصة، وبعد ذلك أدعية إلى الخالق سبحانه، وإن هذه الأدعية بحق الظالم لا يردّها درع ولا حجاب.

(٢) قسي: سهام. وكيف ينجو الظالم من عقاب الله تعالى العادل، وهناك أناس ظلموا من قبله، وهؤلاء يطلقون أدعيتهم راكعين، كسهام تنطلق من ألسنة المظلومين.

(٣) كناية عن لصوق الأهذاب بها والمعنى أن دعاء المظلوم مرسل إرسال السهم لأنها مبتلة بدموع الجفن. وهي سهام قد صنعت لبيل المظلومين، الذين يكون رجاء من خالقهم أن ينصفهم من هؤلاء الظالمين الذين قست قلوبهم وماتت ضمائرهم.

(٤) العقد الفريد ٢١٥/٣، والكامل للمبرد ٢٣٤/١، البيت الأول والثاني منسوبان لمحمود الوراق، ونسبها صاحب بهجة المجالس للشافعي وزاد في الهامش: وتنسب أيضاً لذي الرمة، انظر زيادات الديوان، ونسبها صاحب شعراء النصرانية للنابغة الذبياني وليس هذا صحيحاً.

(٥) إن من دلائل الحب، أن تطيع المحبوب، فإن كنت تحب الإله الذي خلقك ومنحك كل ما أنت بحاجة إليه. إن كنت تدعي حبه ثم تعصيه، فهذا محال في المنطق والعقل، لا يقره عاقل.

(٦) إن حبك الصادق لمولاك يجعلك مطيعاً له في أحوالك كلها، إذ إن القاعدة =

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَذِيرُكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضَيِّعٌ<sup>(١)</sup>

### المفتي المكي<sup>(٢)</sup>

روى ياقوت الحموي فقال : بلغني أن رجلاً جاء الشافعي برقعة فيها :

سَلِ الْمُفْتِيَ الْمَكِّيَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إِذَا اشْتَدَّ وَجْدُ بَامِرِيٍّ كَيْفَ يَصْنَعُ<sup>(٣)</sup>  
قال : فكتب الشافعي تحته :

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ<sup>(٤)</sup>  
فأخذها صاحبها وذهب بها، ثم جاءه، وقد كتب تحت هذا البيت،  
الذي هو الجواب :

فَكَيْفَ يُدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غَصَّةٌ يَتَجَرَّعُ<sup>(٥)</sup>

= البديهة أن كل محبّ يطيع محبوبه في كل شيء .

(١) ونعم الله تعالى دائمة متجددة، وهي تتوالى في كل يوم، بينما أنت سادر في غفلتك مضيع لهذا الشكر الواجب عليك .

(٢) معجم الأدباء ٣٠٦ / ١٧ - ٣٠٧، وقد قال الأصمعي : بينما كنت أسير في البادية . . وساق القصة على أنها حدثت معه .

(٣) الوجد : شدة الحب . عندي سؤال لهذا المفتي المكي المنتسب إلى آل هاشم الكرام، ماذا يصنع امرؤ إن اشتد به حب ولم يستطع أن يتحمّله إلا بشقّ النفس .

(٤) إن السبيل إلى ذلك أن يبادر إلى مداواة هذا الحب، ولا يبوح بهذا الحب الذي ملك عليه نفسه، وأن يتخذ الصبر درعاً له، وأن يخضع لمشية المولى تعالى .

(٥) غصة : الحزن والهم . وأنى يستطيع أن يداوي مابه، وهو يكاد أن يقضي عليه، وإن كل يوم يمر به يسقيه من العذاب والهموم ألواناً .

فكتب الشافعي رحمه الله تعالى :

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) أمّا إن غلبه الشوق، ولم يستطع التحمل والصبر على ما أصابه، فليس له دواء يشفيه من ذلك إلا الموت .

## قافية الفاء

### من هم الأصدقاء<sup>(١)</sup>

إِذَا الْمَرءُ لَا يَرَعَاكَ إِلَّا تَكَلَّفَا      فَدَعَهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأْسُفَا<sup>(٢)</sup>  
 فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرِكِ رَاحَةٌ      وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهَوَّاكَ قَلْبُهُ      وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوُدَادِ طَبِيعَةً      فَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا<sup>(٥)</sup>

- (١) جواهر الأدب ٧١٩. الصديق الوفي نعمة من المولى تعالى، ولكن الأصدقاء المخلصين قليلون.
- (٢) تكلفاً: تصنعاً. إن المرء الذي لا يرفع لك حقاً في صداقته، إلا وهو يتكلف ذلك ويتصنعه، فالأجدر بك أن تتركه وتبعد عنه، فإن مثل هذا الإنسان لا يؤسف على تركه واجتنابه.
- (٣) والدنيا ممتلئة بالناس، وباستطاعة العاقل أن يتخير الأصحاب الأوفياء من بينهم، وإن ترك مثل ذلك الصاحب المتكلف راحة للقلب، والمرء يستطيع التصبر على قلب حبيب مخلص له، ولو بدر منه بعض الجفاء.
- (٤) وليس كل امرئ تحبه وتخلص له، يبادلك الشعور نفسه، ولا كل إنسان أصفيت له المودة يبادلك الصفاء نفسه، فطباع الخلائق مختلفة.
- (٥) إن المودة وصفو المحبة إن لم تكونا طبيعة مغروسة في النفس فلا خير فيهما، ولا فائدة ترجى من حب متكلف غير صادر عن قلب مفعم به.

وَلَا خَيْرَ فِي خَلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا<sup>(١)</sup>  
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفِيَ<sup>(٢)</sup>  
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقٌ الْوَعْدِ مُنْصِفاً<sup>(٣)</sup>

### لِلَّهِ سِرٌّ خَفِيَ<sup>(٤)</sup>

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقْلِبِهِ مَهْذَبُ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ يَتَحَرَّفُ<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُخْتَلِطٍ كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ<sup>(٦)</sup>

- (١) ولا خير في خليل لا يرعى لخليله حرمة الصداقة والمودة، فيخونه ويتنكر له، ويلقاه بالجفاء والغلظة بعد أن يدعي الصحبة والمودة.
- (٢) وهو أيضاً ينسى العيش الصافي الذي مرت أيامه بهما، وكأن شيئاً من ذلك لم يكن، ويتمادى في النكران وعدم المحافظة على حرمة ما كان بينهما فيفشي بعض الأسرار التي كان قد أؤتمن عليها.
- (٣) لا خير في الدنيا عندما تبلغ الأمور إلى هذا الحد من الأصدقاء، فسلام عليها ووداعاً للحياة كلها إذا لم تستطع الظفر بصدیق صدوق وفي للعهد، ينصفك من نفسه قبل أن يطلب منه ذلك.
- (٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٩١/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٣، وانظر روضة العقلاء ١٣. ونسبت إلى سفيان بين عيينة، انظر العقد الفريد ٢٩٠/٢.
- (٥) مهذب الرأي: قوي الفكر. إن الله تعالى حكماً قد لا ندركها، إذ قد نرى إنساناً مكتمل القوة، يتوجه إلى مقاصده بهمة ونشاط، وهو ذو عقل راجح، وفكر ثاقب، مع ذلك ترى أن رزقه كفاف.
- (٦) يغترف: يأخذ. وإنك ترى آخر ضعيفاً غاية الضعف، تفكيره محدود، وآراؤه مختلطة، تنظر إلى هذا الإنسان، فتراه موسعاً عليه في رزقه، وكأنه يغترف المال من البحر.

هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ لَهُ سِرٌّ خَفِيٌّ عَلَيْنَا لَيْسَ يَنْكَشِفُ<sup>(١)</sup>

### المتنسون<sup>(٢)</sup>

وَدَعَ الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ تَنَسَّكُوا وَإِذَا خَلَوْا فَهُمْ ذُنَابُ حِقَافٍ<sup>(٣)</sup>

### العقاب والذباب<sup>(٤)</sup>

أَكَلَ الْعُقَابُ بِقُوَّةٍ جِيفَ الْفَلَا وَجَنَى الذُّبَابُ الشَّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفُ<sup>(٥)</sup>

### كيف الوصول<sup>(٦)</sup>

كَيْفَ الْوَصُولُ إِلَى سُعَادٍ وَدُونَهَا قُلُلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفُ<sup>(٧)</sup>

(١) وهذه الظاهرة أكبر دليل على أن للإله العظيم سرّاً في تدبير خلقه، لا يعلمه إلا هو وهذا السر محجوب عن الخلق، لا يعلمه إلا هو سبحانه.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٤/٢، وطبقات الشافعية للسبكي ١٦٣/١، وحلية الأولياء ١٥٤/٩، وآداب الشافعي ومناقبه ٢٧٢.

(٣) حقاف: جمع حقف، وهو ما اعوج من الرمل واستطال. لا يلتفت إلى الذين يدعون التدين والزهد أمام الناس ويظهرون مكرهم وغدرهم وسوء خلقهم عندما لا يراهم أحد، لأن المسلم الحق الذي يستحق التقدير هو الذي يوافق ظاهره باطنه ويخشى الله في السر والعلن.

(٤) نور الأبصار.

(٥) العقاب: طائر كاسر. قد تكون أضعف المخلوقات مصداقاً للخير، فالعقاب الشديد يهوي على رفات الحيوانات الميتة في الصحراء ويأكلها بقوة، أما الذباب الضعيف ومنه النحل فإنه يجني أصناف العسل، وهو من أضعف مخلوقات الله تعالى.

(٦) نسبهما ابن المستوفي في تاريخ اربل ١٦٩/١ لأبي الفداء إسماعيل بن محمد بن وهب ابن محمد الصوفي الجزري.

(٧) قلل الجبال: الجبال العالية. حتوف: مفردها حتف وهو الموت والهلاك. =

وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَلَا لِي مَرْكَبٌ وَالْكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخَوْفٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

= كيف لي أن أصل إلى غايتي وطموحي، وعليّ أن أصعد في سبيل ذلك قمم الجبال، وأن أعرض نفسي لأنواع من الهلاك؟! .

(١) ومما يجعل أمري عسيراً غاية العسر، أنني لا أملك حذاء، وليس لي مركب يبلغني إلى ما أريد، وفوق ذلك فليس لي مال، والطريق إلى هدفي محفوف بالمخاطر والأهوال .



## قافية القاف

### ارحل عن دار الدُّلّ<sup>(١)</sup>

ارحل بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا      وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ<sup>(٢)</sup>  
 مَنْ ذُلٌّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِلَدَّتِهِ      فَلَا غَتْرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ<sup>(٣)</sup>  
 وَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْتُ فِي مَوَاطِنِهِ      وَفِي التَّغْرُبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ<sup>(٤)</sup>  
 وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ      فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطَّرْقِ<sup>(٥)</sup>

- (١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٣٠٧، وجواهر الأدب ٧٢٥. إن الكريم لا يقيم إلا في دار تحفظ له مكانته، ويرتحل عن أخرى لا تهتم به.
- (٢) تضام: تهان وتظلم وتذل. إذا ابتليت بالمقام في أرض تهان وتظلم فيها، ولا يعرف لك ساكنوها حقاً ولا ذمة، فما عليك إلا أن ترحل عنها، وألا يصيبك من جراء ذلك همٌّ أو غمٌّ، بسبب مفارقتك الأهل والأحباب.
- (٣) إن من يصاب بالمهانة، وعدم الاحترام بين أهله وعشيرته الذين يقيمون معه، فلا غتراب شرف له وعزٌّ، أما البقاء فهو عين الضعف والانخزال.
- (٤) إن العنبر على طيب رائحته، وتسابق الناس في اقتنائه والاستفادة منه، فإن الكثيرين لا يقيمون له وزناً في موطنه، أما إذا نقل من أرضه، فإنه يصبح عزيزاً محمولاً على الأعناق والأكف.
- (٥) وكذلك الكحل فهي في موطنها الأصلي نوع من الأحجار لا يؤبه لها، وكثيراً ما تكون هذه الأحجار منتشرة في الطرقات على مرأى من الناس. ولكنها بعد انتقالها من موطنها، صارت مادة من مواد الزينة، موطنها بين الأجفان والأحداق.

لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ<sup>(١)</sup>

## حلاوة العلم<sup>(٢)</sup>

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْذُّ لِي مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ<sup>(٣)</sup>  
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ وَالْعُشَاقِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَلْذُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِذَفِّهَا نَقْرِي لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْراقِ<sup>(٥)</sup>  
وَتَمَائِلِي طَرَباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ<sup>(٦)</sup>  
وَأَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيَّنَتْهُ نَوْماً وَتَبَغْيَ بَعْدَ ذَلِكَ لِحَاقِ<sup>(٧)</sup>

(١) حاز: نال.

(٢) نور الأبصار ٢٥٦، ونسبها صاحب منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين لتاج الدين السبكي، انظر منهاج اليقين ١٢٧، ونسبت الأبيات للزمخشري، انظر مقدمة كتاب (الفائق في غريب الحديث) ٨/١. العلم غذاء العقل وبهجة الروح لمن يعرف قدره.

(٣) العالم المشغوف بعلمه، والمتطلع أبداً للاستزادة منه، والمهتم بمعرفة الجديد منه، يجد في السهر لذة، أين منه السهر مع الغانيات ووصلهن.

(٤) حتى إن صرير أقلام العالم فوق صفحات أوراقه، أطرب لسمعه، وأحلى من ضجيج أولئك الذين يجتمعون لقتل الوقت بالسهر مع المعشوقين، وتبادل الهوى معهم.

(٥) وكذلك فإن نقره الرمل عن أوراقه التي أودعها خلاصة فكره، وعصارة ذهنه، إن صوت الرمل هذا المتساقط عن الأوراق ألد عنده من نقر غانية على دفها طرباً للسامعين.

(٦) عويصة: المسألة الصعبة الحل. أما عندما يوصله البحث والتأمل إلى حل مسألة عويصة مما يكدر ذهنه فيها، فهو يتمايل نشوة وطرباً، وهذا التمايل والطرب أشهى عنده من الخمرة التي يقدمها الساقى إلى زبائنه.

(٧) إن من يطلب العلم والمعرفة، يطيب له السهر، ويهجر الكرى، فيصبح علماً

## لا تأخذ بعثرات الناس<sup>(١)</sup>

روى الفخر الرازي عن الشافعي رضي الله عنه :

إِذَا رَافَقْتَ فِي الْأَسْفَارِ قَوْمًا فَكُنْ لَهُمْ كَذِي الرَّحِمِ الشَّفِيقِ<sup>(٢)</sup>  
لَعَيْبِ النَّفْسِ ذَا بَصَرٍ وَعِلْمٍ وَأَعْمَى الْعَيْنِ عَنْ عَيْبِ الرَّفِيقِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَأْخُذْ بِعَثْرَةِ كُلِّ قَوْمٍ وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ تَأْخُذْ بِعَثْرَتِهِمْ يَقْلُوا وَتَبْقَى فِي الزَّمَانِ بِلاَ صَدِيقٍ<sup>(٥)</sup>

= من أعلام المعرفة ، أما أولئك الذين ينامون الليل ملء جفونهم ، فأني لهم  
للحاق بمثل هذا الإنسان ؟!

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٤ / ٢ ، ومناقب الشافعي للرازي ١١٣ ، ونسبت  
الآبيات لعبد الله بن المبارك ، انظر كتاب عبد الله بن المبارك للمحتسب  
١٦٤ .

(٢) حسن المعاشرة خلق كريم ، فإذا صحبت أناساً في سفر ، فالأولى لك أن  
تعاملهم برفق ورحمة ، وكأنك واحد من ذوي أرحامهم .

(٣) وكن شديداً مع نفسك ، راقب عيوبها ، وحاول على الدوام إصلاحها ، أما  
الآخرون فغض الطرف عن مساوئهم ، وبذلك تكسب ودهم ، وتدوم لك  
صحبتهم .

(٤) عثرة : أي هفوة ، فلا تتبع العثرات تصيد العيوب والسقطات . ولا تكن  
متربصاً بهم ، تحصي عليهم الأخطاء والهفوات ، وكن مرشداً خيراً لهم ، كلما  
عثرت الأمور ، وادعهم إلى متابعة السفر .

(٥) إنك إن أحصيت على القوم هفواتهم ، وكان ديدنك العتاب على أخطائهم ،  
فإنك ستخسر الكثيرين ، وربما جاءك يوم لا تلقى فيه صديقاً .

### الغريب<sup>(١)</sup>

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ مَخَافَةٌ سَارِقٍ وَخُضُوعٌ مَدْيُونٍ وَذَلَّةٌ وَامِقٌ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا تَذَكَّرَ أَهْلَهُ وَبِلَادَهُ فَقَوَّادُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ<sup>(٣)</sup>

### الأحمق<sup>(٤)</sup>

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ<sup>(٦)</sup>

### المكر والملق في الناس

لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْمَلَقُ شَوْكٌ إِذَا لَمَسُوا زَهْرًا إِذَا رَمَقُوا<sup>(٧)</sup>  
فَإِنْ دَعَتْكَ ضَرُورَاتُ لِعِشْرَتِهِمْ فَكُنْ جَحِيمًا لَعَلَّ الشَّوْكَ يَحْتَرِقُ<sup>(٨)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٥/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٤ .

(٢) الوامق: المحب. الغربة تجلب الكربة، والغريب عن أهله ووطنه ينتابه في كثير من الأحيان الخوف وكأنه سارق ملاحق، أو يصيبه الانكسار الذي يصاحب المديون، أو تغشاه ذلة المحبين عندما يلتقون بالمحبوب .

(٣) أما إذا طافت به الذكرى إلى حيث أهله الذين فارقهم، وبلاده التي نأى عنها، عندها يتحول قلبه إلى جناح طائر يديم الخفقان شوقاً وحنيناً .

(٤) شذرات الذهب ١١/٢ .

(٥) صدر الإنسان مستودع سره، فإن أذاع سره وأفشاه بين الناس، ثم ألقى باللائمة على من يذيعه ويشيعه، فهو أحمق حقاً .

(٦) إذا لم يتسع صدر الإنسان لسره وضاق عنه، فكيف بإنسان آخر يحفظه له ولا يذيعه؟ إن هذا الشيء عجاب!

(٧) لقد سرى في كثير من الناس خُلُقُ المكر والملق، وهذان خلقان ذميّمان تأباهما النفوس الكريمة، إذا لمستهم كانوا كالشوك ملمساً، أما إذا نظروا إليك، فتحسب أنهم زهر أنيق .

(٨) وإذا اضطرت لمعاشرة مثل هؤلاء الخلائق، فلا تظهر لهم جانب اللين، بل =

## توكلت على الله

- تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَّيْنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي <sup>(١)</sup>  
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَاقِمِ <sup>(٢)</sup>  
سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ <sup>(٣)</sup>  
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ <sup>(٤)</sup>

## العقل لا يغني

- لَوْ كُنْتُ بِالْعَقْلِ تُعْطَى مَا تُرِيدُ إِذَنْ لَمَا ظَفِرْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَرْزُوقِ <sup>(٥)</sup>

= كن كالنار علك تحرق شوك نفوسهم فيضمحلون .

- (١) ورزقكم في السماء وما توعدون . . هذا هو شعار المؤمن الحق الذي يثق بوعد خالقه ، فهو يباشر الأسباب من جوانبها كلها ، ثم يتوكل على الله تعالى الذي خلق المخلوقات وتكفل بأرزاقها .
- (٢) العوامق : مفردا عميق وهي بمعنى واحد . إن ما قسم لي من رزق لا بد واصل إليّ مهما طال الزمن ، وتشابكت الأسباب ، حتى إنه لو كان في قاع البحار والمحيطات الموغلة في العمق فلا بد أن يصل إليّ .
- (٣) إن الله سبحانه وتعالى ، سيسوقه إليّ ما في ذلك شك ، لأنه ذو الفضل ، وهو الذي وعد بأن ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها ، ومن أصدق من الله قيلاً ؟ .
- (٤) إذن اطمئن أيها الإنسان ، ولا تذهب نفسك حشرات في هم الرزق ، فقد كفأك الله مولاك مؤنة ذلك ، فما عليك إلا أن تسعى سعياً كريماً ، وأن تكل الأمور بعد ذلك إلى خالق الأكوان ، فهو الرزاق ذو القوة المتين .
- (٥) الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء ، فلو كنت أيها الإنسان تحصل على آمنياتك كلها بذكائك وعقلك ، فقد لا تجد واحداً يرزق بكل ما تمنّاه لأن الناس متفاوتون في الذكاء والعقول .

رُزِقَتْ مَالاً عَلَى جَهْلٍ فَعِشْتَ بِهِ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَجْنُونٍ بِمَرْزُوقٍ<sup>(١)</sup>

## العقل والمال ضدان<sup>(٢)</sup>

أخرج الحافظ ابن حجر وتاج الدين السبكي بأسانيدهم إلى أبي حيان النيسابوري قال: دخل عباس الأزرق على الشافعي رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله؛ قد قلت أبياتاً إن أنت أجزت مثلها لأتوبن من قول الشعر. فقال الشافعي رضي الله عنه: إيه. فأنشأ يقول:

مَا هِمَّتِي إِلَّا مُقَارَعَةُ الْعِدَا      خَلَقَ الزَّمَانُ وَهَمَّتِي لَمْ تَخْلُقِ<sup>(٣)</sup>  
وَالنَّاسُ أَعْيُنُهُمْ إِلَى سَلْبِ الْغِنَى      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْحِجَابِ وَالْأَوْلَقِ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ كَانَ بِالْحِيلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي      بِنُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعَلَّقِي  
فَقَالَ الشافعي رضي الله عنه: هلا قلت كما أقول. وأنشأ مترسلاً:  
إِنَّ الَّذِي رُزِقَ الْيَسَارَ وَلَمْ يُصِبْ      أَجْراً وَلَا حَمداً لَغَيْرُ مُوَفَّقٍ<sup>(٥)</sup>

(١) قد ترزق أموالاً طائلة، وتجمع من متاع الدنيا الكثير، وأنت جاهل، ولكن المال أعانك، والحقيقة أنك لست بأول مجنون تفتح عليه أبواب الرزق، فأشباهك كثر.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ١/١٦١، وشذرات الذهب ٢/١١، وتوالي التأسيس ٧٤ - ٧٥، والعمدة ١/١٨، ونزهة الجليس ٢/٢٠٩، وحماسة الظرفاء ١/١٠٨.

(٣) خلق: بلي.

(٤) الحجاب: العقل. والأولق: الولق: إسراعك في الشيء في إثر الشيء، وولق الحديث: أنشأه واخترعه.

(٥) إن الذي أفاض الله تعالى عليه الرزق واليسار، ولم يكسب جراء ذلك أجراً ولا حمداً، بأن ينفقه في وجوه البر والخير، إنه إنسان جانبه التوفيق.

وَالْجِدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ      وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ <sup>(١)</sup>  
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً حَوَى      عُوْدًا فَأَثْمَرَ فِي يَدَيْهِ فَصَدَّقِ <sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً أَتَى      مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَغَاصَ فَحَقَّقِ <sup>(٣)</sup>  
وَلَرَبِّمَا عَرْضَتْ لِنَفْسِي فِكْرَةٌ      فَأَوْدُ مِنْهَا أَنَّنِي لَمْ أُخْلَقِ <sup>(٤)</sup>  
لَوْ كَانَ بِالْحِيلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي      بِأَجَلِّ أَسْبَابِ السَّمَاءِ تَعَلَّقِي <sup>(٥)</sup>  
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَا حُرِمَ الْغِنَى      ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرَّقِ <sup>(٦)</sup>  
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ      بُؤْسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ <sup>(٧)</sup>

- (١) العمل والدأب يقربان كل أمر بعيد المنال، كما أن الحظ الذي هو هبة من المولى تعالى يفتح كل باب مغلق، ويجعل العسير سهلاً.
- (٢) فإذا سمعت يوماً، أن امرأاً أوتي من الحظ نصيباً، أمسك عوداً يابساً لا حياة فيه، وانقلب هذا العود إلى أخضر مشمر، فصدق ذلك.
- (٣) وكذلك إذا نقل إليه بأن محروماً من نعمة الحظ قد ورد على نبع ماء ليشرب منه، فغاص ذلك الماء وجف، فصدق ذلك أيضاً.
- (٤) وقد تمر بالإنسان لحظات، يسرح فيها خياله، وتتوارد عليه خواطر، مثل هذه الخواطر والفكر، تجعلني أتمنى أنني لو لم أخلق أصلاً.
- (٥) ولو أن الغنى نتيجة ذكاء المرء وحسن تصرفه لكنك من السابقين في ذلك، وأكاد في هذا أرقى إلى التعلق بحبال توصلني إلى الذرا.
- (٦) ولكن حكمة الله العلي القدير وتدبيره، شاء ألا يجتمع العقل والغنى في شخص واحد، إلا ما ندر، فكان الغنى والعقل ضدان لا يجتمعان.
- (٧) وأكبر دليل على أن قضاء الله تعالى هو النافذ، وأنه مختص به وحده جل شأنه، أنك ترى اللبيب الحاذق، يعيش في بؤس، بينما الأحمق الجاهل يرفل في السعادة والنعيم.

وَأَحَقُّ خَلَقَ اللهُ بِأَلْهِمَّ امْرُؤٌ ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ<sup>(١)</sup>

### البرُّ قد يكون عقوقاً<sup>(٢)</sup>

روى ابن خلكان في تاريخه هذا البيت عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال :

رَأَى نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقاً<sup>(٣)</sup>

### الكتابة قيد<sup>(٤)</sup>

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ قَيْدٌ صُيُودَكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةِ<sup>(٥)</sup>

فَمَنْ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً وَتَتْرُكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً<sup>(٦)</sup>

### مُداراة العدو<sup>(٧)</sup>

وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَلَنَارِهِ وَامْرُجْ لَهُ إِنَّ الْمِرْزَجَ وَفَاقُ<sup>(٨)</sup>

(١) وإني أرى أن أحق الخلق بأن يكون مهموماً، هو ذلك الإنسان الذي يمتلك همّة عالية جداً، وهو ينشط في المجالات كلها، ولكن حصاد ذلك عنده عيش ضيق وأفق مسدود.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨.

(٣) كثيراً ما يظنّ الإنسان أنه إذا قام بعمل ما فإنه ينفع الآخر، ولكن هذا النفع قد ينقلب دون قصد من فاعله إلى عكس ما أراده.

(٤) أحسن القصص ٤/ ٧٥، وهو ينقل عن الجوهر النفيس.

(٥) العلم كالصيد، وكما أن الصيد تجب المحافظة عليه بحبسه وقيدته، فكذلك العلم، يجب أن يُوثَّق ويُقَيَّد بالكتابة حتى لا يُنسى.

(٦) ومن الحمق البين أن ترى صائداً يطلق الغزالة التي صادها دون أن يربطها، بل جعلها طليقة تسرح بين الخلائق، فمصيورها عند ذلك معروف.

(٧) هذان البيتان نسبا للشافعي وهما لابن نباته، انظر الديوان.

(٨) لا يخلو الإنسان من عدو أو مبغض له، فإذا ابتليت بشيء من هذا، ولم =



فَالنَّارُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا تُعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ<sup>(١)</sup>

### اعرف الحق<sup>(٢)</sup>

اعرفِ الحقَّ لِذِي الحقِّ إِذَا حَقَّ لَهُ الحقُّ<sup>(٣)</sup>

لَا خَيْرَ فِيمَنْ يُنْكَرُ الحقَّ لِذِي الحقِّ إِذَا حَقَّ لَهُ الحقُّ<sup>(٤)</sup>

### علمي معي

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعْنِي قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقٍ<sup>(٥)</sup>

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

= تستطيع التخلص منه ، فاسلك سبيل المداراة معه ، وامزج له اللين مع الشدة ، وفي هذا نوع من الوفاق .

(١) والماء الذي هو ماحقٌ للنار قد يعطي نتيجة غير متوقعة ، لأنها قد تتحمل شيئاً منه ، وتكون النتيجة من الحسن بمكان .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٧/٢ .

(٣) على الإنسان أن يعرف لكل ذي حق حقه ، فيوفيه إياه دون إبطاء .

(٤) ولا خير ولا دين لمن ينكر على الناس حقوقهم ، وذلك عندما تجب لهم هذه الحقوق فيجب أداؤها دون مماطلة أو تسويف .

(٥) إنني أحمل علمي في صدري فهو محفوظ فيه لا في السطور ، فهو معي أينما ذهبت وحيث توجهت ، فإنه ينفعني وأستفيد منه ، وقد جعلت قلبي له وعاء ، فهو يحفظه وهو يسكن فيه لا في كتب تستقر في أعماق الصناديق .

(٦) فحيثما حللت حل العلم ، فإن كنت في البيت كان العلم معي في البيت ، أو كنت في السوق كان العلم في السوق ، فقد جعلته في صدري ، فحيثما حللت حل العلم .

## قافية الكاف

### تولُّ أَمْرِكَ<sup>(١)</sup>

مَا حَاكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ      فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا قَصَصْتَ لِحَاجَةً      فَاقْصِدْ لِمُعْتَرِفٍ بِقَدْرِكَ<sup>(٣)</sup>

### رَأْسُ الْغِنَى<sup>(٤)</sup>

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى      فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكٌ<sup>(٥)</sup>  
فَلَا ذَا يِرَانِي عَلَى بَابِهِ      وَلَا ذَا يِرَانِي بِهِ مِنْهُمْ<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٧/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٥ - ١١٦، وشذرات الذهب ١١/٢، وتاريخ دمشق ٢٠٧/١٠.
- (٢) وقديماً قيل هذا المثل، فالإنسان ملزم أن يباشر أموره كلها بنفسه لأنه يعلم الصغيرة والكبيرة منها.
- (٣) أما إذا أعوزتك الأمور، وأصبحت مضطراً لطلب عون من أحد، فلا تقصد إلا من يعرفك ويعترف بفضلك، وإلا فسوف تريق ماء وجهك سدى.
- (٤) تنسب هذه الأبيات للإمام أبي زكريا النووي المتوفى ٦٧٦ هـ.
- (٥) إن القناعة هي الغنى الحق، والطمع هو الفقر، ولذلك فإن القناعة هي أساس الغنى، فأنا متمسك بأذيالها لا أبتغي بها بدلاً.
- (٦) منهمك: مشغول به ومهتم. وحيي للقناعة أورثني عزة نفس، فلا أحد يراني واقفاً على بابهِ ألتمس منه معروفاً، ولا آخر يراني مشغولاً به، مهتماً لما سيطلبه مني.

فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْهَ الْمَلِكِ<sup>(١)</sup>

### الفساد الكبير<sup>(٢)</sup>

فَسَادٌ كَبِيرٌ؛ عَالَمٌ مُتَهَتِّكٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ<sup>(٣)</sup>

هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ لِمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ<sup>(٤)</sup>

### المبارك<sup>(٥)</sup>

تَأَدَّمُنِي بِالزَّيْتِ قَالَتْ: مُبَارَكٌ وَقَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ هَذَا الْمُبَارَكُ<sup>(٦)</sup>

### شقاء<sup>(٧)</sup>

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَمَنْ تُحِبُّ يُحِبُّ غَيْرَكَ<sup>(٨)</sup>

(١) وبهذا الخلق الرفيع، شعرت بالغنى الحقيقي، على الرغم من أن مالي قليل، وصرت أمشي بين الناس وكأنني قد ملكت كل شيء.

(٢) المجموعة المباركة للقلنقولي، ومفتاح السعادة ٣٧/١ دون نسبة.

(٣) إنه لفساد كبير، ومصيبة عظيمة، أن ترى عالماً يرتكب الآثام والموبقات، وأدهى من ذلك أن ترى جاهلاً لا يفقه من أمور الدين شيئاً، يظهر التنسك والعبادة والصلاح.

(٤) إن هذين الصنفين هما بلاء للعالمين وشر مستطير، فإن الذين يتمسكون بدينهم حقاً، سوف يصابون بخيبة أمل شديدة جراء ذلك.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٢/٢.

(٦) قدّمت لي أُمِّي إداماً، هو الزيت، وقالت: إنه زاد مبارك وقد أحرق الأكباد هذا المبارك من كثرة تناولي له.

(٧) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ٢١٣، وتوالي التأسيس ٧٤.

(٨) إن غاية الشقاء للمرء، أن تحب إنساناً ويشغف قلبك به، وإذا بك تتحقق أن هذا الذي تحبه، لا يبادلك الحب بل يحب غيرك.

أَوْ أَنْ تُرِيدَ الْخَيْرَ لِإِنِّ سَانٍ وَهُوَ يُرِيدُ ضَيْرَكَ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) وكذلك الأمر إذا أخلصت لشخص، وأردت له الخير، لكنك تلمس أنه لا يريد إلا الإضرار بك.

## قافية اللام

### الاستخفاف بحق الله تعالى<sup>(١)</sup>

لَمْ يَبْرَحِ النَّاسُ حَتَّى أَحَدَثُوا بِدْعاً      فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ يُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ      وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ<sup>(٣)</sup>

### الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ<sup>(٤)</sup>

الْمَرْءُ يَحْظَى ثُمَّ يَعْلُو ذِكْرُهُ      حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ<sup>(٥)</sup>  
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ عَيْبُهُ      يَشْقَى وَيُتَحَلُّ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ<sup>(٦)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧١/٢، والبداية والنهاية ٢٥٤/١٠، وتاريخ دمشق ١٩٠/١٠.

(٢) زين لبعض الناس أن يأتوا بأشياء، ويبتكروا أموراً في الدين، لم يتحدث بها الرسل، ولم يخوضوا فيها.

(٣) حتى إن كثيراً منهم استخف بحق الله تعالى نتيجة انصرافه إلى هذه البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وكان الأولى بهم أن يعرفوا حقه تعالى حق المعرفة، فيشغلهم ذلك عن الانصراف لغيره من الأمور.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٩١/٢، وتوالي التأسيس للعسقلاني ٧٣.

(٥) ينجح بعض الناس في حياتهم، فيعلو ذكرهم، ولا يرى المحيطون بهم شيئاً من عيوبهم، حتى إن كثيراً من الأحداث والأمور تنسب إليهم، وهم لم يفعلوا شيئاً منها.

(٦) ينحل: يُرمى ويُنهم. أما الخائب في حياته فقد ازدادت عيوبه، وسيصبح شقياً حقاً، لا يصيب خيراً أتى توجهه، وعلى العكس من ذلك، فإن كثيراً من =

## آل رسول الله ﷺ وخلفاؤه<sup>(١)</sup>

- إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلَيَّ فَإِنَّا رَوَافِضُ بِالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ<sup>(٢)</sup>  
وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ رُمِيتُ بِنَصْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنَصْبٍ كِلَاهُمَا بِحُبِّيهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ<sup>(٤)</sup>

## الإخوان قليل في النَّائِبَاتِ<sup>(٥)</sup>

- صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَرِيْنُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلٌ<sup>(٦)</sup>

= المثالب والعيوب تلصق به وهو منها براء .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٠/٢، وتوالي التأسيس ٧٤، وحلية الأولياء ١٥٢/٩ .

(٢) إن كثيراً من الجهلاء يعتقدون أن من يكرم الإمام علي ويفضله على غيره، إن كثيراً من هؤلاء يتهمونه بأنه رافضي .

(٣) بنصب: أي ناصب أهل البيت بالعداء . أما إذا ذكرت فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنني أتهم عند هؤلاء الجهلاء بأني أناصبهم العداء وأحط من قدر علي رضي الله عنه .

(٤) أوسد: أوضع في القبر . ولا زالت هذه التهمة قائمة، هذا يتهمني بالرفض، وذاك يتهمني بالتحدي، وسوف تبقى هذه الفرية ملتصقة بي إلى أن أفارق الحياة .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٦/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٢٠٥، ونسبت الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، انظر الديوان المنسوب إليه ص ١٠٠، وروى الشريشي عن الربيع بن سليمان أنه أنشد الأبيات إنشاداً، انظر شرح المقامات ١٣٩/٢ . الأصدقاء والخطاء كثيرون . . . ولكن الإخوان الحقيقيين أقلاء .

(٦) صن: احفظ . على الإنسان أن يحفظ نفسه عن كل ما يشوه صورتها الكريمة، وأن يسعى دائماً لتزيينها بمكارم الأخلاق، وأنبل العادات، فإن =

وَلَا تُؤَلِّسَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا      نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ      عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ      إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ      وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ<sup>(٤)</sup>

= ذلك يرفعها في أعين الناس قاطبة، ويعيش صاحبها سالماً من قالة السوء، ولا يُذكر إلا بالجميل من القول.

(١) تولين: تظهرن وتبدين. تجملاً: تصبراً. نبا: أصابك وجفاك. وعليه أيضاً أن يدرع بالصبر في أحواله كلها، لأن الصبر من شيم الرجال، وهو مَرَّ المذاق لكنه جليل الفائدة في نهاية المطاف، ومصاحبة الصبر والتحلي به يجب أن تكون صفة ملازمة وليست شيئاً عابراً، سواء في ذلك عند مواجهة مصائب الدهر، أو جفوة من بعض الإخوان.

(٢) وأن يصبر على ضيق العيش، والإنسان معرض لمثل هذا، فالتحمل والصبر في مثل هذه المواقف من المروءة والرجولة بمكان، والضيق حالة عارضة لا تلبث أن تزول، لأن كل عسر يرافقه يسر، ولا بدّ لهذه النكبات والمصائب من الزوال، وعودة مجرى الحياة إلى ما كان عليه.

(٣) أما ذلك الإنسان الذي لا يُعرف له لون، يصحبك اليوم، ويجفوك غداً، يُظهر لك الود طوراً، والقطيعة والبعد أحياناً، يميل مع رياح الحوادث حيث تميل، إن مثل هذا الإنسان لا يؤمن جانبه، ولا خير في مودته وصحبته، والبعد عنه ربح وغنيمة.

(٤) النائبات: الشدائد. ألا ما أكثر الأصدقاء وما أوفر عددهم حينما تحصيهم، إنهم كثر، وعددهم يفوق ما يرجوه الإنسان، ولكن هذا العدد الوفير يضمحل ويتناقص، وربما يغيب حقاً عند نزول المحن وحلول النائبات.

## لا يولد المرء عالماً<sup>(١)</sup>

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرءُ يُولَدُ عَالِماً      وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ      صَغِيرٌ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِماً      كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَحَافِلُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بَدُونٍ وَلَا يَكُنْ      نَصِيكَ إِرْثٌ قَدَّمْتَهُ الْأَوَائِلُ<sup>(٥)</sup>

## استغن بالله<sup>(٦)</sup>

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلَّوْا      فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلٌّ<sup>(٧)</sup>

- (١) نسب الجاحظ الأبيات لرجل من قيس ، انظر البيان والتبيين ١/ ٢١٦ .
- (٢) العلم نور ، فتعلم أيها المرء ما يفيدك وازدد من العلم كل يوم ، فالإنسان لا يولد عالماً ، بل يصبح كذلك عندما يمتلك إرادة التعلم ، وليست مرتبة العالم كالجاهل .
- (٣) والكبير في قومه إذا لم يملك ثروة من العلم تزينه ، صغير في أعين الناس ، وخاصة عندما يكون في جمع من الناس ولا يستطيع أن يفيدهم بشيء .
- (٤) أما صغير السن في قومه ، عندما يملك علماً مفيداً ، تراه كبيراً في عيون مَنْ يلقونه جميعاً ، يأخذون منه ويحتفلون به .
- (٥) وعليك أيها الإنسان الكريم ألا ترضى إلا بعيش شريف يجعلك مرموقاً بين أقرانك ، ولا ترض من عيشك بما ورثته عن الآباء والأجداد ، فإن ذلك لا يُغني كثيراً .
- (٦) نتيجة الأفكار ١١ . من استغنى بغير الله افتقر ، ومن اعتر بغير الله ذل .
- (٧) تمسك بحبل الله تعالى وكن مستغنياً به عما في الوجود قاطبة ، تكن أغنى الخلق وأسعدهم ، ولا تركز إلى الوقوف بباب الملوك والأمراء ، فمصاحبة الكثيرين من هؤلاء خسارة ، لهذا فإن العاقل الكريم يبعد عن التفيز بظلال هؤلاء ، ويسعى للابتعاد عنهم .



مَآذَا تُؤَمِّلُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلَّوْا<sup>(١)</sup>  
فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ أَبْوَابِهِمْ كَرَمًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ<sup>(٢)</sup>

### طالب الحكمة<sup>(٣)</sup>

لَا يُدْرِكُ الْحِكْمَةَ مَنْ عُمِرُهُ يَكْدَحُ فِي مَصْلَحَةِ الْأَهْلِ<sup>(٤)</sup>  
وَلَا يَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا فَتًى خَالٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالشُّغْلِ<sup>(٥)</sup>  
لَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ الَّذِي سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ بِالْفَضْلِ<sup>(٦)</sup>

(١) جاروا: اعتدوا وظلموا، ملوا: سئموا وضجروا. لا يمكن الركون إليهم، والاطمئنان إلى صحبتهم فهم إن رضوا عنك وكنت طوع إرادتهم سوف يملون قربك، ولا يجدون لك في نفوسهم هيبة أو وقاراً، أما إن غضبوا فالويل لك، لأنهم سوف يصلونك من جفائهم وظلمهم ألواناً لا تقوى على تحملها والصبر عليها.

(٢) أما إن أردت الغنى الحقيقي والطمأنينة التي لا يعقبها قلق أو خوف، فعليك بلزوم باب مولاك وطلب الغنى من فضله، فهو الذي يعطي بلا حساب ولا من، وهو الذي يشعر بالعزة والكرامة كلما ازدادت تذلاً وتواضعاً بين يديه، وعلى النقيض من ذلك فإن الوقوف بباب أولئك ذل ومهانة.

(٣) الكشكول ٣٠٣/١، ومنهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٧٥.

(٤) إن تحصيل العلم والحكمة يحتاجان إلى ذهن صاف متفرغ، أما من كان ذا عيال يكد ويكدح ليؤمن لهم حاجاتهم، فإن ذلك عسير عليه.

(٥) والعلم يتطلب ممن يطلبه أن يكون خالي الذهن، كل همه التزود من العلم والمعرفة، بعيداً عن أن يشغل فكره ووقته في أمر آخر.

(٦) إن لقمان الحكيم، والذي يضرب به المثل في المعرفة، إن هذا الإنسان الذي تجاوزت سمعته وفضله وحكمته الآفاق، هذا الإنسان على جلال قدره.

بُلِي بِفَقْرٍ وَعِيَالٍ لَمَّا فَارَّقَ بَيْنَ التَّبَنِ وَالْبَقْلِ<sup>(١)</sup>

### الموت ولا الدُّل<sup>(٢)</sup>

لَذُلُّ السُّؤَالِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ كِلَاهُ وَجَدْنَاهُ طَعْمًا وَيِيلاً<sup>(٣)</sup>  
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ إِحْدَاهُمَا فَمَشِيَ إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا جَمِيلًا<sup>(٤)</sup>

### طريق المعالي<sup>(٥)</sup>

بَقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي<sup>(٦)</sup>  
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ<sup>(٧)</sup>  
تَرَوْهُ الْعَزُّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغْوِصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي<sup>(٨)</sup>

(١) لو ابتلي بفقر وعسر في العيش وكثرة العيال، لكان فرداً كغيره من الناس، ولربما كان من الصعب عليه التفريق بين التبن وأنواع الخضراوات الأخرى التي يأكلها البشر.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٥/٤، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٤، وقد نسبهما صاحب الصناعتين لبشامة بن الغدير وروى البيت الأول:

هَوَانُ الْحَيَاةِ وَخَزْيُ الْمَمَاتِ فَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيِيلاً  
(٣) ما أصعب أن يصل المرء إلى أن يسأل غيره ويستعطفه في كثير من أموره إن هذا الموقف من الإنسان، وهول سكرات الموت، هما في درجة واحدة.

(٤) وإن ضاقت الدنيا بالإنسان، وكان لا بد له من أن يختار أحدهما، فإن المشي إلى الموت أكرم من ذل السؤال، ذلك لأن فيه راحة للكريم.

(٥) مرآة الجنان ٢٦/٢.

(٦) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، فبقدر الكد والجهد اللذين يبذلهما المرء يكتسب معالي الأمور، ومن أراد العلا والرفعة، لا بد له من السهر الطويل.

(٧) أما من يحلم بالحصول على الأمور النفيسة دون أن يبذل جهداً أو تعباً، فإن عمره سيضيع منه، لأنه يطلب المستحيل من الأشياء.

(٨) أيها المرء، إنك تبغي العز والسودد ولا تبذل في سبيل ذلك شيئاً، بل تنام =

### زادني علماً بجهلي<sup>(١)</sup>

كُلَّمَا أَذَّنِي الدَّهْرُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي<sup>(٢)</sup>

وَإِذَا مَا أَزْدَدْتُ عِلْماً زَادَنِي عِلْماً بِجَهْلِي<sup>(٣)</sup>

### آخِذْ بِالْفَضْلِ<sup>(٤)</sup>

عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتَ بِالْفَضْلِ آخِذٌ وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَفَضَّلُ<sup>(٥)</sup>

### مَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي<sup>(٦)</sup>

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّ إِلَى أُمُورٍ يُقْصَرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي<sup>(٧)</sup>

= قرير العين، أوما علمت أن من يطلب اللآلي، فلا بد له من غوص البحار وتحمل المشقات.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٧/٣، وقال: ومن الشعر المنسوب إلى الشافعي.

(٢) الحياة مدرسة وأي مدرسة، فكلما صاحبت دهري وازددت أدباً منه، أراني صورة حقيقية لنقص عقلي.

(٣) وكذلك الأمر بما لدي من علم، فإنني كلما ازددت علماً ومعرفة، أدركت مبلغ جهلي.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٢/٢، وحلية الأولياء ١٥٤/٩.

(٥) أنت يا من أخاطبه، قد حزت شرف الفضل في كل أحوالك، ولا يكون الفضل إلا لمن يبذله ويقدمه للآخرين.

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٨١/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٦، ونسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣٤٠/١ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب راجع ديوانه ٦٧.

(٧) تتوق: تشاق، مبلغن: بلوغن. النفس البشرية تتطلع إلى كثير من الأمور، وإن نفسي واحدة منها، فإني أطمح إلى أشياء أفعلمها، وأفكار أحققها ولكن ضيق ذات اليد يحول دون ذلك.

فَنَفْسِي لَا تَطَاوَعُنِي بِبُخْلِ وَمَالِي لَا يُبْلَغُنِي فَعَالِي <sup>(١)</sup>

### لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْفَقْرِ <sup>(٢)</sup>

لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْفَقْرِ مَنْ هُوَ فِي غِنَى وَمُصَحَّحُ الْأَعْضَاءِ لَيْسَ كَمَنْ بُلِيَ <sup>(٣)</sup>  
كَمْ فَاقَةً مَسْتَوْرَةً بِمَرُوءَةٍ وَضَرُورَةً قَدْ غُطِّيَتْ بِتَجَمُّلٍ <sup>(٤)</sup>  
وَيَسْمُ مَنْ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجِي قَدْ صَادَفَتْهُ غَمَّةٌ لَا تَنْجَلِي <sup>(٥)</sup>  
وَالنَّاسُ جَمْعاً عِنْدَ كُلِّ كُفُوٍّ وَالْهَمُّ مُفْتَرَقٌ وَمَا أَحْلَهُ خَلِي <sup>(٦)</sup>

(١) وإن نفسي الأبية لا ترضى مني أن أكون شحيحاً بخيلاً، ولكن قلة ما أملكه من المال يجعل مما أطلع إلى تحقيقه صعباً.

(٢) ديوان الشافعي لجامعه إبراهيم هبة طبع في القاهرة ١٣٢٦ هـ. من ذاق طعم الفقر عرفه، ومن لم يذقه فإن وصفه لا يغنيه.

(٣) بلي: ابتلي. إن الفقر مَرَّ المذاق، شديد الوطأة على النفس، وكاد أن يكون كفراً، والأغنياء لا يعرفون هذه المرارة، ولا يشعرون بقسوتها، كما أن صحيح الجسم، سليم الأعضاء لا يشعر بالوهن والضعف كمن ابتلي بمرض أو عاهة في جسمه.

(٤) غير أن هناك أناساً كراماً أعفة لا تشعر بفقرهم، لأن المروءة قد جعلتهم يأنفون من الشكوى وإظهار الفاقة، فهم لا يظهرون إلا كل جميل من المظهر، ولكنك لو سبرت أغوار نفوسهم لَعَلِمْتَ أنهم يسدلون على آلامهم وعوزهم أثواب التجمل والصبر، ومن غير الكريم يتخذ التجمل عدة له وشعاراً؟

(٥) شجي: حزين. إن أولئك الكرام يسمون للناس، وكأنهم لا يحملون من الهم والضيق شيئاً، وإن من يخالطهم لا يشعر بشيء مما في نفوسهم، ولا يحس ما بقلوبهم التي أتعبها الهم والحزن، وهم يتجلدون لكل غَمَّةٍ تعترضهم، ولا يزدادون إلا تحملاً وعزماً.

(٦) والناس جميعاً أكفاء متساوون في المظهر الخارجي من حياتهم، ولكن =

لو سَوَّدَ الهمُّ المَلَأِسَ لم تجدْ      بيضَ الثَّيابِ على امرئٍ في محفلٍ<sup>(١)</sup>  
وإذا أرادَ المرءُ يجلوهُمَّهُ      عن نفسه مِنْ نَفْسِهِ لا تَنجَلِي<sup>(٢)</sup>

### أعمش كَحَالٍ<sup>(٣)</sup>

جاءَ الطَّيِّبُ يَجُشِّنِي فَجَسَّسْتُهُ      فإذا الطَّيِّبُ لِمَا بِهِ مِنْ حَالٍ<sup>(٤)</sup>  
وَعِدا يُعالِجُنِي بِطُولِ سَقَامِهِ      وَمِنْ العَجَائِبِ أَعْمَشُ كَحَالٍ<sup>(٥)</sup>

### إن ظفرت بهم<sup>(٦)</sup>

اسقِهمُ السُّمَّ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِمْ      وَامْرِجْ لَهُمْ مِنْ لِسَانِكَ العَسَلَا<sup>(٧)</sup>  
وقال في أدب المجالس<sup>(٨)</sup>:

- = الهموم والأحزان هي التي تميز بينهم وتضع كلاً في طريق مغاير للآخر .
- (١) ولو أن الهم تجسد بلون أسود، وصبغ ألبة الخلأ، كل واحد يرتدي من سود الثياب كفاء ما يحمله من الهم، عند ذلك لا ترى من يرتدي شيئاً من بيض الثياب في أي محفل من محافل القوم .
- (٢) وكثيراً ما يحاول الإنسان أن يزيل همومه وأتراحه بنفسه من نفسه، ولكنه لا يستطيع ذلك في كثير من الأحيان .
- (٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١١٠ / ٢ ، وإتحاف السادة المتقين ٥٢١ / ٩ .
- (٤) جاءني الطبيب يعالجني، فجسس يدي، وإذا بي أشعر أن الطبيب يشكو الذي أشكو منه .
- (٥) صار يعالجني وهو يعاني من مرض يشكو منه زمناً طويلاً، ومن عجائب الدهر أن ترى كحالاً يُطَبِّبُ عيون الآخرين، وهو عاجز عن معالجة عينيه .
- (٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٦ / ٢ وزاد: كان الشافعي يتمثل بهذا البيت .
- (٧) إن رأيت من لا خلاق لهم، وهم من شرار الناس، فاسقهم السم إن استطعت واضبط لسانك معهم، واجعله ليناً، فالمدارة فن .
- (٨) سمير المؤمنين ١٦٠ .

إِذَا رُمْتَ الدُّخُولَ عَلَى أَنَاسٍ      فَكُنْ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَقْلَى<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ رَفَعُوكَ كَانَ الْفَضْلُ مِنْهُمْ      وَإِنْ أَبْقَوْكَ قُلْ هَذَا مُحَلِّي<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

---

(١) إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةَ أَنَاسٍ فَكُنْ مُتَوَاضِعاً مَعَهُمْ ، وَأَشْعِرْهُمْ بِأَنَّكَ أَقْلٌ مِنْهُمْ مَرْتَبَةً وَقَدْرًا .

(٢) فَإِنْ قَدَّرَكَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ ، وَرَفَعُوا مِنْ مَقَامِكَ وَمَنْزِلِكَ ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْهُمْ وَتَكْرِيمًا ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، فَقُلْ لِنَفْسِكَ هَذِهِ مَنْزِلَتِي ، وَهَذَا هُوَ مَقَامِي الَّذِي أَرْضَى بِهِ .

## قافية الميم

### أَنْثُرُ دُرّاً عَلَى الْغَنَمِ <sup>(١)</sup>

<p>أَنْثُرُ دُرّاً بَيْنَ سَارِحَةِ النَّعَمِ لَئِنْ كُنْتُ قَدْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ فَإِنْ فَرَجَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ بَثَّتْ مُفِيداً وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ</p>	<p>أَنْظِمُ مَنُشُوراً لِإِرَاعِيَةِ الْغَنَمِ <sup>(٢)</sup> فَلَسْتُ مُضَيِّعاً بَيْنَهُمْ غُرَرَ الْكَلِمِ <sup>(٣)</sup> وَأَدْرَكْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمِ <sup>(٤)</sup> وَالَا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَمِ <sup>(٥)</sup></p>
--	--

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٢/٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩٤/١، وحلية الأولياء ١٥٣/٩. على العالم أن ينشر علمه بين الراغبين فيه، ويحجم عن الجهلاء الذين لا يُقدِّرونه.

(٢) وهنا يتساءل هذا العالم الجليل مستنكراً: أيحسن بي أن أنثر ما أحمله من علم هو كالدرر لمن لا يعرف قيمته؟ أنثره لرعاة الغنم الذين لا يعبؤون بشيء سوى مواقع الكلال لمواشيهم؟ أم هل يجدر بي أن أنثر عقداً منظوماً لمن يراعون الجمال والشاء وغيرها من الحيوانات؟!.

(٣) لئن كان حظي أن أعيش في بلدة لا يعرف أهلها مكانتي وقدري ولا يشعرون بوجودي بينهم، إن كان الأمر كذلك، فأنا لست مجارياً لهم، فأسمعهم أدبي، وأبين لهم فقهي، لا لست كذلك.

(٤) وإذا تداركني الله تعالى بلطفه وكرمه، وفرج ما بي، وانتقلت إلى مدينة أخرى، يعرف أهلها منزلة العلم والعلماء، فالأمر مختلف.

(٥) بثت: نشرت، مخزون: مكنون ومستور. هناك سأفيدهم مما أفادني المولى به، وأنشر بينهم من العلوم المفيدة التي في جعيتي، وبذلك تنعقد =

وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَالَ عِلْماً أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ<sup>(١)</sup>  
سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَاقَتِي وَلَا أَثْرُ الدُّرِّ النَّقِيسَ عَلَى الْغَنَمِ<sup>(٢)</sup>  
وَكَاتُمُ عِلْمِ الدِّينِ عَمَّنْ يُرِيدُهُ يَبْوءُ بِإِثْمٍ وَأَثْمٍ إِذَا كَتَمَ<sup>(٣)</sup>

### صاحب العلم

رَأَيْتُ الْعِلْمَ صَاحِبُهُ كَرِيمٌ وَلَوْ وَلَدَتْهُ آبَاءٌ لِيَأْمَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْفَعُهُ إِلَى أَنْ يُعْظَّمَ أَمْرُهُ الْقَوْمُ الْكِرَامَ<sup>(٥)</sup>

= صَلَاتٌ وَثَقَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَرْزُقْ بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ، فَسَأُخْزَنُ مَا فِي صَدْرِي مِنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، وَأَكْتُمُهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَظَرُهَا.

(١) المستوجبين: المستحقين. إِنْ مِنْ يَمْنَحُ عِلْمَهُ لِلْجُهَالِ أَوْ يَجْلِسُ بَيْنَهُمْ فَيُحَادِثُهُمْ، فَهُوَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ، وَيَظْلِمُ الْعِلْمَ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَدْرِكُونَ مَكَانَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، أَمَا مِنْ كَتَمَ عِلْمَهُ عَنِ الرَّاعِبِينَ وَالْفَضْلَاءِ الْمُسْتَحْقِينَ لِهَذِهِ الْفَضَائِلِ، فَإِنَّهُ يَظْلِمُهُمْ بِتَصْرِفِهِ هَذَا.

(٢) النفيس: الثمين. لَقَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي، أَنْ أَحْتَفِظَ بِعِلْمِي وَمَعَارِفِي فِي صَدْرِي مَا اسْتَطَعْتُ، طَالَمَا أَنِّي لَا أَجِدُ مُسْتَحَقًّا لِهَذَا الْكَتْرِ، وَلَنْ أَثْرُ هَذَا الدَّرِ الثَّمِينِ عَلَى أَنْاسٍ هُمْ كَالْأَنْعَامِ.

(٣) أَمَا عِلْمُ الدِّينِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ، فَأَمْرُهُ أَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ يَكْتُمُهُ عَنِ الرَّاعِبِينَ فِيهِ، يَرْتَكِبُ سُوءًا عَظِيمًا وَيَأْثِمُ إِثْمًا كَبِيرًا، لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعِلْمِ يَجِبُ عَلَى الْعَالَمِينَ بِهِ أَنْ يَبْدُوهُ، وَيَجْهَدُوا فِي إِشَاعَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ.

(٤) رتبة العلم أعلى الرتب، لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ صَاحِبَ الْعِلْمِ كَرِيمٌ ذُو فَضْلٍ، وَلَوْ أَنَّهُ وَلَدَ مِنْ أَبَوَيْنِ وَضِيعَيْنِ، وَقَدْ يَكُونُ أَبَوَاهُ لَثَمِينَيْنِ.

(٥) وَلَا يَزَالُ هَذَا الْعِلْمُ يَرْفَعُ مَنَزَلَتَهُ وَيَعْلِيهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يَذِيعَ أَمْرَهُ وَيَنْتَشِرَ، وَيَصْبِحَ مَعْظَمًا لَدَى كِرَامِ الْقَوْمِ.



وَيَتَّبِعُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَرَاعِي الضَّأْنِ تَتَّبِعُهُ السَّوَامُ<sup>(١)</sup>  
 فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ رِجَالٌ وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَلَا الْحَرَامُ<sup>(٢)</sup>

### ثلاث مهلكات<sup>(٣)</sup>

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةٌ الْأَنَامِ وَدَاعِيَةٌ الصَّحِيحَ إِلَى السَّقَامِ<sup>(٤)</sup>  
 دَوَامٌ مُدَامَةً وَدَوَامٌ وَطْءٌ وَإِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ<sup>(٥)</sup>

### الزَّنى دَيْنٌ<sup>(٦)</sup>

عَفَّوْا تَعَفَّ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ<sup>(٧)</sup>  
 إِنَّ الزَّنى دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ<sup>(٨)</sup>

- (١) ويكون قدوة لهم في أمرهم كله، لا يصدرون إلا عن رأيه، وهو لهم كراعي الغنم يتقدم قطيعه فيتبعونه.
- (٢) العلم هو سبب سعادة الإنسان في الدارين، فلولا شرف العلم، لما سَعِدَ أناس وبلغوا قمة السعادة، ولولاه لما عرف أمر حلال من آخر حرام.
- (٣) أحسن القصص ١١٩/٤ وهو ينقل عن الجوهر النفيس.
- (٤) الاعتدال صفة محمودة، وقد ذكر أن ثلاثة أمور يجب أن يحذرهما الإنسان في حياته، ليحافظ على صحته وليتجنب الأمراض.
- (٥) أولها: الإدمان على تناول المسكرات، وثانيها: الإفراط في الاتصال الجنسي مع زوجه، وثالثهما: إرهاب المعدة، بأن يدخل عليها الطعام إثر الطعام بلا ضابط ولا راحة.
- (٦) أحسن القصص ١١٩/٤ وهو ينقل عن الجوهر النفيس. ونسبت الأبيات لشريك رضي الله عنه.
- (٧) الزنى من الكبائر، وعندما يلبس المرء لباس العفة ولا يتعدى حدوده، فإن نساءه ومحارمه يعفون كذلك، فعلى الإنسان تجنبه، وأن يبتعد عن كل ما لا يليق بالمسلم فعله.
- (٨) وليعلم الإنسان أن الزنى كالدين تماماً، فإن أقرضته لجهة ما، كان عليك أن =

يا هاتِكاً حُرَمَ الرِّجالِ وَقاطِعاً      سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ<sup>(١)</sup>  
لو كُنْتَ حُرّاً مِنْ سُلالةٍ ما جِدِ      ما كُنْتَ هَتاكاً لِحرمةِ مُسْلِمٍ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ يَزِنُ يَزِنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدارِهِ      إِنْ كُنْتَ يا هَذَا لَيْباً فَافْهَمِ<sup>(٣)</sup>

### الغيرة على العلم<sup>(٤)</sup>

وما أنا بِالغَيْرانِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ      إِذا أنا لَمْ أَضَحِ غَيوراً على عِلْمِي<sup>(٥)</sup>  
طبيبُ فُؤادِي منذُ ثَلَاثينَ حَجَّةً      وصِيقِلْ ذَهْنِي والمَفْرَجُ عَنْ هَمِّي<sup>(٦)</sup>  
عَزِيزٌ على مِثْلِي إِضاعَةُ مِثْلِهِ      لَمّا فِيهِ مِنْ نَسَجٍ بَدِيعٍ وَمِنْ نَظْمٍ<sup>(٧)</sup>

### أسباب الغنى

أَجودُ بِمَوْجودٍ وَلَوْ بِتُ طَاوِيأ      على الجوعِ كَشْحاً وَالْحِشَاءُ يَتَأَلَّمُ<sup>(٨)</sup>

= تعلم أن وفاءه سيكون من أهلك حتماً.

(١) وأنت يا من تعتدي على حرمان الناس، وتكون سبباً في قطع المودة بعملك هذا، سوف تعيش حياة نكد لا سعادة فيها ولا كرامة.

(٢) إنك لو كنت من أحرار الخلق، وكنت من سلالة ماجدين أطهار، لم تلجأ ولم تفكر مطلقاً أن تفضح ستر مسلم هو بمثابة أخ لك.

(٣) إن الزاني لا يسلم من أن يقتص منه، ولو اختلفت الطرق والمسالك، فالزم أيها العاقل طريق العفة وتمسك به تعش هانئاً.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠١/٢.

(٥) أنا لا أعد غيوراً على عرضي وأهلي إذا لم يكن لدي غيرة على العلم الذي هو أمانة في عنق النابهين من الخلائق.

(٦) إن هذا العلم كان شفاء لفؤادي منذ ثلاثين عاماً، وهو الذي كان يقدح ذهني بالأفكار السامية، وكان فوق هذا كله يفرج كربى لأنه نعم الرفيق.

(٧) إن أمثالي ممن يعرفون قيمة العلم يعز عليهم أن يضيعوه أو يفرطوا فيه، لأنه هو نسيج الحياة الراقية ومنظم لشؤونها.

(٨) البخل من أقبح الصفات، لذلك فإنني لا أبخل بما في يدي ولو كان قليلاً =

وَأَظْهَرُ أَسْبَابَ الْغِنَى بَيْنَ رِفْقَتِي لِيَخْفَاهُمْ حَالِي وَإِنِّي لَمُعْدَمٌ<sup>(١)</sup>  
وَبَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَشْكُو فَاقْتِي حَقِيقاً فَإِنَّ اللَّهَ بِالْحَالِ أَعْلَمُ<sup>(٢)</sup>

### لا تَطْعِ النَّفْسَ<sup>(٣)</sup>

خَفِ اللَّهَ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا تَطْعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأَبْشِرْ بِعَفْوِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا<sup>(٥)</sup>

### الَّيْلُ وَالنَّهَارُ<sup>(٦)</sup>

الَّيْلُ شَيْبٌ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا فَرَأْسِي لِكَثْرَةِ مَا تَدَوَّرُ رَحَاهُمَا<sup>(٧)</sup>

- = وسأبيت جائعاً، وسأخفي ذلك في داخلي مُتَحَمِّلاً الألم المضني .
- (١) ولن أظهر لأصحابي ورفاقي إلا الغنى، وسأخفي عنهم ما أكابده من الفقر والعدم، بل سيبقى ذلك مجهولاً بالنسبة إليهم .
- (٢) ولن تكون شكاتي، وإظهار ما بي من الفقر إلا لخالقي الرحيم، لأنه العالم بأحوال العباد، وهو الذي يمدهم بفضله وجوده إن شاء .
- (٣) نور الأبصار ٢٢٤، والروض الفائق ١٦، وتاريخ دمشق ١٠ / ٢١٠ .
- (٤) ليكن خوف الله العظيم مصاحباً لك في كل حال، ولا ترجو غيره لكل أمر عظيم صعب عليك بلوغه، وإياك أن تطيع نفسك المعاندة والمتمادية فتندم .
- (٥) وضع نصب عينيك دوماً الخوف والرجاء، وعليك أن تكون متطلعاً إليهما في كل حال؛ فالخوف يصرفك عن ارتكاب ما يغضب مولاك، والرجاء يجعلك متفائلاً مستبشراً على الدوام بمغفرته وإحسانه، وفي كل الأحوال كن مطمئناً إلى عفوه وإكرامه إن كنت من المسلمين .
- (٦) البداية والنهاية .
- (٧) الليل والنهار كالرحى تدور بالإنسان، تمرُّ الأيام بسرعة فلا يشعر الإنسان إلا وقت شاب رأسه، وبدأت شعلة الحياة تخبو .

يَتَنَاهَبَانِ لُحُومَنَا وَدِمَاءَنَا نَهْباً عَلَانِيَةً وَنَحْنُ نَرَاهُمَا<sup>(١)</sup>

لقد بلوتك<sup>(٢)</sup>

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتَ خَلِيقَتِي وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي<sup>(٣)</sup>

الرجاء سَلِّمْ لِعَفْوِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرَماً<sup>(٥)</sup>

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْماً<sup>(٦)</sup>

(١) إن الليل والنهار يستهلكان ما بنا من لحم وقوة، ويأخذان من دماننا دون إذن منا ولا استئذان، ونحن نرى ذلك ولا نستطيع فعل شيء حيال هذا.

(٢) حلية الأولياء ١٤٩/٩، وآداب الشافعي ومناقبه للرازي ٢٧٣، ونسب هذا البيت مع أبيات أخرى للبيد، انظر الديوان ٨٣-٨٤.

(٣) خليقتي: طبعتي وما جبلت عليه. لقد اخترتكم يا صاحبي وفي ذلك كفاية لتعليم أحدنا الآخر واختبرتني، وعرفت من طباعي الشيء الكثير، فلم تجد ضرورة لتعلمني كل ما أحتاج إليه.

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ٢٩٦/١، ومناقب الشافعي للبيهقي ١١١/٢، وتوالي التأسيس ٨٣، ومعجم الأدباء ٣٠٢/١٧، ومناقب الشافعي للرازي ١١٢، وآداب الشافعي ومناقبه ٧١، ونسبت الأبيات لأبي نواس، انظر بهجة المجالس ٣٧٩/١، ومعجم الأدباء ٣٠٢/١٧. المؤمن لا يقنط من رحمة ربه أبداً، فهو دائماً يوقن بالعفو من الرحمن الرحيم.

(٥) إلهي! الخلق كلهم يعيشون حياتهم بين خوف ورجاء وأمل، فهم يتوسلون إليك لتحقيق رغباتهم فيما يؤملون، إنهم يفعلون ذلك، ويلحون في طلبهم، وهم يعلمون تمام العلم أنهم مقصرون في أداء واجبات الطاعة لك.

(٦) ولما شعرت بقسوة في قلبي، ونظرت إلى ما حولي، فوجدت السبل كلها مغلقة أو ضيقة، لم أجد وسيلة أصل بها إليك إلا الرجاء، الذي هو أمان للقلب وطمأنينة له، فاتخذت منه سلماً على يوصلني إلى عفوك وصفحك. =

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ      بَعَفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا<sup>(١)</sup>  
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ      تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ      فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا<sup>(٣)</sup>  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصِيرُ لِحِجَّةٍ      فَأَهْنَأُ وَإِمَّا لِلسَّعِيرِ فَأَنْدَمًا<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ مُتَمَرِّدٍ      ظُلُومٍ غَشُومٍ لَا يُزَايِلُ مَآثِمًا<sup>(٥)</sup>

(١) تعاظمني: عظم علي. نظرت إلى أعمالي، فهالني ما أحصيت منها من الذنوب، وكاد اليأس يغزو فؤادي، ولكنني عندما عدت إلى نفسي وقرنته بعفوك الواسع الذي يغمر كل شيء، هدأت نفسي، وأيقنت أن عفوك أعظم مما بدر مني، بل إن عفوك يسع العالمين أجمعين.

(٢) إنك يا مولاي الرحيم، تعفو عن ذنوب عبادك مهما تعاظمت، وهذا العفو دائم لا ينقطع فإن الجود والكرم صفتان متلازمان لا تنفكان عن ذاتك العلية، فإنك تعفو وتجود منة وتفضلاً على عبادك المفتقرين إلى منك وتعتطفك.

(٣) أغوى: أضل. فلولا تفضلك لم يستطع واحد من بني آدم أن يصمد أمام غوايات إبليس ويسلك سبيل طاعتك، ويتمسك بتعاليم الهدى التي جاء بها رسلك الكرام، كيف لا؟ وقد استطاع إبليس أن يؤثر في أبينا آدم ويجعله يخالف أمرك.

(٤) ألا ليت أحداً يستطيع أن يدخل الطمأنينة إلى قلبي فيخبرني عن مصيري هل سأسعد بجنة عرضها السموات والأرض فأكون من السعداء، وأتمتع بالهناء والأمن، أو- لا سمح الله - سيكون مصيري النار التي أعدت للعاصين المعرضين عن ذكر الله فأكون من النادمين.

(٥) ظلوم وغشوم: ظالم. لا يزائل ماثماً: لا يترك إثماً. إلهي! إنك عفو كريم فإن تفضلت فعفوت عني، فإنك تمن علي عبد لم يطع أمرك كما يجب عليه أن يؤديه بل إنه ارتكب ظلماً في حياته، وهو لا يزال يكتسب آثاماً لا يعلمها إلا أنت أيها الإله الرحيم.

- وَأَنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ      وَلَوْ دَخَلْتُ نَفْسِي بُجْرَمِي جَهَنَّمَ<sup>(١)</sup>
- وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ      وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو تَرْحُمًا<sup>(٢)</sup>
- فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَارِفِ الذَّنْبِ إِنَّهُ      تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا<sup>(٣)</sup>
- يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ      عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَاتَمًا<sup>(٤)</sup>
- فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ      وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا<sup>(٥)</sup>
- وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ      وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا<sup>(٦)</sup>

(١) ولو أنك عاملتني بعدلك، فانتقمت مني وعاقبتني بما أستحق، فلن يدخل اليأس والقنوط إلى قلبي. بل أكثر من ذلك، فإن نفسي الظالمة المجرمة، لو دخلت جهنم فسوف تبقى متطلعة إلى رحمتك وغفرانك.

(٢) أنا - أيها العبد - الضعيف أقترف الذنب وأعرف أنه عظيم لا يليق بالعبد أن يبادر به مولاه ولكن شعوراً داخلياً قوياً، يراودني بأنك ستعفو ترحماً منك وتفضلاً.

(٣) رحم الله الإنسان الذي يعرف مولاه حق المعرفة، يعرفه برّاً رحيماً غفاراً، إنه لفرط وجده ومحبته لهذا الإله الكريم، تكاد أجفانه تفيض دماً شوقاً وامتناناً.

(٤) إنه يحيي ليله قائماً متبتلاً يذكر ربه ويتذلل إليه، ويتقرب من جنابه، وكأنه يندب نفسه ويقيم لها مأتماً على ما فرط في جنب مولاه الكريم.

(٥) ها هو ذا يُرزق الفصاحة في القول، عندما يستجدي فضل مولاه وكرمه، فلسانه لا يعجز عن الاستغفار والشكر، وكأنما تُصبّ الفصاحة عليه صباً، وفيما سوى ذلك عندما يخاطب الخلائق فكأنه يصاب بالعي والحصر.

(٦) ولا يزال الندم يراوده، أنا بعد أن، فهو يتذكر أيام شبابه وكيف أنه أنفق معظمها غافلاً عن ذكر مولاه وشكره، وكيف أنه كان سادراً في صحراء الجهالة والذنوب، يضرب فيها بسهام وافرة من الغواية.

فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ      أَخَا الشُّهْدِ وَالتَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا <sup>(١)</sup>  
يَقُولُ: حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي      كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤلاً وَمَغْنَمًا <sup>(٢)</sup>  
أَلَسْتَ الَّذِي غَذَّيْتَنِي وَهَدَّيْتَنِي      وَلَا زِلْتَ مَنَانًا عَلَيَّ وَمُنْعِمًا <sup>(٣)</sup>  
عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي      وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا <sup>(٤)</sup>

### أولئك أصحابي <sup>(٥)</sup>

أَجَاعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَخَافُوا وَلَمْ يَزَلْ      كَذَلِكَ ذُو التَّقْوَى عَنِ الْعَيْشِ مُلْجَمًا <sup>(٦)</sup>

(١) السهد: السهر وعدم النوم. إن تلك الذكريات المؤلمة أورثته همًّا كبيراً،  
لزمه بياض نهاره، ثم لا يلبث أن يعود إليه إبان نومه ورقاده، فيحرمه  
الكرى، ويظل يحدث نفسه ويلومها نادماً مستغفراً.

(٢) ينادي مولاه الحبيب الرحيم: رضاك مطلوبي وغاية تضرعي، وإنك نعم  
المستجيب لمن يأتيك راجياً عفوك وصفحك. فإن ظفر بذلك فليس وراء  
ذلك من مغنم.

(٣) خالقي العظيم! ألسنت الذي منحني الحياة ولم أكن شيئاً مذكوراً؟ فيسرت لي  
سبل الحياة بما وفّرت لي من غذاء، ومهدت لي طريق السعادة الأبدية عندما  
مننت علي بالهداية والرشاد، ولا تزال مناناً ومفضلاً ومنعماً عليّ، طالما  
امتد بي العمر إلى أن ألقى أجلي المحتوم.

(٤) أوزاري: مفردها وزر وهو الإثم والذنب. أرجو رجاء العبد الواثق من رحمة  
ربه وعفوه، أن تكرمني بمغفرة منك تمحو لي آثار ما زلت به قدماي، وتستمر  
آثامي التي ارتكبتها جهلاً وضعفاً، وأن يعم إحسانك جميع ما تقدم مني،  
فإنك أهل لذلك، وأنت على كل شيء قدير.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٤٨/١٠.

(٦) أصحابي كرام ورعون، إنهم لم يلهثوا خلف متع الدنيا، لذلك كانوا أكثر دهرهم جاعين  
وكذلك هم أولو الصلاح والتقوى، لا ينالون من العيش إلا القليل فهم  
يلجمون أنفسهم عن الانغماس في الشهوات.

أخو طيء داود منهم ومُسَعَّرٌ ومنهم وهيبٌ والعريبُ بنُ أذَهَمَا<sup>(١)</sup>  
وفي ابنِ سعيدٍ قدوةُ البرِّ والنَّهْيِ وفي الوارثِ الفاروقِ صِدْقاً مُقَدِّمًا<sup>(٢)</sup>  
وحسبُكَ منهم بالفضيلِ مع ابنه ويوسفَ إن لم يألُ أن يتَسَلَّمَا<sup>(٣)</sup>  
أولئك أصحابي وأهلُ موَدَّتِي فصلَّى عليهم ذو الجلال وسلَّمَا<sup>(٤)</sup>  
فما ضَرَّ ذا التَّقْوَى نِصَالُ أَسَنَّةٍ وما زالَ ذو التَّقْوَى أعزَّ وأكرما<sup>(٥)</sup>  
وما زالتِ التَّقْوَى تُرِيكَ على الفَتَى إذا مَحَضَ التَّقْوَى مِنَ الْعِرِّ مَيْسَمًا<sup>(٦)</sup>  
أخرج الفخر الرازي أن المزماني قال: قلت للشافعي رضي الله عنه: أنت  
توالي أهل البيت فلو عملت في هذا الباب أبياتاً، فقال:  
وما زالَ كتمانِيكَ حَتَّى كَأَنَّنِي بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِينَ لِأَعْجَمِ<sup>(٧)</sup>

- (١) من هؤلاء داود أخو طيء، ومُسَعَّر، ومنهم كذلك وهيب،  
والعريب بن أدهم.
- (٢) ولك في ابن سعيد قدوة للبر والتقوى، وفي من جاء بعد الفاروق، سلوك  
صادق يجعل صاحبه في مقدمة الزاهدين الصادقين.
- (٣) ويكفيك أن تعرف الفضيل وابنه، ويوسف إن لم يقصر في تسليم الأمور كلها  
لمولاه.
- (٤) هؤلاء هم أصدقائي وأصحابي الذين أودهم، وأكن لهم الحب الخالص،  
وأدعو الله الكريم أن يرحمهم ويغفر لهم ويعلي منازلهم.
- (٥) إن التقي الحق لا يضيره لسان حقود يطعن به، ويحط من قدره، لأن هذا  
الإنسان التقي أكبر وأعز من أن يهبط إلى مستوى هؤلاء المبغضين.
- (٦) وإن التقوى تضفي على صاحبها عزاً وكرماً يميّزانه، فيصبح علماً من أعلام  
الهدى، وذلك بفضل من المولى وكرمه. والميسم: العلامة والسمة.
- (٧) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٠/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٥٠، وقد  
نسب صاحب الحلية البيتين لنصيب الشاعر وإنما تمثل الشافعي بهما، انظر  
حلية الأولياء.



وَأَكْتُمُ وُدِّي فِي صَفَاءِ مَوَدَّتِي      لَتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَأَسْلَمُ

### عِزَّةُ اللَّهِ الْعَظْمَى<sup>(١)</sup>

بِمَوْقِفِ ذُلِّي دُونَ عِزَّتِكَ الْعَظْمَى      بِمَخْفِيِّ سِرِّي لَا أَحِيطُ بِهِ عِلْمًا<sup>(٢)</sup>  
بِإِطْرَاقِ رَأْسِي بِاعْتِرَافِي بِذِلَّتِي      بِمَدِّ يَدِي أَسْتَمِطِرُ الْجُودَ وَالرُّحْمَا<sup>(٣)</sup>  
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَعْضُ وَصْفِهَا      لِعِزَّتِهَا يَسْتَعْرِقُ النَّشْرَ وَالنَّظْمَا<sup>(٤)</sup>  
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِنْ: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟)      بِمَنْ كَانَ مُكْنُونًا فَعَلَّمَتْهُ الْأَسْمَا<sup>(٥)</sup>  
أَذِقْنَا شَرَابَ الْأُنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى      مُحِبًّا شَرَابًا لَا يُضَامُ وَلَا يَظْمَا<sup>(٦)</sup>

(١) نور الأبصار ٢٣٩، وأحسن القصص ١٠٤/١ وهو ينقل عن الجوهر النفيس.

(٢) إني أقف ذليلاً خاشعاً دون عزك الذي لا يوصف، وبحق أسرارك التي تودعها بعض الخلائق، والتي لا نحيط بعلمها، إلا ما أذنت لنا به.

(٣) وأسألك بحق إطراق رأسي لإجلالاً لعظمتك وهيبتك، وأسألك باعتراضي بذلي أمام عزتك التي لا تُرام، وأسألك ماداً يدي طالباً منك الرحمة التي كتبتها على نفسك تفضلاً.

(٤) وأستعطفك بحق أسمائك الحسنى وصفاتك الفضلى، التي لا يستطيع إيفاءها حقها من البيان نشر أو نظم.

(٥) مكنوناً: مستوراً ومخفياً. وأسألك ربي بعهدك القديم عندما كنت في عالم الدّر، عندما قلت: (ألسنت بربكم)، فأجبنا طائعين: بلى. وبكل ما لم أعرف من الأسماء الشريفة.

(٦) إلهي بما قدمت من ذل وخضوع واستعطاف، أرجوك أن تذيبني من شراب أنسك، هذا الشراب الذي إذا مننت به على مخلوق، برى من الظمأ والظلم والقهر.

## (١) العلم جلاء القلوب

مع العلم فاسلك حَيْثُمَا سَلَكَ الْعِلْمُ      وعنه فسائل كل مَنْ عِنْدَهُ فَهْمٌ<sup>(٢)</sup>  
 ففيه جلاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى      وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمٌ<sup>(٣)</sup>  
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ      وَذَوِ الْعِلْمِ فِي الْأَقْوَامِ يَرْفَعُهُ الْعِلْمُ<sup>(٤)</sup>  
 فَأَيُّ رَجَاءٍ فِي امْرِئٍ شَابَ رَأْسُهُ      وَأَفْنَى شَبَاباً وَهُوَ مُسْتَعْجِمٌ فَدَمٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَهَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنْظَرًا      مِنَ الشَّيْبِ لَا عِلْمٌ لَدِيهِ وَلَا حِلْمٌ<sup>(٦)</sup>

(١) نتيجة الأفكار (ص ٣). (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . . .).

(٢) أيها الإنسان العاقل؛ ابحث عن طريق العلم الذي ينير لك طريق حياتك، واسلكه ولا تتهاون في سبيل إدراكه، وفتش عن أهل العلم والمعرفة، والزهم وسائلهم في كل ما لا يظهر لك منه.

(٣) ففي العلم نور كاشف، يجعل القلب مجلواً من الظلام الذي يغشاه ويحجب عنه كل فائدة، فكأنه الدليل الذي يأخذ بيدك إلى طريق الرشاد، وهو قبل هذا كله عون على أن يدرك المرء تعاليم دينه، الذي هو قوام حياته كلها، فبمعرفة يسلك طريق جنة الخلد.

(٤) إن العالم مكرّم في قومه رفيع القدر يشار إليه بالبنان، ويتسابق الناس لمصاحبته والاستفادة منه. أما الجاهل فهو الذي يضع من مكانة أهله، فلا يقيم لهم الناس وزناً، ولا يشعرون بوجودهم، كما أنهم لا يشعرون بغيابهم إذا غابوا.

(٥) قدم: قليل الفهم، هل يرتجى من امرئ تقدّمت به السنون، واشتعل منه الرأس شيباً، هل يرجى من مثل هذا الإنسان خير؟ لقد أضاع عمره سدىً، وهو أعجم لا يفقه شيئاً مما يسمع من المعارف، فاستحق بذلك أن يكون من زمرة أولئك الذين يُصنّفون بأنهم لا يفقهون شيئاً.

(٦) ولا أظن أن هناك منظرًا يثير الاشمئزاز، ويحيطه القبح من كل جانب، أكثر =

وخالط رِوَاةَ الْعِلْمِ وَاصْحَبَ خِيَارَهُمْ      فَصُحِبَتْهُمْ نَفْعٌ وَخُلِطَتْهُمْ غُنْمٌ<sup>(١)</sup>  
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ      نَجُومٌ هَدَى مَا مِثْلُهُمْ فِي الْوَرَى نَجْمٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَوَ اللَّهُ لَوْلَا الْعِلْمُ مَا فَصَحَ الْهُدَى      وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ السَّمَاءِ لَنَا رَسْمٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْغَبًا بِالتَّجَمُّلِ<sup>(٤)</sup>:

حَسَنُ ثِيَابِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا      زِينُ الرَّجَالِ، تُعَزُّ وَتُكْرِمُ<sup>(٥)</sup>  
 وَدَعِ التَّخَشُّنَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضَعًا      فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ وَتَكْتُمُ<sup>(٦)</sup>  
 فَجَدِيدُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَمًا      تَخْشَى الْإِلَهَ وَتَتَّقِي مَا يَحْرُمُ<sup>(٧)</sup>

= من منظر إنسان بلغ من العمر عتياً، ولكنه لا يملك شيئاً من الحلم أو العلم،  
 إن هذا الشيء ممقوت .

(١) فعليك أيها الإنسان أن تخالط أرباب العرفان، وأن تبحث عنهم في كل  
 مكان، وعليك أيضاً أن تختار الصالح منهم، لأن فيهم من ليسوا كذلك،  
 فتش عن الصالحين منهم والزمهم فإن مخالطتهم ومعاشرتهم غنيمة  
 لا تعدلها غنيمة أخرى .

(٢) إذن عليك أن تصحبهم وألا تصرف أنظارك عنهم لأنهم نجوم هداية ورشاد  
 إلى الحق والخير، وليس لهم نظراء بين الخلائق الذين تقع عينك عليهم .

(٣) فصح: بان ووضح، لاح: ظهر وبدا. إنني أقسم - صادقاً - أنه لولا العلم  
 الذي امتن الله تعالى به على البشرية، لما استبان للهدى طريق في حياة الناس  
 ولا ظهر لنا أثر امتن المولى به علينا من السماء .

(٤) سمير المؤمنين ١٦٠ .

(٥) البس من الثياب أجملها، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإن الثياب الحسنة،  
 تزين الرجال وتُضفي عليهم مظهراً من العز والكرامة .

(٦) ولا تتبع سبيل الخشونة في الملبس، تبغي من وراء ذلك التواضع، فالله  
 تعالى يعلم السر وأخفى، فهو العليم بخفايا النفوس .

(٧) وإن ارتداء الثوب الجميل، وحسن منظره، لا يضرُّك شيئاً، إن كنت تحمل =

وَرِثِيْتُ ثُوبِكَ لَا يَزِيدُكَ رِفْعَةً      عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمٌ<sup>(١)</sup>  
وقد نسب صاحب (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء) إلى الشافعي :

### فيكَ انقباض<sup>(٢)</sup>

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا      رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الدُّلِّ أَحْجَمًا<sup>(٣)</sup>  
أَرَى النَّاسَ، مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ      وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عَزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا<sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا      بَدَأَ طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمًا<sup>(٥)</sup>

= بين جنبيك قلباً مفعماً بالتقوى ، ويتجنب ما حرمه الله تعالى .  
(١) رثيث ثوبك : ثيابك الرثة البالية . إن ثوبك البالي الممزق ، لا يزيدك رفعة عند مولاك العليم بما تخفي الصدور إن كنت من العصاة المجرمين .  
(٢) جاء في الهامش (٢٤٣) ص ٧١ التعليق الآتي : هذه القطعة لـ (علي بن عبد العزيز الجرجاني) صاحب الوساطة على شعر المتنبي ، ترجمه صاحب اليتيمة وغيرها ، وذكر هذه القطعة ولم أقف لأحد من المؤرخين وغيرهم على نسبتها للإمام الشافعي رضي الله عنه .  
هذه القصيدة مشهورة ومعروفة للجرجاني وقد أخطأ الرحالة بنسبتها إلى الإمام الشافعي . انظر الخياري المدني ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ٧١ / ٣ - ٧٢ . وهامش ٧١ الذي أثبتته الدكتور رجاء محمود السامرائي محقق الكتاب .

(٣) يقول أصحابي ، إننا نراك في غالب أحوالك منقبضاً ، لا يكاد التجهم يفارقك . والحق أنهم لو أنصفوا ، لرأوا في رجلاً يأنف الذل ولا يرضاه بحال .

(٤) لقد رأيت الناس أكثرهم من تقرب منهم كثيراً وخالطهم فإنهم يستخفون به ، ويهون عليهم أمره ، والحققة أن من شعر بعزة نفسه وأكرمها ، فإن الآخرين سيكرمونه ويعلمون قدره .

(٥) وسأكون هاضماً حق العلم ومضيئاً لمنزلته السامية ، إذا صيّرته =

إذا قيل: هذا موردٌ، قلتُ: قد أرى  
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهجّتي  
أغرسه عزّاً وأجنيه ذلّةً  
ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم  
ولكن أهائوه فهائوا، ودنّسوا  
وإنّي لراضٍ عن فتى متعففٍ

ولكنّ نفس الحرّ تحتلّ الظمّاً<sup>(١)</sup>  
لأخدم من لاقيت، لكن لأخدم<sup>(٢)</sup>  
إذن فاتّباع الجهل قد كان أخزماً<sup>(٣)</sup>  
ولو عظّموه في النفوس لعظّم<sup>(٤)</sup>  
مُحيّاه بالأطماع حتّى تجهم<sup>(٥)</sup>  
يروح ويغدو ليس يملك درهماً<sup>(٦)</sup>

= سلماً أرتقي به إلى آفاق الطمع والمنافع العارضة.

(١) وإن أغري بي، وقيل لي هذا مورد عذب يغنيك، أجبتهم بأنني سأنظر في الأمر، ولكن نفسي الأبية تأنف من كل ما يشينها، وتحتلّ الظمّاً ولا تفرط في الحفاظ على كبريائها.

(٢) إنني لم أبذل أغلى ما عندي، خادماً للعلم والمعرفة، لأضعه بين يدي من ألقاه، سواء كان من محبّي العلم أو ممن لا يقدّرونه. لكنني بذلت ذلك كله لأكون موضع احترام، يتسابق الناس لخدمتي وإكرامي.

(٣) لست مستعداً أن أطلب العلم عزيزاً، مجتهداً دؤوباً، ثم أجني بعد هذا الجهد والعناء ذلاً وتزلفاً، لو حصل ذاك مني فكان الأجدر بي أن أفضل الجهل وأسرح في جناباته.

(٤) إن من واجب العلماء أن يصونوا العلم، ويحفظوا له كرامته، إنهم إن فعلوا ذلك حفظهم وأعلى منزلتهم، ولو أنهم عظّموه في نفوسهم لعظّمهم بين الناس.

(٥) ولكنهم - ويا للأسف - أهائوه، ولم يعرفوا خطره ومكانته، فهائوا على الناس، كما أنهم شوّهوا وجهه المشرق بأطماعهم البخسة فصار عبوساً متجهمّاً، وهو من كل ذلك بريء.

(٦) إن نفسي مفعمة بالرضى والحبور لمرأى ذلك الفتى المتعفف، الذي أكرم نفسه بإكرامه العلم الذي يحمله بين جنبيه، فهو يغدو ويروح عزيزاً كريماً، وقد يكون في حقيقة أمره، لا يملك ديناراً ولا درهماً.

يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ      وَيُصْبِحُ طَلْقاً ضَاحِكاً مُتَبَسِّمًا<sup>(١)</sup>  
 وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا بَأَكْفَهُمْ      وَلَوْ مَاتَ جُوعاً غَصَّةً وَتَكَرُّمًا<sup>(٢)</sup>  
 وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ      أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُنْذَمًا<sup>(٣)</sup>  
 وَلَكِنْ إِذَا مَا جَاءَ عَفْوَاً قَبِلْتُهُ      وَإِنْ فَاتَ لَمْ أُتْبِعْهُ هَلَاً وَلَيْتَمَا<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

- 
- (١) هذا الفتى الأبيّ، يسهر مع النجوم مفكراً فيما هو من سوء الحال، ينتظر مخرجاً لما هو فيه، وفي الصباح تراه طلق الوجه مستبشراً، وكأنه مخلوق آخر.
- (٢) إنه لا يقف بباب غني يسأله شيئاً ليصلح به حاله، مهما اشتد به الأمر، ولو أن ذلك سيسوقه إلى موت محتم، حفاظاً على كرامته.
- (٣) أنا مؤمن بأن ما أخطأني من الأمر لم يكن ليصيبني، لذلك فإني لا أبيت نادماً، أقَلِّبُ كَفِّي على أمر فاتني، ولم أستطع تحقيقه.
- (٤) أما إذا جاءني عفواً وتفضلاً من المولى الكريم، فإني أقبله شاكراً، ولو انصرف عني لم أكثر من قول: هلاً ولَيْتَمَا، بل سأكون راضياً بما وقع، لأن هذا قدرِي.

## قافية النون

### مناظرة<sup>(١)</sup>

تناظر الشافعي رضي الله عنه مع بشر المريسي في حضرة الرشيد، فقال  
بشر:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ      قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسُوقِ حُطَمٍ  
فأجابه الشافعي رضي الله عنه:

سَيَعْلَمُ مَا يُرِيدُ إِذَا التَّقِينَا      بِشَطِّ الزَّابِ أَيَّ فَتَى أَكُونُ

### مشيئة الله<sup>(٢)</sup>

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ      وَمَا شِئْتَ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ<sup>(٣)</sup>  
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ      فَنِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ<sup>(٤)</sup>

(١) حلية الأولياء: ٨٣/٩.

(٢) البداية والنهاية ١٠/٢٦٥، وطبقات الشافعية للسبكي ١/١٥٦، والمخلاة ٢٤٧، ومناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٠٩، وتوالي التأسيس للعسقلاني ٧٥، وتاريخ دمشق ١٠/١٩١.

(٣) إلهي! كل ما شئت أن يكون في الكون فهو كائن، وإن كان ذلك مخالف لمشيتي وإرادتي، أما الذي أريده، فإن لم تكن لك مشيئة في وجوده، فلن يكون ولن يحدث أبداً.

(٤) لقد خلقت العباد بإرادتك، وعرفنا عظمتك بالتفكر في مخلوقاتك، والعلم وحده هو طريق الإنسان لمعرفة خالقه، وسننه التي أودعها في الكون.

على ذا مَنْنْتَ وهذا خَذَلْتَ      وهذا أَعْنَتَ وذا لم تُعِنْ<sup>(١)</sup>  
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ      وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ<sup>(٢)</sup>

### أَفْضَلُ الْعُلُومِ<sup>(٣)</sup>

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ      إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقَةَ فِي الدِّينِ<sup>(٤)</sup>  
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ: قَالَ، حَدَّثَنَا      وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَا سِوَا الشَّيَاطِينِ<sup>(٥)</sup>

### عِزَاءٌ<sup>(٦)</sup>

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه معزياً:  
إِنِّي مُعْزِيكَ لَا أَتِي عَلَى ثِقَةٍ      مِنْ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ<sup>(٧)</sup>

(١) إنك تمنُّ على من تشاء وتغمره بفضلك ونعمك، وتحجب فضلك وعطاءك  
عمن لا تريد له ذلك، وكذلك فإنك أعنت أناساً وحجبت معونتك عن  
آخرين لحكمة لا نعلمها.

(٢) والناس بعد هذا، صنفان: شقي وسعيد، وكذلك فإن منهم القبيح في شكله  
وأفعاله، ومنهم الحسن في خلقه وخُلُقِه.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٤/١٠، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٧/١.

(٤) العلم الذي ينفع الإنسان ويرفعه في الدنيا والآخرة، هو العلم بالقرآن  
الكريم، وما يتبعه من شروح كالحديث الشريف الذي هو تفصيل لمجمله،  
والفقه الذي استنبطه المجتهدون من الكتاب والسنة.

(٥) العلم المفيد هو ما كان من مصادره الموثوقة، والذي يقال فيه: حدثنا فلان  
عن فلان... وما سوى ذلك، فقد تخالطه وسوسة الشيطان.

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٠/٢، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي  
٣٠٨/١٧، وتاريخ دمشق ٢٠٦/١٠، ومنهاج اليقين شرح أدب الدنيا  
والدين ٥٦.

(٧) أنا عندما أعزّي أحاً بوفاء قريب له، لست واثقاً من أن الخلود من نصيبي،  
فالناس كلهم ميتون، ولكن التعزية من سنن الدين التي تؤديها.



فَمَا الْمُعْزَى بِبَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ وَلَا الْمُعْزَى ، وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ<sup>(١)</sup>

### وَدُّكَ طَالِقٌ<sup>(٢)</sup>

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّ وَدَّكَ طَالِقٌ      مِنِّْي وَلَيْسَ طَلَاقُ ذَاتِ الْيَمِينِ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنْ ارْعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِيقَةٌ      وَيَدُومُ وَدُّكَ لِي عَلَى ثَنَيْنِ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ التَّوَيْتَ شَفَعْتُهَا بِنَظِيرِهَا      وَيَكُونُ تَطْلِيقَيْنِ فِي حَيْضَيْنِ<sup>(٥)</sup>  
فَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَكَ مِنِّْي طَائِعاً      لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وَلَايَةُ السَّبِيحِ<sup>(٦)</sup>  
لَمْ أَرْضَ أَنْ أَهْجُو حُصِيناً وَحْدَهُ      حَتَّى أَسْوَدَ وَجْهَ كُلِّ حُصَيْنٍ<sup>(٧)</sup>

(١) إن هذا الذي يعزي صاحبه بوفاة إنسان قريب منه، لن يبقى مخلداً بعد صاحبه، وكذلك المعزى فالجميع أمام حقيقة الموت سواء، مهما امتد بهم العمر، وطال الزمن.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٦/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٧.

(٣) إني أعلمك بأن ودك لي طالق، ولكنه طلاق يمكن إصلاحه، وعودته إلى ما كان عليه.

(٤) ارعويت: اتعظت ورجعت عن غيك. فإذا استفدت من هذا وأخذت العبرة، فإنها تطليقة واحدة، ويبقى بعدها الود قائم على اثنتين أخريين.

(٥) أما إذا سلكت السبيل الملتوي في المعاملة، أتبعته بتطليقة أخرى، فتكون تطليقتين في حيضين منفصلين فلا يبقى لك عندي إلا طلاقة واحدة.

(٦) وإذا أتتك التطليقة الثالثة مني، فإن الأمر لا صلاح له بعدها، ولو أنك أصبحت والياً لهاتين الكورتين من سواد الكوفة، لأن ذلك لن يفيد. السبيح: كورة من سواد الكوفة وهما سبيان الأعلى والأسفل، انظر معجم البلدان ١٩٠/٥.

(٧) أنا لا أرضى أن أهجو المدعو حصيناً وحده ولكنني أطلق هجائي لكل من كان على هذه الشاكلة من الخلق والسلوك.

### أَمْتُ مَطَامِعِي<sup>(١)</sup>

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرَحْتُ نَفْسِي      فَإِنَّ النَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَحْيَيْتُ الْقُنُوعَ وَكَانَ مَيْتًا      وَفِي إِحْيَائِهِ عَرِضِي مَضُونُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا طَمَعُ أَلَمَ بِقَلْبِ عَبْدٍ      عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وَعَلَاهُ هُونُ<sup>(٤)</sup>

### جنون الجنون<sup>(٥)</sup>

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ      طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ<sup>(٦)</sup>

### الحلم والأدب<sup>(٧)</sup>

مَا تَمَّ حِلْمٌ وَلَا عِلْمٌ بِلَا أَدَبٍ      وَلَا تَجَاهَلَ فِي قَوْمِ حَلِيمَانِ<sup>(٨)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٧/٢، وتاريخ دمشق ٢٠٧/١٠، وطبقات الشافعية للأسنوي ١٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٤/١٠.

(٢) النفس الإنسانية كثيرة المطامع ولكنني حكمت على مطامعي بالموت، وبذلك حصلت على راحة نفسية أحسد عليها، إن الجري وراء مطامع النفس يجعلها تهون على الناس.

(٣) مصون: محفوظ. ولكنني بعثت في نفسي القناعة وغذيتها، بعد أن كانت ميتة، لأن إحياء القناعة وبعثها من جديد في النفس، يجعل العرض مصوناً والكرامة موفورة.

(٤) مهانة وهون بمعنى واحد وهو الذل. إن الطمع عندما يسكن قلباً، يستعبد صاحبه، فلا يقيم وزناً لكرامته، ولا يغضب لإهانات تلحق به، وفي هذا موت حقيقي للإنسان.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٧/٢ وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٧/١.

(٦) إذا كان جنون المرء مجنون هو نفسه، فإنه لن يجد طبيباً مهما علا كعبه في الطب أن يداويه من جنون جنونه.

(٧) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٠/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٨.

(٨) لا يكتمل علم المرء مهما تزود منه، ولا يعتبر حليماً مهما بلغ إلا إذا توج =

وما التَّجَاهُلُ إِلَّا ثَوْبٌ ذِي دَنَسٍ      وليسَ يلبَسُهُ إِلَّا سَفِيهَانِ<sup>(١)</sup>

### لا تغفل عن الإحسان<sup>(٢)</sup>

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاغْتَنِمَهَا      فَعُقْبَى كُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا      فَلَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ دَرَّتْ نِيَّاقُكَ فَاحْتَلِبْهَا      فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ<sup>(٥)</sup>

= ذلك كله بالأدب، فالأدب حلية لا يستغنى عنها بحال، ولن تجد حليمين يتخاصمان ويتشاجران في قوم.

(١) سفيهان: مفردهما سفيه وهو الأحمق. أما الجهل فهو كالثوب الذي تلوث بالدنس والقدر، ولا يرغب في لبس هذا الثوب إلا السفهاء الذين لا خلاق لهم من مكارم الصفات.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٠٥، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٢٠٥، وأدب الدنيا والدين ٢٠٢، ونسبت الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، انظر الديوان المنسوب إليه ص ١٢٢. ونسبت لابن هندو، انظر غرر الخصائص للوطواط.

(٣) إذا أقبلت عليك الدنيا وقدر لك أن تنال منها حظاً وافراً، فاغتنم ذلك واستعمله فيما ينفعك وينفع إخوانك من الناس، لأن كل هبوب من الرياح يعقبه هدوء وسكون.

(٤) وعلى هذا فعليك ألا تقصر في معروف تقدر عليه، ولا أن تتقاعس في عمل خير يرضي المولى تعالى، إذ أنك لا تدري متى ستحرم من هذه النعم.

(٥) وإن كنت ذا نوق، فاغتنم فرصة كثرة الحليب في ضروعها وأكثر منه، فإنك لا تدري لمن سيكون هذا الفصيل الذي أنجبته.

## مداخل العلم<sup>(١)</sup>

أخي لن تنال العلم إلا بسنة<sup>(٢)</sup> سَأُنَبِّكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَّانٍ<sup>(٣)</sup>  
ذكاءً، وحرصاً، واجتهاداً، وبلغاً<sup>(٤)</sup> وَصُحْبَةً أَسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ<sup>(٥)</sup>

## صفت نفسي<sup>(٦)</sup>

قَنِعْتُ بِالقَوَاتِ مِنْ زَمَانِي وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الهَوَانِ<sup>(٧)</sup>  
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا فَضَّلَ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ<sup>(٨)</sup>  
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا فَلَا أَبَالِي إِذَا جَفَانِي<sup>(٩)</sup>

(١) مرآة الجنان ٢/٢٦، وهديّة الأمم ١٢، ونسب في تعليم المتعلم ص ١٤ إلى الإمام علي بن أبي طالب.

(٢) أيها الأخ الكريم، عليك بطلب العلم فإنه النور الذي تستضيء به، وإنك لن تملك هذا النور وتفيد منه إلا بستة أشياء، سأخبرك بها وأبينها لك.

(٣) أولها الذكاء وهو هبة من الله تعالى، ثم الحرص على طلبه والجدّ في سبيل ذلك، وبعد ذلك الاجتهاد الذي هو شرط للنجاح في كل عمل، وبعد هذا أن تطلب من العلم ما أنت بحاجة إليه من غير زيادة ولا تكلف. ومن الأمور الهامة في هذا المجال، أن تصحب أستاذك بالتواضع والاحترام، وأخيراً فإن العلم لا يتحصل إلا في زمن طويل ومعاناة حقيقية.

(٤) المستطرف ٢/٥٩. الإنسان حيث يضع نفسه، فإن أكرمها كانت عزيزة وإلا فلا..

(٥) الكريم من يقنع بالقليل في سبيل عزة نفسه، لقد رضيت بالقليل ولم أطمع بالكثير، وبذلك حفظت نفسي أن تهون أو تذلل أمام الآخرين.

(٦) لقد أثرت هذا الطريق، وسلكته حتى لا أسمع إنساناً يقول: إن لفلان فضلاً عليّ، فالفضل كله لله تعالى يهبه لمن يشاء من عباده.

(٧) جفاني: قاطعني وخاصمني. إنني عندما لا أطمع في مال أحد، ولا أرتجي منه نوالاً أو عطاءً، فإنني أعيش حراً كريماً لا يهمني من بادرني بجفاء أو =

وَمَنْ رَأَى بَعِيْنَ نَقْصٍ رَأَيْتُهُ بِأَلْذِي رَأَى<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ رَأَى بَعِيْنَ تَمٍّ رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي<sup>(٢)</sup>  
احفظ لسانك<sup>(٣)</sup>

قال الشافعي رضي الله عنه : كنت باليمن فقرأت على باب صنعاء أو عدن :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَتَيْهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُبَانٌ<sup>(٤)</sup>  
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الْأَقْرَانُ<sup>(٥)</sup>  
سوء الظَّنَّ<sup>(٦)</sup>

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئاً إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ<sup>(٧)</sup>

= بُعد، بل أكون معه ندّاً لا يفضلني بشيء .

(١) أما ذلك الذي لا يعرف قدري ، ولا يرفع لي مكانة ، بل يحاول أن يضع من

كبريائي وعزتي ، فإني لن أكون متسامحاً معه ، بل سأبادله بما بدا منه نحوي .

(٢) ومن أكرمني ونظر إليّ بعين المودة والرضا ، نظرت إليه بعين مماثلة ،

وسوف يزداد فضله لديّ ، وأراه مثال الكمال الإنساني .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٧ / ٢ .

(٤) اللسان نعمة من الله تعالى ، إن عرف الإنسان كيف يستفيد منها ، وهو

كالشعبان المخيف إن لم يُحفظ ويُضبط .

(٥) الأقران : الأبطال . إن كثيراً من نزلاء القبور قد يكونون ضحايا لزلات لسانهم ،

وكانوا في حياتهم شجعاناً لا يجرؤ أحدٌ من الأقران على منازلتهم والنيل منهم .

(٦) لعل الإمام الشافعي يعني بهذا أن يكون الإنسان حذراً في تعامله مع الناس

ولا يخدع بالظاهر .

(٧) لا نعتقد أن الإمام رحمه الله تعالى يعني حرفياً ما يقول ، بل إنه يريد من

الإنسان أن يكون حذراً وأن يكون لسوء الظن نصيب في تعامله مع الناس ،

وبعد ذلك من الذكاء .

مَا رَمَى الْإِنْسَانَ فِي مَخْمَصَةٍ      غَيْرِ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ<sup>(١)</sup>

### العيب فينا<sup>(٢)</sup>

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا      وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا<sup>(٣)</sup>  
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ      وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ هَجَانَا<sup>(٤)</sup>  
وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ      وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا<sup>(٥)</sup>  
لَبَسْنَا لِلتَّخَادُعِ مُسُوكَ ضَانٍ      فَوَيْلٌ لِلْمَغِيرِ إِذَا أَتَانَا<sup>(٦)</sup>  
دِيَانَتُنَا التَّصْنَعُ وَالتَّرَائِي      فَتَحْنُ بِهِ نُخَادِعُ مَنْ يَرَانَا<sup>(٧)</sup>

- (١) وكثيراً ما يعاني المرء من المجاعة، أو أي مأزق آخر، نتيجة حسن ظنه بالناس، وانخداعه بمعسول الكلام الذي يصدر من مخادع.
- (٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٤ / ٢ ، وقال : الأبيات الأربعة الأولى كتبها بعض النساخ لعيون الأخبار عقب فراغه من كتاب العلم، وقد نسبت الأبيات في معجم الأدباء ٧ / ١٩ لأبي الحسن محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري.
- (٣) كثير من الناس يعيبون زمانهم، ويتهمونه بالمراوغة والخداع، ولو عادوا إلى الحق والصواب لوجدوا أن العيب فينا وليس للزمان يد في ذلك.
- (٤) ونشتم هذا الزمان ونسبه، وهو لم يقترب ذنباً أو جريرة، إنه مظلوم في ذلك، ولو أنه أوتي طبيعة النطق لرد علينا وهجانا بأكثر مما نهجوه.
- (٥) إن الذئاب تأنف أن يأكل بعضها لحم بعض، ولكننا مع الأسف نفعل ذلك على مرأى من بعضنا ومسمع.
- (٦) جعلنا أنفسنا ودعاء، فلبسنا ثياب الضأن زوراً وبهتاناً، والويل لنا والعذاب عندما تنكشف الحقائق ونبلع نهاية العمر.
- (٧) أصبح الرياء والمصانعة هما ديدننا الذي ارتضيناه، وقد تأصل ذلك فينا، فأخذنا نخادع جميع من حولنا من الذين نعيش معهم.

### أصبحوا مثلاً<sup>(١)</sup>

تَحَكَّمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ وَعَمَّا قَلِيلٍ كَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ أَنْصَفُوا أَنْصَفُوا لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْأَحْزَانِ وَالْمِحَنِ<sup>(٣)</sup>  
 فَأَصْبَحُوا وَلِسَانُ الْحَالِ يُشَدُّهُمْ هَذَا بِذَاكَ وَلَا عَتَبَ عَلَى الزَّمَنِ<sup>(٤)</sup>

### يا سميع الدعاء<sup>(٥)</sup>

يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ كُنْ عِنْدَ ظَنِّي وَاكْفِنِي مَنْ كَفَيْتَهُ الشَّرَّ مِنِّي<sup>(٦)</sup>  
 وَأَعِنِّي عَلَى رِضَاكَ وَخِزْلِي فِي أُمُورِي وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي<sup>(٧)</sup>

(١) الكشكول ٣٢/١.

(٢) العدل أساس الملك، وأولئك أشخاص وهبهم الله تعالى الملك، فتحكموا بالناس وتمادوا في طغيانهم، وبعد فترة زال سلطانهم وكأن الأمر لم يكن بيدهم.

(٣) هؤلاء لو أنصفوا وعدلوا لكانوا ممن ذكرهم التاريخ بالإنصاف، ولكنهم اختاروا طريق البغي والظلم، فكان الدهر لهم بالمرصاد، فبغى عليهم كما بغوا، وخلف لهم الأحزان والمصائب.

(٤) لقد أصبح حالهم بائساً، وكأن لسان الحال يخاطبهم قائلاً: هذا الشقاء الذي أنتم فيه، إنما هو نتيجة ما قدمتم فلا تعتبوا على الزمن، لأنه لا يبقى على حال واحدة.

(٥) بهجة المجالس ٢٧٧/٢، وقد نسبهما لمنصور الفقيه وللشافعي رضي الله عنه، وقال: فقد تكون لأحدهما وتمثل بها الآخر.

(٦) يا من يجيب المضطر إذا دعاه، كن عند حسن ظني بك، فإنك قلت: أنا عند حسن ظنّ عبدي بي. اصرف عني شر من صرفت شرّي عنهم، وعاملني بالمثل.

(٧) وكن عوناً لي - يا مولاي - على أن أعمل ما يرضيك عني قولاً وفعلاً، واختر =

## تركوا الدنيا<sup>(١)</sup>

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطِنَا      تركوا الدنيا وخافوا الفتن<sup>(٢)</sup>  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا      أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا<sup>(٣)</sup>  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا      صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنَا<sup>(٤)</sup>

## سهرت أعين

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ      فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ<sup>(٥)</sup>  
فَادِرّاً الِهَمَّ مَا اسْتَطَعَتْ عَنِ النَّفْ      سٍ فَحِمْلَانِكَ الِهَمُومَ جُنُونُ<sup>(٦)</sup>  
إِنَّ رَبّاً كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا      نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ<sup>(٧)</sup>

= لي من أمري ما يصلحني ، وامنحني الصحة والعافية واختم لي بالعفو فإنك أهل التقوى والمغفرة .

(١) مقدمة رياض الصالحين ص ٣٢ دون نسبة ، وقال صاحب الكشكول ٧٠ / ٢ ومما نسب للشافعي . . .

(٢) حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وإن لله تعالى من عباده أناساً أذكىء ، عرفوا حقيقة الدنيا فانصرفوا عنها ، وخافوا من الفتن التي عمت ووطغت .

(٣) أَعْمَلُوا النّظَرَ والفكر فيها ، فأرشدهم المنطق السليم أنها ليست دار إقامة لأحد من خلق الله تعالى ، فالجميع سيرحلون عنها .

(٤) لجة : بحرأ . عندما تحققوا من ذلك ، جعلوها بحراً ، واتخذوا من أعمالهم الصالحة سفناً للنجاة من شرورها وأخطارها فنجوا .

(٥) وسأوس الشيطان ، تؤرق الإنسان وتحرمه طيب المنام ، وهناك عيون أخرى تنام ، وذلك بسبب التفكير في أمور قد تحدث أولاً تحدث ، لأن المولى تعالى وحده عليم بذلك .

(٦) ادراً : أبعد . وأنت أيها الإنسان العاقل المؤمن ، أبعد الهموم عن نفسك ما استطعت ، لأن حمل الهموم واجترارها قد يؤدي بالمرء إلى الجنون .

(٧) إن رباً كريماً تكفل برزقك وكل ما يقيم أمرك أمس ؛ سيكفيك مما =



### العلم يهدي<sup>(١)</sup>

إذا لم يزدِ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هُدًى وَسِيرَتُهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقُهُ حُسْنًا<sup>(٢)</sup>  
فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ نِقْمَةً يُسَاءُ بِهَا مِثْلَ الَّذِي عَبْدَ الْوُثْنَا<sup>(٣)</sup>

### الكريم و اللئيم

إذا امتلأتْ أَيْدِي اللَّئِيمِ مِنَ الْغَنَى تَزَايَدَ كَالْمِرْحَاضِ فَاحَ وَأَنْتَنَّا<sup>(٤)</sup>  
وَأَمَّا كَرِيمُ الْأَصْلِ كَالْغُصْنِ كَلَمَّا تَحَمَّلَ مِنْ خَيْرِ تَزَايَدَ وَأَنْتَنَى<sup>(٥)</sup>

### حنين إلى غزّة<sup>(٦)</sup>

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌّ إِلَى أَرْضِ غَزَّةٍ وَإِنْ خَانَنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ كَتْمَانِي<sup>(٧)</sup>

= يطراً عليك غداً، ويصلح شأنك كله .

(١) حاشية الصاوي .

(٢) العلم نور وهدى، فإذا كان العلم الذي يحمله الفتى لا يزيد قلبه تقى وصلاً، ولم يجعل سيرته عدلاً ومثلاً يحتذى، ويزينه بأخلاق فاضلة كريمة .

(٣) الوثن: الأصنام . مفردة الوثن . جديرٌ بهذا الإنسان أن يُبَشَّرَ بأنه غير مرضي عنه من خالقه جلّ وعلا، بل إن هذا العلم نقمة عليه، ومثله في الآخرة مثل الذي عبد الأوثان .

(٤) اللؤم من أقبح الصفات، واللئيم إذا أيسر وكثر ماله، وبلغ النهاية من دنيء الصفات، أصبح ينشر رائحة منتنة كالتي تصدر عن الكنيف .

(٥) أما كريم الأصل، وعريق النسب، فإنه كالغصن الرطيب، كلما كثر ثمره، ازداد تواضعاً .

(٦) توالي التأسيس ٧٣ .

(٧) المرء يحنّ دائماً إلى مسقط رأسه، وإني لفي شوقٍ شديد إلى أرض غزة، إذ إنّ هذا الكتمان لم يعد يفيدني بعد هذا التفرق .

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق أجفاني<sup>(١)</sup>

### المنة

رَأَيْتُكَ تَكْوِينِي بِمِيسَمِ مَنَّةٍ كَأَنَّكَ كُنْتَ الْأَصْلَ فِي يَوْمِ تَكْوِينِي<sup>(٢)</sup>  
فَدَعَنِي مِنَ الْمَنِّ الْوَحِيمِ فَلَقَمَةً مِنَ الْعَيْشِ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي<sup>(٣)</sup>

### ضعفت عن الأنين<sup>(٤)</sup>

أَقُولُ لِعَائِدِي وَشَجَّعُونِي وَغَرَّهُمْ فَتُورُ حُمَى جَبِينِي<sup>(٥)</sup>  
سَأَصْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَهُوَ آتٍ بَعْدَ حِينٍ<sup>(٦)</sup>

(١) أسأل المولى القدير، أن يديم عليها سحائب خيره، وإنني لو قدر لي أن أرى ترابها لاتخذت من هذا التراب كحلاً، أكحل به أجفاني لشدة حبي لها.

(٢) تكويني الأولى بمعنى تؤذيني وتحرقني، والثانية بمعنى: خلقي من التكوين. لا تبالغ في الإساءة إليّ، وتحرقني بالآلة التي تُحمّيها فتؤذي بها جلدي، وهل تظنّ أنك كنت سبباً في مجيئي إلى هذا العالم. والميسم: العلامة والسمة. واسم للآلة التي يوسم بها كالمكواة.

(٣) الوحيم: المؤذي، تكفيني الأولى: من الكفاية، والثانية: من الكفن. اعفني من منك وأبعده عني، فإن المنّ يحبط المعروف، واعلم علم اليقين بأن لقمة من مصدر شريف تكفيني، حتى أفارق هذه الحياة، وألفّ بالكفن.

(٤) معجم الأدباء ٢٥٩/١٩، وبهجة المجالس ٢٦٣/١ - ٢٦٤. الصبر على الشدائد والمرض من شيم الرجال..

(٥) يعودني الزائرون ليخففوا عني وطأة المرض، ويخاطبوني بكلمات تبعث في الشجاعة والأمل، ولقد غرهم أن جبیني أصابه شيء من الفتور فظنوا الأمر سهلاً.

(٦) إنني أستمّد الصبر من خالقي، وسألقي الموت إن كان قُدّر لي الآن على ما أنا عليه، وإلا تكن منيتي الآن، فسوف تكون في غد قريب، لأن الموت سيزور كل مخلوق لا محالة.

وَإِنْ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ      وَمَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُونِي<sup>(١)</sup>  
تَعَزُّوا بِالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ      فَضَجُّوا بِالْبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي<sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ أَدْعِ الْأَيْنِ لِقَلِّ سُقْمِي      وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الْأَيْنِ<sup>(٣)</sup>  
وَفِي تَرْكِ الْأَيْنِ لَكُمْ دَلِيلٌ      عَلَى ضِدِّ الَّذِي أَوْهَمْتُمُونِي<sup>(٤)</sup>

### نصيحة<sup>(٥)</sup>

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى      وَدَيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيَّنٌ<sup>(٦)</sup>  
فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ      فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ<sup>(٧)</sup>  
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِعٌ مَنِ اعْتَدَى      وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>(٨)</sup>

(١) وَإِنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ بِالشِّفَاءِ، فَسَأَفْجِعُ بِمَوْتِ أَحِبَاءِ لِي، وَمَوْتُ الْأَحِبَّةِ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَحِيلُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ شِقَاءً وَبُؤْسًا.

(٢) وَلَمَّا قُلْتُ لَهُمْ، عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَحَمَّلُوا مَفَارِقَتِي لَكُمْ، وَالْإِنْتِقَالَ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخَرِ، ضَجُّوا بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثُوا أَنْ وَدَّعُونِي.

(٣) وَعِنْدَ ذَلِكَ لَمْ أَطُقْ أَنْ أَصْدِرَ أُنَيْنًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنِّي تَمَثَّلْتُ لِلشِّفَاءِ، وَلَكِنْ نَفْسِي الْمَرِيضَةُ عَجَزَتْ أَنْ تَصْدُرَ الْأَيْنِ لِتُعَلِّمَ مِنْ حَوْلِي بِأَنِّي أَتَوَجَّعُ.

(٤) إِنِّي إِذَا تَرَكْتُ الْأَيْنِ وَالشُّكُوى، فَلَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ، وَلَكِنَّهُ نَذِيرٌ بِأَنَّ الَّذِي أَوْهَمْتُمُونِي بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ سَرَابٌ وَلَيْسَ حَقِيقَةً.

(٥) الْمَخْلَاطَةُ: ١٣٠، وَنَتِيجَةُ الْأَفْكَارِ ١٢، وَقَدْ نَسَبْتُ الْآيَاتِ لِابْنِ الرُّومِيِّ.

(٦) صَيَّنَ: مَحْفُوظٌ. إِذَا رَغَبْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَنْ تَعِيشَ حَيَاةً هَانَتْ، لَا يَعْكَرُ صَفْوَهَا شَيْءٌ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَقِيدَتُكَ سَلِيمَةً نَقِيَّةً، وَعَرَضُكَ مَصَانٌ مِنْ كُلِّ مَا يَخْدُشُهُ.

(٧) فَعَلَيْكَ أَوَّلًا أَنْ تَحْفَظَ لِسَانَكَ مِنْ ذِكْرِ سَوَاءَاتِ النَّاسِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيكَ مَسَاوِيَّ وَمَعَايِبَ لَا تُحْصَى، وَالْأَلْسُنَ الَّتِي تَحِيطُ بِكَ حَادَةً لَا تَرْحَمُ.

(٨) وَلِتَكُنْ مَعَاشِرَةُ الْخَلْقِ بِالْمَعْرُوفِ هِيَ شِعَارُكَ، وَاجْعَلِ التَّسَامُحَ دِيدَنًا لَكَ، وَتَحَمَّلْ شَيْئًا مِنْ عَدَاوَةِ النَّاسِ، وَمَعَ ذَلِكَ دَافِعٌ عَنْ نَفْسِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَلَكِنْ =

وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِباً لِقَوْلٍ فَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ<sup>(١)</sup>

## يا جامع المال<sup>(٢)</sup>

يا جامعَ المالِ تَرْجُو أَنْ تَفُوزَ بِهِ كُلُّ مَا أَكَلْتَ وَقَدَّمْ لِلْمَوَازِينِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَكُنْ كَالَّذِي قَدْ قَالَ إِذْ حَضَرَتْ وَفَاتُهُ: ثَلَاثُ مَالِي لِلْمَسَاكِينِ<sup>(٤)</sup>

## العزُّ الزَّائِلُ<sup>(٥)</sup>

يَا مَنْ تَعَزَّزَ بِالدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا الدَّهْرُ يَأْتِي عَلَى الْمَبْنِيِّ وَالْبَانِي<sup>(٦)</sup>  
وَمَنْ يَكُنْ عِزُّهُ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا فَعِزُّهُ عَنْ قَلِيلِ زَائِلٌ فَانِي<sup>(٧)</sup>  
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ كُنُوزَ الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ فَاجْعَلْ كُنُوزَكَ مِنْ بِرٍّ وَإِيمَانٍ<sup>(٨)</sup>

= بطريقة حسنة لا تجعلك بغيضاً في أعين الناس .

(١) وتعهد عينيك ألا تبدي لك المعاييب، وتخفي المحاسن، ازجرها وخاطبها قائلاً: لست وحدك التي تبصرين ، فللناس أيضاً أعين يرون بها معاييب .

(٢) نتيجة الأفكار .

(٣) ليس المال دائماً نعمة، فأنت يا من تجمع المال، وترجو أن تفوز به من كل سبيل، هلاً عدت إلى صوابك، كُلْ واشرب من غير سرف، وقدم شيئاً بين يديك لتكون في ميزان حسناتك يوم القيامة .

(٤) ولا تكن بخيلاً به، حريصاً عليه، كالذي يوصي إذا حضرته الوفاة، قائلاً لورثته: وزعوا ثلث مالي للمساكين . وهل يضمن المرء ما سيفعله الورثة؟ .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٩/٢ .

(٦) الدنيا ليست دار بقاء، وأنت يا من يغتر بها، ويؤخذ بما فيها من متع، اعلم حق اليقين، أن تعاقب الأيام لا يُبقي أحداً من الذين بنوا وشادوا، كما أنه يُفني البناء أيضاً، فلا يُبقي منه شيئاً .

(٧) ومن جعل عزه في الدنيا وزخارفها، فإن هذا العز، وهذه النعم المغرية، عما قريب ستفنى وتزول، وتصبح أثراً بعد حين .

(٨) إن وجه الأرض تراب، وكنوز الذهب دفينة فيها، أما أنت فاجعل كنوزك =

وكتب رجل رقعة يستفتي بها الشافعي رضي الله عنه<sup>(١)</sup> :

مَاذَا تَقُولُ هَذَاكَ اللَّهُ فِي رَجُلٍ أَمْسَى يُحِبُّ عَجُوزاً بِنْتَ تِسْعِينَ

فَأَجَابَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَبِّكِي عَلَيْهِ فَقَدْ حَقَّ الْبُكَاءُ لَهُ حُبُّ الْعَجُوزِ بِتَرْكِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ<sup>(٢)</sup>

لَبَّيْكَ يَا كَرَمِي<sup>(٣)</sup>

وَلَوْ تُنَازِعُنِي كَفِّي إِلَى خُلُقِي يُرِّرِي لَقَلْتُ لَهَا: أَلْقِيهِ أَوْ بَيْنِي<sup>(٤)</sup>

خِيَمِي كَرِيمٌ وَنَفْسِي لَا تُحَدِّثُنِي أَنَّ الْإِلَهَ بَلَا رِزْقٍ يُخْلِينِي<sup>(٥)</sup>

= مزيداً من البرِّ والتقوى ، وتوج ذلك كله بإيمان متين يُرضي ربَّ العالمين .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٤ / ٢ .

(٢) الخرد : الأبقار العين . ذوات العيون السوداء الواسعة . إن هذا الذي اختار أن يعشق امرأة في التسعين من عمرها ، هو جدير أن نحزن عليه ونبكي ، لأنه ترك محبة الصبايا الحسان ، وانصرف إلى تلك التي شابت وهرمت .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢٢٧ / ٢ . الجود خصلة يحبها الله تعالى والخلق أجمعون . .

(٤) يزري : يسيء . بيني : ابعدي . الطبيعة السوية في الإنسان تهوى الفضائل ، وعلى رأس هذه الفضائل الجود ، فلو أن كفي غالبتي ودعنتني إلى خلق ذميم والبخل في مقدمتها ، لقلت لها تنحي عن هذا الخلق وانبيهه وإلاً تفعلني ذلك ففارقيني وابعدي عني ، فأنت لست مني .

(٥) خيمي : طبعي وسجيتي . جبلني الله تعالى على خلق كريم ، وحَبَّبَ إلي الجود والبذل إلى كل من هو بحاجة إليه ، فكوني معي على وفاق لسلوك هذا السبيل ، أما الفقر وفقد المال ، فذاك ما هو بعيد عن خاطري ، لأنني أعتقد جازماً أن المولى الكريم ، لن يتخلى عني ويحبس عني الرزق ويدعني هائماً مهملًا .

هذا وما زال مالي من أذى طمع      ومن ملامة أهل اللوم يُغريني<sup>(١)</sup>  
بل ما اشتريت بمالي قط مَحْمَدَةً      إلا تيقنت أنني غير مغبون<sup>(٢)</sup>  
ولا دُعيتُ إلى مجدٍ ومكرمة      إلا أجبتُ: ألا من ذا يُناديني<sup>(٣)</sup>  
لبيك يا كرمي لبيك ثانيةً      لبيك الثالثة من حيث تدعوني<sup>(٤)</sup>  
والله لو كرهت نفسي مُساعدتي      لقلتُ للكف بيني إذ كرهتيني<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

- (١) على الرغم من كرمي وثقتي برزق الله، إلا أن مالي يحاول إغرائني بجمعه وتكثيره، ويخوفني من إنفاقه وتتعرض نفسي للوم الناس على ذلك.
- (٢) مغبون: مظلوم. ولكنني مهما أنفقت من مال ابتغاء رضوان الله تعالى، والسير في طرق الغايات الحميدة، إلا تيقنت أن الإنفاق ليس خسارة، وأني في تصرفي هذا غير مظلوم، بل أنا الرابع حقاً.
- (٣) وإن دعا الداعي إلى فعل المكرمات، واكتساب الأمجاد التي تسطر في صحائف الإنسان أسرع وليبت من يناديني، وكنت سباقاً في الحصول على قصب السبق.
- (٤) أنا أحب كرمي الذي يحث نفسي دائماً وأبداً على العطاء، ويُبغِّضُ إليّ البخل والإمساك، فحباً وكرامة، وتلبية بعد تلبية لندائك السامي.
- (٥) وختاماً، فإنني أقسم مخلصاً، لو أن نفسي التي بين جنبي، أحجمت عن مساعدتي على تحقيق خلق العطاء، لحاطبت كفي الباخلة قائلاً، انفصلي عني، لأن الكره فرّق بيننا فأنت في وادٍ وأنا في وادٍ آخر.

## قافية الهاء

### السَّفيه والفقيه<sup>(١)</sup>

ومنزلةُ السَّفيهِ مِنَ الفقيهِ      كمنزلةِ الفقيهِ مِنَ السَّفيهِ<sup>(٢)</sup>  
 فهذا زاهدٌ في عِلْمٍ هذا      وهذا فيه أزهدٌ منه فيه<sup>(٣)</sup>  
 إذا غلبَ الشَّقَاءُ على سَفِيهِ      تنطعَ في مُخالفةِ الفقيهِ<sup>(٤)</sup>

### عندك الإسلام والعافية<sup>(٥)</sup>

لا تأسَ في الدُّنيا على فائتٍ      وعندك الإسلامُ والعافية<sup>(٦)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٧/٢، وتوالي التأسيس ١٤٣، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٩/١.

(٢) إن الأحق في هذه الدنيا، ينظر إلى العالم الفقيه نظرة بعيدة عن الاحترام والتقدير، وبالمقابل فإن العالم الفقيه ينظر إلى هذا السفيه النظرة نفسها.

(٣) فالجاهل الأحق يستغني عن فقه العالم، ولا يهتم به، وكذلك العالم فإنه أكثر غناء عن ذلك الجاهل.

(٤) تنطع: بالغ. أما إذا ازداد شقاء السفيه وجهله، فإنه يتصدى لمجابهة هذا الفقيه، ويمعن في الجدال والنقد، جهلاً وسفاهة.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٦٦/٢، ومناقب الشافعي للرازي ١١٢، وتاريخ دمشق ٢٠٧/١٠.

(٦) الدنيا كثيرة مباهجها، متنوعة مفاتهاها، وقد لا يستطيع امرؤ أن يتمتع بالكثير منها، فإن كان الأمر كذلك، فاحرص على ألا تحزن على شيء فاتك منها، طالما ملكت الإسلام، وتمتعت بالعافية.

إِنْ فَاتَ أَمْرٌ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ      ففِيهِمَا مِنْ فَائِتٍ كَافِيَةٍ<sup>(١)</sup>

### أعرض عن الجاهل

أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ السَّفِيهِ      فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ<sup>(٢)</sup>  
مَا ضَرَّ بَحَرَ الْفُرَاتِ يَوْمًا      أَنْ خَاضَ بَعْضُ الْكِلَابِ فِيهِ<sup>(٣)</sup>

### عيادة المريض<sup>(٤)</sup>

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدَّتْهُ      فَمَرَضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي      فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ<sup>(٦)</sup>  
رَوَى الْفَخْرُ الرَّازِي قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ بَرَقَّةً مَكْتُوبٌ فِيهَا<sup>(٧)</sup> :

رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَّفَ رَجُلًا      ابْنُ عَمٍّ ابْنِ أَخِي عَمِّ أَبِيهِ

(١) إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ بَلُوغَ أَمْرٍ كُنْتَ تَسْعَى إِلَيْهِ وَتَحْرَصُ عَلَى بَلُوغِهِ ، ففِي سَعْيِكَ لَهُ ،  
وَعَدَمُ تَمَكُّنِكَ مِنْهُ عَافِيَةٌ لَكَ ، فَالْغَيْبُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) كَثِيرًا مَا يَتَعَرَّضُ السُّفَهَاءُ وَالْجُهَلَاءُ لَذَوِي الْفَضْلِ ، فَيَبْدُونَ لَهُمْ مَا لَا يَلِيقُ  
بِمَكَانَتِهِمْ ، فَإِنْ حَدَثَ ذَلِكَ لَكَ مَعَ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ  
مَا نَطَقَ بِهِ مِنَ الْقَبِيحِ هُوَ مِنْ صِفَاتِهِ .

(٣) وَتَذَكَّرْ أَنَّ نَهْرَ الْفُرَاتِ الْعَظِيمِ ، بِأُمُوجِهِ الْمُتَلَاظِمَةِ ، يَغُوصُ فِيهِ كَلْبٌ يَرِيدُ أَنْ  
يَعُكِرَ مِيَاهَهُ وَلَكِنْ أَتَى لَهُ هَذَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ هَذَا الْجَاهِلِ الْأَحْمَقِ .

(٤) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ لِلْبَيْهَقِيِّ ٩٣ / ٢ .

(٥) إِنْ مَرِضَ مِنْ تَحِبٍّ يَجْعَلُكَ حَزِينًا ، وَقَدْ مَرِضَ مِنْ أَحَبِّهِ فَذَهَبَتْ لَزِيَارَتُهُ ، وَإِذَا  
بِي أَشْعَرُ بِالْمَرَضِ ، لَشِدَّةِ خَوْفِي عَلَيْهِ وَالْحَذَرِ مِنْ أَنْ يَصَابَ بِمَكْرُوهِ .

(٦) وَعِنْدَمَا مَرَضْتَ زَارَنِي مِنْ أَحَبِّ ، وَسُرْعَانَ مَا شَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ وَالْبَرِّ وَذَلِكَ  
عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ ، وَسَعِدْتُ بِلِقَائِهِ .

(٧) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ ٢٣ . وَالرَّجُلُ الَّذِي وَرِثَ هُوَ وَالِدُ الْمَتَوَفَى .



فأجاب الشافعي رضي الله عنه في الحال فقال :

صارَ مالُ المُتَوَفَّى كامِلاً      باجتماعِ القَوْلِ لا مِرْيَةٍ فِيهِ  
لَلَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ      ابْنُ عَمِّ ابْنِ أَخِي عَمِّ أَبِيهِ

### سَأَتَرَكَ حَبَّكَمُ<sup>(١)</sup>

سَأَتَرَكَ حَبَّكَمُ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ      وَذَاكَ لكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيهِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا سَقَطَ الذَّبَابُ عَلَى طَعَامٍ      رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ<sup>(٣)</sup>  
وَتَجَنَّبُ الْأَسْوَدَ وَرُودَ مَاءٍ      إِذَا كَانَ الْكَلَابُ وَلَغَنَ فِيهِ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا شَرِبَ الْأَسَدُ مِنْ خَلْفِ كَلْبٍ      فَهَا ذَاكَ الْأَسَدُ لَا خَيْرَ فِيهِ<sup>(٥)</sup>  
وَيَرْتَجِعُ الْكَرِيمُ خَمِصَ بَطْنٍ      وَلَا يَرْضَى مُسَاهِمَةَ السَّفِيهِ<sup>(٦)</sup>

(١) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ، والمستطرف ٢ / ٢١١ .

(٢) سأأنصرف عن حبكم لا عن بغض وكراهية ، ولكنني نظرت فوجدت كثيراً من الناس يشاركونني هذا الحب ، وأنا لا أستطيع تحمل ذلك .

(٣) وإنني إذا كنت جائعاً أرغب في طعام وأشتهيه ، غير أنني إذا شاهدت الذباب يحط على هذا الطعام ، ويفسده بتكاثره عليه ، عند ذلك أنصرف عنه ، وأنا في أشد الحاجة إليه .

(٤) وكذلك السباع فإنها تتجنب الإقبال على ماء لتشرب منه ، إذا علمت أن الكلاب قد شربت منه .

(٥) أما إذا نسي الأسد مكانته وشرب من ماء سبقه إليه كلب ، فاعلم أن هذا السبع لا خير فيه ، وصار في منزلة الحيوانات الأخرى .

(٦) إن الكريم من الناس ، يتحمل الجوع والظمأ ، ويتصبر ويبالغ في ذلك ، ولا يرضى مشاركة السفیه في طعامه وشرابه .

## اكتبوا الدّين<sup>(١)</sup>

أُنلني بالذي استقرضتَ خطاً      وَأَشْهَدُ مَعْشَراً قَدْ شَاهَدُوهُ<sup>(٢)</sup>  
 فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْبَرَايَا      عَنَّتْ لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ<sup>(٣)</sup>  
 يَقُولُ: «إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ      إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ»<sup>(٤)</sup>

## عمدة الخير<sup>(٥)</sup>

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ      أَرْبَعٌ قَالَهُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ<sup>(٦)</sup>  
 اتَّقِ الْمُشْبَهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا      لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بَيْنَهُ<sup>(٧)</sup>

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٢) العلاقات الموثقة بين الناس ضمان لعدم الوقوع في الخلاف، فإذا استقرضتُ منك شيئاً من المال فاكتبه بيدك، وأشهد على ذلك معشراً من الناس الذين حضروا .

(٣) فإن الله العظيم، الذي خلق الخلائق كلها، ودَلَّتْ لجبروته الوجوه جميعاً .

(٤) هذا الخالق العظيم يرشدنا إلى هذا السبيل بقوله: «إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مَسْمًى فَاكْتُبُوهُ» .

(٥) معاهدة التنصيص ٤/ ١٨٦ .

(٦) أعمدة الخير عندنا - نحن المسلمين - هي كلمات أربع نطق بها رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

(٧) أول هذه الكلمات: الابتعاد عن الأمور المشتبهة وهي التي ليس فيها حكم صريح، والثانية: الزهد في الدنيا؛ لأن في الزهد راحة للمؤمن، والثالثة: هي ترك ما لا يعينك من القول أو العمل، فإن في ذلك عزاً وكرامة، وأما الرابعة وهي أجل ما فيهن، ألا وهي النية، لأن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

## حشو الكلام<sup>(١)</sup>

- لا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ<sup>(٢)</sup>  
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ<sup>(٣)</sup>  
وَعَلَى الْفَتَى لَطِبَاعِهِ سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى جَبِينِهِ<sup>(٤)</sup>  
مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى خَدِينِهِ<sup>(٥)</sup>

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٨/٢، وتوالي التأسيس ٧٣، ونسبت الأبيات لأبي العتاهية، انظر ديوانه ٤٠٣ بتحقيق الدكتور المرحوم شكري فيصل، وبهجة المجالس ٢/٢٥٥ وقد زاد بيتين:

رُبَّ أَمْرٍ مُتَيَّقٍ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى يَقِينِهِ  
فَأَزَالَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَابْتَاعَ دُنْيَاهُ بِدِينِهِ  
إن من الكلام ما هو كالدرر، ومنه كالحجارة أو أقل . . .

(٢) وهبنا خالقنا تعالى نعمة النطق، لنذكره ونذكر نعمه وآلاءه، والكلام المفيد هو الذي يجعل لحياة الفرد والجماعة معنى سامياً، أما حشو الكلام وسقطه فلا خير فيه ولا غناء .

(٣) إذا لم يكن للمقال مناسبة، ولم يكن به من فائدة، فما الجدوى من شقشقة اللسان، والتبجح في الألفاظ دون أن يكون لها فائدة ترتجي، فالصمت في هذا المقام ربح وسمو .

(٤) والفتى النبيه ذو السجاياء الراقية، والطباع المحموده، يلوح ذلك على مظهره كله، وتستطيع أن ترى ذلك كضوء لامع يشع من جبينه دالاً عليه .

(٥) خدينه: صاحبه وقرينه . وأنى لك أن تعرف طباع من تصاحبه؟! إن الفطن الذكي يستدل على ذلك من أقرانه، فإن كانوا فضلاء فهو مثلهم، وإن كانوا غير ذلك فهو شبههم أيضاً، لأن الصاحب صاحب، وكل قرين بالمقارن يقتدي .

## ارجع إلى ربّ العباد<sup>(١)</sup>

زِنْ مَنْ يَزِينُكَ بِمَا اتَّزَنْتَ وَمَا يَزِينُكَ بِهِ فَرِنَهُ<sup>(٢)</sup>  
 مَنْ جَاءَ إِلَيْكَ فَرُخٌ إِلَيْهِ وَمَنْ جَفَاكَ فَصُدَّ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>  
 مَنْ ظَنَّ أَنَّكَ دُونَهُ فَاتْرُكْ هَوَاهُ إِذَنْ وَهِنَهُ<sup>(٤)</sup>  
 وَارْجِعْ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ كُلُّ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ<sup>(٥)</sup>

## عمر الفتى<sup>(٦)</sup>

واحسرةً للفتى ساعةً يَعِيشُهَا بَعْدَ أَوْدَائِهِ<sup>(٧)</sup>  
 عُمُرُ الْفَتَى لَوْ كَانَ فِي كَفِّهِ رَمَى بِهِ بَعْدَ أَحْبَائِهِ<sup>(٨)</sup>

(١) نور الأبصار ٢١٤ ، والمخللة ١٣٧ ، وكذلك ذكر الأبيات صاحب غرر الخصائص .

(٢) انظر بعين الاحترام والتقدير للذي يُعْطِيكَ قَدْرَكَ ، وانظر إلى الناس كما ينظرون إليك ، وزنهم بنفس الميزان الذي يزنونك به .

(٣) من جاء متودداً إليك ، فاذهب إليه وبادله الودّ بالودّ ، ومن صدّ عنك وأظهر لك الجفاء فأعرض عنه ولا تلتفت إليه .

(٤) ومن نظر إليك نظرة دونية ووضع نفسه في مرتبة أعلى منك ، فانصرف عنه ولا تخطب وده ، وبادله الشعور بنفسه .

(٥) ارجع في أمرك كله إلى الله تعالى ، الذي بيده الملك والأمر ، فهو الذي يقدر لك الخير ويجعل قلوب الخلق تميل إليك ، ولا يغيب ذلك عنك أبداً .

(٦) الإمام الشافعي للأستاذ عبد الحليم الجندي ٦٤ .

(٧) أودائه : جمع وديد وهو الصاحب . ينعم الإنسان بالحياة ، ويشعر بجمالها عندما يكون مع أصدقائه وأحبائه ، وإذا ما فارقه ، فوا حسرتاه له .

(٨) لو كان الأمر بيده لقضى على نفسه بالموت بعدهم ، ولكن الموت والحياة بيد الله تعالى ، وإليه يرجع الأمر كله .

### الصبر على الأحباء<sup>(١)</sup>

مَنْ يَتَمَنَّ الْعُمَرَ فَلْيَدْرَعْ صَبْرًا عَلَى أَحْبَائِهِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ يُعَمَّرُ يَلْقَ فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ<sup>(٣)</sup>

### الشَّيْبُ نَذِيرُ الْفَنَاءِ<sup>(٤)</sup>

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا<sup>(٥)</sup>  
أَيَّا بَوْمَةً قَدْ عَشَّشْتَ فَوْقَ هَامَتِي عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا<sup>(٦)</sup>

- (١) جاء في تاريخ اربل ٢٢٨/١: وأنشدني أبو الرضا أحمد الموصلي.. وذكر أنهما للشافعي.
- (٢) فليدرع: يجعل الصبر درعاً له. إذا أراد الإنسان أن ينعم بحياة هادئة رغيدة، فليتخذ الصبر درعاً وملاذاً له.
- (٣) ومن كتب له طول البقاء يهرم وتتوالى عليه النوائب، عند ذلك يتمنى لنفسه ما يتمناه الإنسان عادة لأعدائه، ألا وهو الموت.
- (٤) قال ابن المستوفي في تاريخ اربل ٢٨٣/١ في ترجمة أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن الحسن: فأنشدني.. والأبيات منسوبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله فنيهته على ذلك ونبهه من حضر غيري وكررنا عليه ذلك فأصر أن الشعر له وأنه عمله مذ اثني عشر سنة هكذا. مختصر تذكرة القرطبي ١٦، وانظر الفتوحات الوهبية ٢٥١، وشذرات الذهب ٩٠/٢. الشيب زائر يزور الناس بلا إذن، وهو بمثابة رسول يحمل رسالة، فيبلغها بأمانة.
- (٥) خبت النار: أطفئت. المفرق: وسط الرأس. وحين غزا اليباض مفرق الرأس، خمدت نار الشباب والحماسة في نفسي، وشعرت بالكمد والظلمة عندما أضاء الشيب بنوره وأخذ يتسلل رويداً رويداً.
- (٦) أيها الشيب! إنك أشبه بطائر البومة، طاب لها العيش فوق رأسي دون إذن مني ولا رضئ، وقد تجرأت على ذلك عندما انصرف الغراب. ويقصد سواد الشعر.

رَأَيْتِ خَرَابَ الْعُمْرِ مِنِّي فَزَرْتَنِي      وَمَأْوَاكَ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا<sup>(١)</sup>  
 أَنْعَمُ عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي      طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَعِزَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشْيِيهِ      وَقَدْ فَنَيْتَ نَفْسٌ تَوَلَّى شِبَابُهَا<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا اصْفَرَّ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ      تَنَغَّصَ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا<sup>(٤)</sup>  
 فَدَعُ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا      حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا<sup>(٥)</sup>  
 وَأَدَّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا      كَمَثَلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نِصَابُهَا<sup>(٦)</sup>  
 وَأَحْسِنُ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكِ رِقَابَهُمْ      فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الْكِرَامِ اكْتِسَابُهَا<sup>(٧)</sup>

- (١) وكأن هذا الطائر المشؤوم قد رأى الخراب يدب في عمري، فطابت له الزيارة، وهو في كل الأحوال لا يرتاد إلا الأماكن الخربة.
- (٢) العارض: صفحة الخد. فهل يطيب لي عيش بعد أن غزت طلائع الشيب صفحتي خدي، هذه الطلائع التي لا يغني معها خضاب مهما أتقن صنعه.
- (٣) إنني أقول مقالة صدق: عزة المرء وعنفوانه في شبابه، أما عندما تبدأ معالم الشيب في الظهور فإن ذلك إيذان بالفناء والزوال.
- (٤) تنغص: تكدر وساء. ويظل الإنسان متفائلاً نشيطاً طالما كان يرفل في ثياب الشباب، أما حين يصفر لونه ويبيض شعره، فإنه يعد ذلك التفاؤل والنشاط اللذين كانا يغمرانه، وتبدأ منغصات الأيام تتوالى عليه.
- (٥) سوءات الأمور: قبيحها وساقطها. وإذا كان الأمر كما ذكرنا فاترك - أيها العاقل - منذ اللحظة الساقط من الأمور والسيئ من الأفعال، إذ إنها محرمة على نفس التقى، الذي يحاسب نفسه، ويرجو لها النجاة يوم نشر الصحائف.
- (٦) وإن كنت ممن حباه الله تعالى بجاه، فاعلم أن هذا كالمال الذي يجب عليك أداء الزكاة فيه، فبادر إلى أداء هذه الفريضة، وإلا فإنك لن تكون من الشاكرين لهذه النعمة.
- (٧) وخير سبيل للإنسان في هذه الحياة، هو اصطناع المعروف، وخاصة مع =

وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنَكِبِ الْأَرْضِ فَاخِرًا  
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعِمْتُهَا  
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا  
وَمَاهِي إِلَّا جِيفَةً مُسْتَحِيلَةً  
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلَمًا لِأَهْلِهَا  
فَطَوَّبِي لِنَفْسٍ أُولَعَتْ قَعَرَ دَارِهَا

فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ تُرَابُهَا<sup>(١)</sup>  
وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا<sup>(٢)</sup>  
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا<sup>(٣)</sup>  
عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُومٌ اجْتَذَابُهَا<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا نَازِعَتُكَ كِلَابُهَا<sup>(٥)</sup>  
مُعَلَّقَةُ الْأَبْوَابِ مُرَخًى حِجَابُهَا<sup>(٦)</sup>

= الأحرار الذين يقدرُون ذلك حق قدره، وبذلك تملك القلوب وتربح النفوس  
الكريمة، وهما من الغنائم التي لا تُقَدَّر.

(١) يحتويك: يضمك. وإياك أن تختال في الأرض مرحاً متفاخراً، فمصيرك  
- مهما طال بك العمر - أن تستقر في بطنها ولا يبقى منك بعد ذلك سوى  
الذكر الحسن.

(٢) عذبها: ما طاب ولذَّ منها، عذابها: مرها وما ساء منها. لقد ذقت في حياتي  
السعادة والحزن، والقوة والضعف، ولم يبق منها شيء إلا وقد خبرته.

(٣) الفلاة: الصحراء الواسعة. السراب: ما يحسبه الظمآن ماء في منتصف  
النهار. وبعد هذا كله، ترسخت لدي قناعة تامة، هي أن الحياة الدنيا في  
كثير من جوانبها غرور باطل، وهي كالسراب الذي يلوح للمسافر في  
الصحراء يحسبه ماء، ولكنه وهم لا يلبث أن يزول.

(٤) اجتذابها: الجذب الشد والمنازعة، والجر. وأكثر من ذلك فإنني أشبهها  
بجيفة نتنه، تجمع الكلاب حولها من كل حدب، كل كلب منها ينافس الآخر  
على الظفر بقطعة منها.

(٥) تجتنبها: تتعد عنها وتتجنبها. نازعتك: خاصمتك. نصيحتي - أيها  
العاقل - ألا تتعلق بها، وتنازع من حولك من أجلها، فإن أعرضت عنها  
أحبك الناس وكانوا سلماً لك، وإلا فإنهم أعداء لك.

(٦) أولعت: لزمت. وبعد هذا الذي عرفت من أمر الدنيا والناس اللاهثين =

فَلَنْ تَخْرَبَ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شِرَارِهَا وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا<sup>(١)</sup>

## التَّرْفَعُ<sup>(٢)</sup>

إِذَا سَبَّني نَذَلْتُ زَايِدْتُ رِفْعَةً وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِهُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً لَمَكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذَلٍ تُحَارِبُهُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْعَى لِنَفْعِي وَجَدْتَنِي كَثِيرَ التَّوَانِي لِلَّذِي لَنَا طَالِبُهُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَكِنِّي أَسْعَى لِأَنْفَعِ صَاحِبِي وَعَاذَ عَلَى الشُّبْعَانِ إِنْ جَاعَ صَاحِبُهُ<sup>(٦)</sup>

= وراءها، أزمعت أن أَرْضَى بعيش متواضع، لا مجال للمنافسة فيه، وأن أغلق بابي وأعيش ناعم البال مطمئن النفس.

(١) فاللاهثين وراء هذه الجيفة وجودهم وعدمهم في الدنيا سواء، أما الذين حصلوا على المكانة الرفيعة بين الناس بسبب تعففهم عنها، تهتز الدنيا لفقدهم.

(٢) أحسن القصص: ١٠٦/٤. الكريم إذا شتمه إنسان يربأ بنفسه أن يرد عليه...

(٣) فإذا شتمني لئيم وتمادى في غيِّه، ازدادت رفعة واحتقاراً له، وليس عيباً مني ألا أرد عليه، أو أجاريه في سلوكه.

(٤) والنفس العزيزة أرفع من أن تهبط إلى مستوى أولئك المنبوذين، ولولا عزة النفس لهيأت لكل واحد من أولئك الأشرار ما يناسبه، ولكنني أعرض عنهم ترفعاً.

(٥) والمنفعة الشخصية ليست همي الأول في الحياة، ولو كان ذلك مطلبي لوجدتني زاهداً في ذلك وكأنني لا أريده.

(٦) غير أن منفعة صاحبي وخيره هما مسعاي في هذه الدار، ومن العار أن تكون متخماً منعماً وصاحبك يتخبط في مستنقع البؤس والشقاء.



## غني بلا مال<sup>(١)</sup>

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ سِوَى مَنْ غَدَا وَالبُخْلُ مِلءٌ إِهَابِهِ<sup>(٢)</sup>  
فَجَرَّدْتُ مِنْ غِمْدِ الْقَنَاعَةِ صَارِمًا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِذُبَابِهِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا ذَا يِرَانِي وَاقِفًا فِي طَرِيقِهِ وَلَا ذَا يِرَانِي قَاعِدًا عِنْدَ بَابِهِ<sup>(٤)</sup>  
غَنِيٌّ بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا يِهِ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا مَا ظَالِمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا وَلَجَّ عُتُورًا فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ<sup>(٦)</sup>

(١) المستطرف ٥٩/٢ وتنسب الأبيات لـ (محرز بن خلف) وهو من علماء تونس وكانت وفاته ٤١٣ هـ. ليس الغنى عن كثرة المال، ولكن الغنى غنى النفس . . .

(٢) الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ. لقد خبرت هذه الدنيا التي هي معاش للخلائق فما رأيت من الكرام إلا القليل أما الكثرة الكاثرة فهم أولئك الذين سرى البخل في أجسادهم، وكأنه أصبح كجلدهم الذي لا يفارقهم.

(٣) ذباب السيف: حد السيف وأطرافه. فأشهرت سيف القناعة من غمده وقطعت بحده كل رجاء يأتي من الناس حتى لا تحدثني نفسي بطلب شيء من أحدهم.

(٤) فأصبحت كريماً لا يمكن لأحد من أولئك الذين يحرصون على الدنيا أن يراني واقفاً في طريقه طامعاً في نواله أو يجдени جالساً عند بابه أبتغي منه معروفاً.

(٥) الغنى يكون عن الشيء وليس به. أنا أشعر بالغنى الذي لا يوصف لأنني قطعت الأمل من المخلوقين، والغنى الحق هو أن تستطيع الترفع عن طلب أي شيء مهما بلغ، لا أن تعيش لاهثاً في طلبه.

(٦) العتو: التجبر والمبالغة في ارتكاب المعاصي. وهؤلاء الظالمون الذين جمعوا الأموال من أي وجه وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً وبالغوا في الطغيان وفي كسب المال من الحرام.

فَكَلَهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَإِنَّهَا      سَتُبْدِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ <sup>(١)</sup>  
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مَّتَمَرِّدًا      يَرَى النَّجْمَ تَيْهًا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ <sup>(٢)</sup>  
فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفَلَاتِهِ      أَنَاخَتْ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِبَابِهِ <sup>(٣)</sup>  
فَأَصْبَحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهٌ يُرْتَجَى      وَلَا حَسَنَاتٌ تَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ <sup>(٤)</sup>  
وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا      وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوَطَ عَذَابِهِ <sup>(٥)</sup>

### سوء الإنصاف <sup>(٦)</sup>

وحدّث ياقوت الحموي بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال: كان لأبي عبد الله الشافعي امرأة تزوجها من قریش بمكة وكان يمازحها ويقول:

- (١) صرف الليالي: حوادثها ومصائبها. لا بدّ أن المولى تعالى سوف يحاسبهم بما يبعثه عليهم من مصائب الدهر التي لا يمكن دفعها لأنها من جنس أعمالهم وسيلقى المتكبرون ما لم يضعوه في حسابهم.
- (٢) تيهًا: تكبراً وتجبراً. والأيام ترينا نماذج كثيرة من هؤلاء لقد كان واحدهم يخال متمرّداً، فيرى نفسه من شدة تكبره أرفع مكانةً من النجوم التي في السماء.
- (٣) أناخت: بركت وجلست وحلّت. وبينما هو غارق في ضلاله وتيهه وفساده، غافل عما ستأتي به الأيام، إذ بالمصائب والنكبات قد حلّت به، فوقف عاجزاً لا يستطيع حراكاً من هول ما يجد.
- (٤) وكانت عاقبته أن غدا صفر اليدين، لا مال ولا ثروة، ولا جاه ولا سلطان، والأسوأ من هذا كله، أنه لا يملك من صالح الأعمال شيئاً ينقذه مما آل إليه حاله.
- (٥) سوط عذابه: أشد العذاب. لقد كان جزاؤه وفاقاً لما قدمته يداه، إذ لم يكن شاكراً للنعمة والجاه اللذين أنعم الله تعالى بهما عليه، بل كان جاحداً لها، فاستحق من المولى العادل سوط عذاب وبئس المصير.
- (٦) معجم الأدباء ياقوت الحموي ٣٠٨/١٧، حلية الأولياء ١٥٣/٩.

وَمِنْ الْبَلَاءِ أَنْ تُحِبَّ لَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ<sup>(١)</sup>  
فتردُّ عليه بقولها:

وَيَصِدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ وَتُلْحُ أَنْتَ فَلَا تُغْبِهُ<sup>(٢)</sup>

### آدَابُ التَّعَلُّمِ<sup>(٣)</sup>

تَصْبِرْ عَلَى مُرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طَوْلَ حَيَاتِهِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعاً لَوْفَاتِهِ<sup>(٦)</sup>

(١) المصيبة الكبرى التي قد تُصيب الإنسان؛ أن يُبتلى بحب شخص ما وهو يعلم علم اليقين أن هذا الشخص لا يُكُنَّ له شيئاً من المودة.

(٢) ومما يزيد الأمر صعوبة أن ينصرف عنك بوجهه ولا يبالي بك، بينما تبقى ملحاً على لقائه ومودته، ولا تستطيع الابتعاد عنه.

(٣) شذرات درّية وفوائد لؤلؤية؛ مخطوط في الظاهرية قسم الأدب ص ٣٣٠. اثنان لا يتعلمان: مُستح ومُتكبر.

(٤) نفراته: جمع نفرة وهي غضبه وزجره... يا من تريد التزود من العلم وأن تزيج عن نفسك غشاوة الجهل، ما عليك إلا أن تتخذ الصبر ممن تتعلم منه عدة وشعاراً، فإنك قد تلقى منه في بعض حالاته جفاء وقسوة، ولكن هذه القسوة وهذا الجفاء، تكونان من أسباب رسوخ ما تتلقاه وتثيبته.

(٥) تجرع: شرب. إن الإنسان الأنوف، والذي لا يتدرّج بالصبر على مرارة التعلم ساعة، سوف يبقى متجرعاً كؤوس الجهل، وقداح التخلف طول حياته.

(٦) وعلى العاقل أن يغتنم سنَّ الشباب، فيتزود بالعلم ويغتترف من مناهل العرفان ما أمكنه، وإن من يغفل عن ذلك، فهو بمثابة الأموات، الذين تكبر الخلائق أربعاً لوفاتهم.

حياةُ الفتى وَاللهِ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى إِذَا لَمْ يَكُنَا لَا اعْتِبَارَ لِدَاتِهِ<sup>(١)</sup>

## القُضَاةُ<sup>(٢)</sup>

قُضَاةُ الدَّهْرِ قَدْ ضَلُّوا فَقَدْ بَانَتْ خَسَارَتُهُمْ<sup>(٣)</sup>

فَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا فَمَا رِبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ<sup>(٤)</sup>

## الْقَسَامُحُ<sup>(٥)</sup>

مَنْ نَالَ مَنِّي أَوْ عَلَقْتُ بِذِمَّتِهِ أَبْرَأْتُهَ لِلَّهِ شَاكِرَ مِتِّهِ<sup>(٦)</sup>

أَأْرَى مُعَوَّقَ مُؤْمِنٍ يَوْمَ الْجَزَا أَوْ أَنْ أَسْوَءَ مُحَمَّدًا فِي أُمَّتِهِ؟<sup>(٧)</sup>

---

(١) وجوهر المقال - علم الله تعالى - أن كيان الإنسان لا يستقيم إلا بالعلم والتقى فالعلم ينير له الطريق ويرشده إلى الصواب، والتقى يقربه من الخالق جلَّ وعلا، ومن افتقدهما كان كالمفتقد لذاته والمضيّع لها.

(٢) عن المجموعة المباركة وخزينة الأسرار للنازلي.

(٣) عندما ينحرف قضاة الدهر، عن إحقاق الحق، يضلون، وتبدو خسارتهم للعيان.

(٤) ذلك أنهم باعوا دينهم بديناهم، ومن فعل ذلك، فإن تجارته خاسرة لا محالة، وسيلقى جزاءه في محكمة قاضيها رب العالمين.

(٥) شذرات الذهب لابن العماد الأصفهاني ١١/٢.

(٦) من نالني بسوء بلسانه أو فعله، فإني أسامحه، مسقطاً حقي في ذلك، أمام الله تعالى، وإني أبادله الشكر.

(٧) ولن أكون عائقاً في طريق مؤمن يوم الحساب، ليقتص منه بسببي، لأنني حريص على ألا أسوء نبينا محمداً ﷺ في أحد من أمته.

## حديث الضيف<sup>(١)</sup>

مَاذَا يُخْبِرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلَهُ    إِنَّ سِئْلَ كَيْفَ مَعَادُهُ وَمَعَاجُهُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيْقُولُ جَاوَزْتُ الْفُرَاتَ وَلَمْ أُنَلِّ    رِيًّا لَدَيْهِ وَقَدْ طَغَتْ أُمُوجُهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَرَقَيْتُ فِي دَرَجِ الْعُلَا فَتَضَايَقَتْ    عَمَّا أُرِيدُ شِعَابُهُ وَفِجَاجُهُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلِتُخْبِرَنَّ خِصَاصَتِي بِتَمَلُّقِي    وَالْمَاءِ يُخْبِرُ عَنْ قَذَاهُ زُجَاجُهُ<sup>(٥)</sup>

- (١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨، وقد علق عليه الأستاذ إحسان عباس بقوله: لم ترد الأبيات في المختار وحاش لله أن ينسب مثل هذا الشعر للإمام الشافعي أو غيره من أئمة المسلمين، وقد أنشده ابن السمعاني في المذيل لشخص يعرف بكنية غريبة لا أستحضرها الآن وَرَدَ على حضرة الصاحب بن عباد فلم ير منه براً فكتب إليه فجاءه واعتذر إليه وبره.
- (٢) معاجه: مقامه. إذا جاءك ضيف فأقام عندك، ثم عاد إلى أهله وسئل عن نمط حياتك ومقامك.
- (٣) ترى هل سيصفك بالبخل، فيقول لقد مررت بإنسان ذي مال كثير، لكنني لم أفد منه شيئاً، وكأنني جاوزت نهر الفرات ولم أستطع الحصول على شربة ماء منه.
- (٤) شعابه: مفردة شعب وهو الطريق إلى الجبل. فجاجه: مفردة فجوة وهي الفتحة والمتسع بين الشيئين. ولقد بلغت من العلا درجات، ولكنه لم يبتهج لذلك، بل ضاق بي ذرعاً، وكأنما ضاقت سبله ومسالكه عن استيعاب ما وصلت إليه.
- (٥) خصاصتي: الخصاصة. الفقر والحاجة. قذاه: القذى ما يقع في الماء والعين ويأتي بمعنى العيب. وهل أن فقري سيخبر بما يبدو عليّ من تملق وتقرب منه، فإن الماء يظهر ما فيه من عيب وشوائب من خلال الزجاج الذي يضمه.

عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَرِيضِ وَدُرَّةُ      وَعَلَيَّ إِكْلِيلُ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ<sup>(١)</sup>  
تَرْبَى عَلَى رَوْضِ الرُّبَا أَزْهَارُهُ      وَيَرِفُّ فِي نَادِي النَّدى دِيَابِجُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَالشَّاعِرُ الْمِنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِحٍ      وَالشَّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاجُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُعْضِلٌ      وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ<sup>(٤)</sup>

### الأوجه الكالحة<sup>(٥)</sup>

أَقْسَمُ بِاللّهِ لَرَضِخُ النَّوَى      وَشُرْبُ مَاءِ الْقُلْبِ الْمَالِحَةِ<sup>(٦)</sup>  
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ      وَمِنْ سُؤَالِ الْأَوْجِهِ الْكَالِحَةِ<sup>(٧)</sup>

(١) لقد وهبني الله تعالى شعراً كأنه الدر والياقوت، وغمرني بفضله إذ أحاطني بإكليل من الحفظ والرعاية.

(٢) الرُّبَا: المرتفع من الأرض. إن هذا الشعر يربو ويرتفع في رياض المعرفة كالأزهار الفواحة، وهو يخفق في أندية المعالي، خفاقة أنسجته الملونة.

(٣) أسود سالح: الثعبان الخارج من جلده. مجاجه: الريق الذي تمجه من فمك. أما ذلك الشاعر البليغ فكانه ثعبان أسود انسلخ من جلده، وبدأ ينفث من شعره ما يشبه السم الزعاف.

(٤) وعداوة الشعراء مرض يصعب مداواته من قبل الكثيرين، لكن الإنسان الكريم يستطيع أن يجد علاجاً لهذا المرض العضال، فيستطيع مداواة الشعراء وإتقاء عداوتهم بشيء من الحكمة.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٦٥، ومناقب الشافعي للرازي ٩٩.

(٦) رضح النوى: كسره لاستخراج ما في قلبه من نسغ. القلب: جمع قلب وهو البئر. طلاقة الوجه نعمة لكل إنسان، وإنني أقسم أن كسر النوى لاستخراج ما فيه من نسغ، وشرب مياه آبار مالحة لا تسيغها النفوس بحال.

(٧) إن هذين الأمرين أهون على الإنسان من أن يوصف بالحرص والبخل، أو من أن يمد يده ليطلب معونة من إنسان كالح الوجه، مقطب الجبين.

## (١) الوحدة خير

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاًّ نَقِيّاً فَوَحَدَتِي      أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَجْلِسْ وَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِناً      أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أُحَاذِرُهُ <sup>(٣)</sup>

### احذر الناس

كُنْ سَائِراً فِي ذَا الزَّمَانِ بِسِيرِهِ      وَعَنِ الْوَرَى كُنْ رَاهِباً فِي دَيْرِهِ <sup>(٤)</sup>  
وَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ      وَاحْذِرْ مَوَدَّتَهُمْ تَنَلْ مِنْ خَيْرِهِ <sup>(٥)</sup>  
إِنِّي أَطْلَعْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً      أَصْحَبُهُ فِي الدَّهْرِ وَلَا فِي غَيْرِهِ <sup>(٦)</sup>  
فَتَرَكْتُ أَسْفَلَهمْ لِكثَرَةِ شَرِّهِ      وَتَرَكْتُ أَعْلَاهُمْ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ <sup>(٧)</sup>

- (١) نور الأبصار ٢٣٦، وأحسن القصص ٤/ ١١٩، وغرر الخصاص ٤٦٢ .
- (٢) الإنسان اجتماعي بطبعه، يحب معاشرة الإخوان، وإنني إذا لم أجد صديقاً طاهراً صدوقاً أكون معه، فإن وحدتي عند ذاك أَلَذُّ وأكبر من صحبة امرئ ضال .
- (٣) وإن جلوسي وحيداً، أتعبد مولاي وخالقي، أدعى لسرور قلبي وانشراحه، من المكوث مع جليس أحذره ويحذرنني، فلا يأمن أحدنا صاحبه .
- (٤) قيل قديماً: حسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة . الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا بد له من معاشرة من حوله والتعامل معهم لكن عندما يفسد الزمان، وينحرف معظم أهله، فالحذر عندها واجب . في مثل هذا الزمن على المرء أن يسير بتؤدة وحذر، وأن يتبعد عن كثير من البشر، وأن يكون كالراهب الذي يعيش منفرداً في الدَّير .
- (٥) وقد يحسن بك ألا ترجو خيراً من أحدهم، واجتنب عدم إظهار الود لهم تعش بسلامة وأمان .
- (٦) لقد خبرت الكثيرين، وكانت لي معهم تجارب ومواقف، فلم أجد - ويا للأسف - صاحباً أركن إليه، فأمحضه الود، وأبادله الإخلاص .
- (٧) لذلك فقد ابتعدت عن الأدينين منهم، وذلك لأن أذى هؤلاء وشرهم، =

### (١) العاقل الورع

وَالْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا يَشْغَلُهُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَرَعُهُ (٢)  
كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ يَشْغَلُهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ وَجَعُهُ (٣)

### (٤) الرَّأْيُ

لَا تُعْطِينَ الرَّأْيَ مَنْ لَا يُرِيدُهُ فَلَا أَنْتَ مَحْمُودٌ وَلَا الرَّأْيُ نَافِعُهُ (٥)

### (٦) حُبُّ الصَّالِحِينَ

عَزِيزُ النَّفْسِ مَنْ لَزِمَ الْقَنَاعَةَ وَلَمْ يَكْشِفْ لِمَخْلُوقٍ قِنَاعَهُ (٧)

= يسبقان الزمن للإساءة، وتجنبنا الأعلون منهم، وذلك لأن هؤلاء يضنون بالمعروف، ولا يراعون حق الصحة.

- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٨/٢، وتوالي التأسيس لابن حجر العسقلاني ٧٥.
- (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، والعاقل الورع الذي يخشى مولاه، ينظر إلى عيوبه ويحاول ما استطاع إصلاحها، لأن ورعه يدفعه إلى ذلك.
- (٣) حاله في ذلك حال المريض العليل، لا يشغله شيء إلا التفكير بآلامه، وما هي السبيل للشفاء منها، إنه يهتم بآلامه ناسياً لآلام غيره.
- (٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٩٧/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ٢٧٦، وآداب الشافعي ومناقبه للرازي ٢٧٦.

(٥) على الإنسان ألا ييدي النصيحة ويقدم الرأي لمن لا يبغي منه ذلك، فإن أبا الإنسان وقدم الرأي والنصح لمن لا يريد، فإنه لن يحظى بالشكر ولن يكون للرأي الذي قدمه فائدة.

(٦) سمير المؤمنين ١٥٨. حب الصالحين ومعاشرتهم ربح عظيم، وقليل من يحرص عليه.

(٧) قناعه: بكسر القاف ما يستر الإنسان به وجهه. عزة النفس وإكرامها من المروءة، والسعيد في هذه الحياة من يعيش عزيزاً كريماً، ومن لوازم هذه الصفة الشريفة، أن يلتزم القناعة، ويتجنب الطمع بما في أيدي الناس، =



أَفَادَتْنِي التَّجَارِبُ كُلَّ عِزٍّ      وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ؟<sup>(١)</sup>  
فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ      وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةً<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تُطِيعِ الْهَوَى وَالنَّفْسَ وَاعْمَلْ      مِنَ الْخَيْرَاتِ قَدْرَ الْإِسْتِطَاعَةِ<sup>(٣)</sup>  
أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ      لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً<sup>(٤)</sup>  
وَأَكْرَهُ مَنْ تِجَارَتُهُ الْمَعَاصِي      وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ<sup>(٥)</sup>

= وعزيز النفس لا يشكو لمخلوق ما به من ضرر، بل يظل مرتدياً ثياب العز، ولا يطلع على أسرارهِ أحدًا.

(١) إن تجارب الحياة تفيد الإنسان وتغنيه و تقدم له النصيح الكامل، بأن عز الإنسان يكمن أولاً وآخرًا في جعل القناعة شعاراً له، والزهد بما في أيدي الناس.

(٢) صيرها: اجعلها. والعاقل الذي يبتغي عزة نفسه، يجعلها - أي القناعة - رأس ماله الذي يخوض به غمار الحياة، ولا يفرط برأس ماله هذا أبداً، ويصيرها في الوقت ذاته البضاعة التي يعرضها على الناس مفتخراً بها، ومعتزاً بامتلاكها.

(٣) أما الهوى فهو العدو الذي يردي الإنسان ويهوي به إلى مدارك الشقاء والذل، وكذلك مطاوعة النفس، فالنفس - إلا ما رحم ربي - أمارة بالسوء، تزين في كثير من الأحيان القبيح، وتغريك بارتكاب المساوئ، فعليك أن تفعل الخيرات، وتساهم في إشاعة المكرّمات ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

(٤) إنني أحب الصالحين، وأتطلع دائماً إلى صحبتهم، غير أنني أخشى ألا أكون منهم، فليس كل ما يتمنى المرء يدركه، ولكنني أطمع من ربي تعالى أن أنال بحبهم شفاعته تبلغني بعض ما أحب.

(٥) إن الهوى يقود إلى المعاصي ويزينها للإنسان وأنا أكره تجارة المعاصي، ولو أنني يخيل إليّ أنني لست نقياً من المعاصي، ولكنه الرجاء الذي يبعث فيّ الأمل.

## أدب النصيح

- تَعَمَّدَنِي بِنُصِيحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّ النَّصِيحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ<sup>(٣)</sup>

## أبو حنيفة<sup>(٤)</sup>

- لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَةَ<sup>(٥)</sup>  
بِأَحْكَامٍ وَأَثَارٍ وَفَقْهِ كَأَيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَةِ<sup>(٦)</sup>  
فَمَا بِالمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا بِالمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفِهِ<sup>(٧)</sup>

- (١) يا من يريد نصحي، أرجوك أن تكرمني به في معزل من الناس، ولا تقدمه إليّ جهرًا وعلى ملأ من الخلق.
- (٢) إنك إن قدمت لي النصائح، وأنا بين الناس، فإن ذلك بمنزلة توبيخ توجهه إليّ لا أَرْضَى عنه، ولا آخذ به.
- (٣) وإنك إن لم تستمع لقولي، ولم تلق بالآلما قلته لك، فلا تغضب إن لم تجد مني أذنًا صاغية لنصيحتك.
- (٤) الأبيات لعبد الله بن المبارك انظر الفهرست ٢٨٤، وعيون التواريخ حوادث سنة ١٥٠ م. وهل من أحد يجهل هذا الإمام المجتهد العالم الورع . . .
- (٥) إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى هوزينة كل بلد سكنها أو مرّ بها، فهو إمام للمسلمين مجتهد، أنار بفكره الثاقب طريقاً للمسلمين لا يزال أثره باقياً.
- (٦) لقد ترك أحكاماً فقهية، ينعم بها جمهور كبير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأثاره لا تزال باقية، وفقهه يدرس في العالم الإسلامي كله، وهو مكتوب في صفحات الكتب والأوراق.
- (٧) وفي اعتقادي أن الأيام لا تجود بمثله، لا في المشرق ولا في المغرب، ولا حتى في الكوفة التي كانت إقامته فيها.

فَرَحَمَهُ رَبَّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفَةٌ<sup>(١)</sup>  
رَأَيْتُ الْعَايِينَ لَهُ سَفَاهَا خِلَافَ الْحَقِّ مَعَ حُجَجٍ ضَعِيفَةٍ<sup>(٢)</sup>

### بالعمل لا بالكلام

إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الْفَقِيهَ بِفِعْلِهِ لَيْسَ الْفَقِيهَ بِنُطْقِهِ وَمَقَالِهِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَذَا الرَّئِيسُ هُوَ الرَّئِيسُ بِخُلُقِهِ لَيْسَ الرَّئِيسُ بِقَوْمِهِ وَرِجَالِهِ<sup>(٤)</sup>  
وَكَذَا الْغَنِيُّ هُوَ الْغَنِيُّ بِحَالِهِ لَيْسَ الْغَنِيُّ بِمُلْكِهِ وَبِمَالِهِ<sup>(٥)</sup>

### آل بيت رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ<sup>(٧)</sup>

- (١) نسألك اللهم أن تنزل شأبيب رحمتك دائماً وأبداً عليه، طالما كرت الأيام وتعاقبت الشهور، وبعدد ما يقرأ من صحائف الكتب، فهو الجدير بها.
- (٢) إن من يعيب هذا الإمام الجليل، وينتقص حقه من الفضل والعلم، لا شك أنه سفيه وهو يجافي الحق والمنطق، وحججه واهية لا وزن لها ولا برهان.
- (٣) الألقاب وحدها إن لم تقترن بالفعل، فهي لا ترفع صاحبها، فالفقيه الذي أصبح حديث الناس، ليس بشيء إن لم يكن فعله مطابقاً لما يُعلِّمه ويتحدث به.
- (٤) وكذلك الرئيس فإن المنصب لن يرفعه إن لم يكن مثلاً للخلق الكريم، والأدب الرفيع، وليس الرئيس هو الذي يجمع أعداداً لا تحصى من الرجال حوله.
- (٥) وقل ذلك في الغني أيضاً، إن لم يكن غني النفس، سخي اليدين، فإن غناه لن يرفعه، لأن الغنى الحقيقي ليس بما يملكه الإنسان من مال ومتاع.
- (٦) نور الأبصار ص ١٢٧.
- (٧) حب رسول الله ﷺ وحب بيته فرض على كل من عرف مكانة هذا النبي الكريم ﷺ، ويبقى إيمان المرء ناقصاً غير كامل إن لم يحب النبي ﷺ وآل بيته، ويقدم ذلك الحب على نفسه وأهله.

يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ<sup>(١)</sup>

### مشكلة الناس<sup>(٢)</sup>

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَا قَيْتُ أَمْرًا لَا أَشَاكِلُهُ<sup>(٣)</sup>

أَحَامِقُهُ حَتَّى تُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ<sup>(٤)</sup>

### استعارة الكتب<sup>(٥)</sup>

استعار الشافعي رضي الله عنه من محمد بن الحسن، الكوفي الفقيه،

(١) إن الفخر كل الفخر لآل البيت الطاهرين، وهو أنه الصلاة عليهم مقترنة بالصلاة على النبي ﷺ، وتعتبر الصلاة مقبولة إن فعل ذلك، وإلا فلا.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٨١/٢، ومعجم الأدباء ٣١١/١٧، وحلية الأولياء ١٥٢/٩، ونسبهما صاحب عيون الأخبار ٢٤/٣ للمعيطي (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي)، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٢/١.

(٣) النوى: البعد. أشاكله: أوافقته. لقد اضطرني طول البعد عن الأهل والوطن أن أكون في دار غربة، في هذه الغربة كثيراً ما ألقى فتى لا يوافق طبعه طبعي.

(٤) سجية: طبيعة. ومع ذلك فإني أظهر الحق معه، حتى يقول عني من لا يعرفني، إن هذا الحق طبيعة فيّ، والحق أن صاحبي هذا لو كان عاقلاً لوجدني مثله أهوى العقل والحكمة.

(٥) توالي التأسيس للعسقلاني ٥٥، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١١، وطبقات الحنفية ٤٣/٢، وقد رواهما ابن خلكان في وفياته ٣/٣٢٤، وقال: رأيت هذه الأبيات في ديوان منصور بن إسماعيل المصري وقد كتبها إلى أبي بكر بن القاسم.

تلميذ أبي حنيفة شيئاً من كتبه ، فلم يسعفه به ، فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه :

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عَيْنًا      مَن رَأَاهُ مِثْلَهُ  
وَمَن كَانَ مَن رَأَاهُ      قَدْ رَأَى مَن قَبْلَهُ  
لَأَن مَّا يُجِئُهُ      فَاقَ الْكَمَالِ كُلُّهُ  
الْعِلْمُ يَنْهَى أَهْلَهُ      أَن يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ  
لَعَلَّهُ يَبْذُلُهُ      لِأَهْلِهِ لَعَلَّهُ

### مدارة الحسود

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي      مُدَارَاتُهُ عَزَّتْ وَعَزَّ مَنَالُهَا<sup>(١)</sup>  
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ      إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا<sup>(٢)</sup>

### فضل الإمام أحمد بن حنبل

وقال في أحمد بن حنبل رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup> :

قَالُوا يَزُورُكَ أَحْمَدٌ وَتَزُورُهُ      قُلْتُ: الْفَضَائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهُ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ زَارَنِي فَيَفْضِلْهُ أَوْ زُرْتُهُ      فَلِفَضْلِهِ، فَالْفَضْلُ فِي الْحَالَيْنِ لَهُ<sup>(٥)</sup>

(١) استطعت - بفضل الله تعالى - أن أعيش مع الناس بسلام إلا ذلك الحاسد، فإن مداراته كانت فوق طاقتي، ولم أستطع ذلك.

(٢) وكيف يستطيع إنسان أن يعيش مع آخر يحسده على نعمة هو فيها، إن كان هذا الحاسد لا يهنا له عيش إلا إذا رأى النعمة تزول عني؟.

(٣) أحسن القصص ٤/ ١٣٠ ، وهو ينقل عن الجوهر النفيس .

(٤) لا يعرف الفضل إلا أصحابه، وإن الناس قالوا: إننا نراك تكثر زيارة أحمد، وهو يزورك أيضاً، قلت لهم: إني أفعل ذلك لأنني أرى أن الفضائل قد اجتمعت في منزل هذا الرجل، فلا تفارقه أبداً.

(٥) إن كان يزورني فهو يتفضل عليّ بزيارته، وإن زرته فلاني أتمس المزيّد من=

## التَّهْنِئَةُ وَالتَّعْزِيَةُ<sup>(١)</sup>

لما قرأ هارون الرشيد كتاب الولاية للأمين والمأمون بمكة ؛ قام فتى شاب فقال : يا أمير المؤمنين :  
لَا قُصْرًا عَنْهَا وَلَا بُلْغَتَهَا حَتَّى يَطُولَ بِهَا لَدَيْكَ طَوَالُهَا  
فقال الناس : من هذا الشاب الذي جمع التهنئة والتعزية في بيت واحد؟  
ف قيل : هذا فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي .

## فَضْلُ الْعِلْمِ<sup>(٢)</sup>

الْعِلْمُ مِنْ فَضْلِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ<sup>(٣)</sup>  
فَوَاجِبٌ صَوْنُهُ عَلَيْهِ كَمَا يَصُونُ فِي النَّاسِ عِرْضُهُ وَدَمَهُ<sup>(٤)</sup>  
فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ<sup>(٥)</sup>  
وَكَانَ كَالْمُبْتَنِّي الْبِنَاءِ إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَهُ هَدَمَهُ<sup>(٦)</sup>

= الفضل الذي لديه ، والأمر في كلا الحالين مندرج وعائد في الفضل له .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٥ / ٢ .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ١ / ١٥٩ ، وهدية الأمام ٣٦ .

(٣) العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب عباده ، فمن أكرمه الله تعالى بالعلم ، أفاض عليه من بركاته وجعل الناس يخدمونه ، وينفذون له ما يريد طواعية .

(٤) صونه : حفظه . لذلك فإن صيانة العلم وحفظه من قبل صاحبه واجب كبير ، على من أوتي العلم ، فعليه أن يحافظ على هذا العلم كما يحافظ على عرضه ونفسه .

(٥) حوى : ضم وجمع . أودعه : أعطاه . أما الذي وهبه الله سبحانه علماً ، فلم يعرف له قدراً ، وبذلك جاهلاً قيمته لمن لا يتفكرون به ولا يقدرونه حق قدره ، فقد ظلمه .

(٦) ومثله في ذلك ، مثل من يشيد بناء بذل فيه جهداً عظيماً ، حتى إذا اكتمل هذا =

أُهَيْنَ نَفْسِي<sup>(١)</sup>

أُهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ وَلَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهَيِّئُهَا

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا<sup>(٢)</sup>

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

= البنيان أو كاد، بعث إليه من هدمه، وأضاع ما بذل فيه من تعب سدى.

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠١/٢، وآداب الشافعي ومناقبه للرازي ١٢٧، وحلية الأولياء ١٤٨/٩، وقد نسب الجاحظ البيت لأعرابي حجب عن باب السلطان، انظر البيان والتبيين ١٨٩/٢، وقيل هو للحسن بن عبد الحميد رُئي وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسي.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٨٤/٢، ومناقب الشافعي للفخر الرازي ١١٤.

(٣) ومن منا لا يحب أن يحيا في غنى وبجوحة، إن كنت تبغي ذلك، فانظر إلى الحالة التي أنت فيها الآن، ووطن نفسك على أن ترضى بأقل منها، عند ذلك تشعر بالراحة والغنى.

## 【 قافية الياء 】

### عين الرضا<sup>(١)</sup>

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ      وَلَكِنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْذِي الْمَسَاوِيَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَسْتُ بِهِيَابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي      وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا<sup>(٣)</sup>  
فَإِنْ تَدُنْ مِنِّي تَدُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي      وَإِنْ تَنَأَ عَنِّي تَلْقَنِي عَنْكَ نَائِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) هذه الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، انظر زهر الآداب ١/ ١٢٥، وشعر عبد الله الجعفري ٨٩/ ٩٠ جمع عبد الحميد الراضي. عين المحب لا ترى عيباً فيمن تحب، وعين المبغض لا ترى إلا السوء...

(٢) إذا أحببت إنساناً وأنست بصحبته، فإنك لن ترى منه إلا كل جميل من القول والفعل. أما إن كرهت إنساناً أو كرهك هذا الإنسان، فإن العين لا ترى شيئاً له من الفضل، بل قد تقلب الحسن إلى سيء.

(٣) إني معتد بنفسي، ولا أحسب حساباً لمن لا يهابني، وينظر إليّ نظرة لا تنم عن المودة والاحترام، ولست أرى لإنسان حقاً عليّ مالم يبادلني به مهما علا شأنه.

(٤) تنأ: تبعد. إنك أيها الصديق! إن تقربت مني بفعالك المحموده ومودتك الصادقة، فسوف ترى مودتي تسابقني إليك، أما إن ابتعدت عني بروحك وتجاهلتنني، فسوف تلقى مني الأمر نفسه، فنحن في هذا الأمر سواء.



وَسَيَّانَ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى  
وَأَدْلَيْتُ دَلْوِي فِي دِلَاءٍ كَثِيرَةٍ  
كَبَعْضِ الرِّجَالِ يُوطَّنُونَ الْمَخَازِيَا<sup>(١)</sup>  
فَأُبْنُ مَلَاءٍ غَيْرَ دَلْوِي كَمَا هِيَ<sup>(٢)</sup>  
فَلَسْتُ بِبَلَاقٍ ذَا حِفَاطٍ وَنَجْدَةٍ  
مِنَ الْقَوْمِ حُرّاً بِالْخَسِيسَةِ رَاضِياً<sup>(٣)</sup>  
كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ  
وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا<sup>(٤)</sup>

### كَسَانِي رَبِّي<sup>(٥)</sup>

كَسَانِي رَبِّي إِذْ عَرِيتُ عِمَامَةً  
وَقَيْدَتْنِي رَبِّي بِقَيْدِ مُدَاخِلٍ  
جَدِيداً وَكَانَ اللَّهُ يَخْتَارُهَا لِيَا<sup>(٦)</sup>  
فَأَعَيْتُ يَمِينِي حَلَّهُ وَشِمَالِيَا<sup>(٧)</sup>

(١) يوطنون المخازيا: تعودوا على الفواحش. إني أفضل أن أشرب كأس المنون، من أن أرى بين أصحابي ومن يعاشرنني، أرتكب المخازي، أو أقوم بأي شيء من شأنه أن يخدش كرامتي، أو ينتقص من مروءتي.  
(٢) أبْنُ: رَجَعْنُ، لقد خالطت الناس وسرت معهم، وأرسلت دلوِي كما أرسلوا، لكن الأمر مختلف بيني وبينهم، فكل واحد منا يشرب من مشرب مختلف، لذلك عادت دلوِي كما هي فارغة. أما الآخرون فقد امتلأت دلاؤهم، لأننا مختلفون من حيث المبدأ.  
(٣) أرسلت طرفي في هؤلاء الناس، فلم أر إنساناً ذا أنفة وحمية يرضى بالذل أو الهوان وهو بعيد كل البعد عن أن يرضى بالخسيس من الأعمال أو الأقوال.  
(٤) إنني غني عن صاحبي الذي لا يعرف معنى الصحبة الحقة والأخوة الصادقة، طالما نحن على قيد الحياة، فإذا فاجأنا الموت الذي هو نهاية كل حي، عند ذلك فكل واحد منا سيزداد غنى عن صحبة الآخر، إذ لا فائدة ترجى من أحد بعد هذا الفراق الأبدي.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ١١٠/٢.

(٦) كساني ربي الرحيم بعد أن عريت من العمامة - ثوباً جديداً، وكان هو تعالى الذي اختارها لي وأكرمني بها.

(٧) وقيدت بقيود منه تعالى، فلم أستطع تجاوزها، وعجزت يميني أن تحل هذه =

### أمر فوق أمري

أَفْكَرُ فِي نَوَى الْإِنْفِي وَصَبْرِي وَأَحْمَدُ هِمَّتِي وَأَذَمُّ دَهْرِي <sup>(١)</sup>  
وَمَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ لِرَبِّ النَّاسِ أَمْرٌ فَوْقَ أَمْرِي <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

---

= المداخل وكذلك الشمال ، إنه المتصرف في كل شيء .

(١) يفارقني من ألفت ، فأمعن التفكير في ذلك ، فأحمد الله تعالى أن وهبني همة

عالية وصبراً عالياً ، وأذم الأيام التي تكدر صفوي .

(٢) إنني لم أقصر في الطلب ، ولم أكسل في طلب المعالي والمكارم ، ولكن

إرادة الله تعالى وأمره ، لا رادَّ لهما ، فإرادته وقضاؤه نافذان لا محالة ، وهما

فوق كل شيء .

## حكم الإمام الشافعي المنثورة

## مناجاة

أعوذ بالله من مقام الكاذبين، وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت  
قلوب العارفين، وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهي هب لي جودك،  
وجللني بسترِكَ، واعف عن تقصيري بكرم وجهك .

\* \* \*

اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن  
زهد في الدنيا قرّت عيناه مما يراه من ثواب الله تعالى غداً .  
ومن كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان :

١ - من أمر بالمعروف واثمربه .

٢ - ونهى عن المنكر وانتهى عنه .

٣ - وحافظ على حدود الله تعالى .

\* \* \*

كن في الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، واصدقِ الله تعالى في جميع  
أمورك، تنجُ مع الناجين .

\* \* \*

من لم يصُن نفسه لم ينفعه علمه .

\* \* \*

ما من أحد إلا وله محب ومبغض ، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل .

\* \* \*

وقيل له : متى يكون الرجل عالماً؟ قال : إذا تحقق في علم فعلمه ، وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته ، فعند ذلك يكون عالماً .

\* \* \*

إذا خفت على عملك العُجبَ فانظر رضا من تطلب؟ وفي أي ثواب ترغب؟ .

ومن أي عقاب ترهب؟ وأي عافية تشكر؟ وأي بلاء تذكر؟ فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال ، صغر في عينيك عملك .

\* \* \*

سئل عن حاله رضي الله عنه فقال : كيف حال من يصبح ويطلبه ثمانية :

١ - كتاب ربّه بالعمل .

٢ - وسنة نبيّه بالمتابعة .

٣ - ونفسه بالشهوات .

٤ - وشيطانه بالمخالفات .

٥ - وعياله بالقوت .

٦ - وهواه بطول الأمل .

٧ - والدهر بصروفه .

٨ - وملك الموت بقبض روحه .

\* \* \*

إذا دخلت بلدة ولم تجد فيها حاكماً عدلاً، ولا ماء جارياً، ولا طبيباً  
رفيقاً، فلا تسكنها.

\* \* \*

لا تسكن بلدة لا يكون فيها عالم ينبئك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن  
أمر بدنك.

\* \* \*

اثنان أغفلهما الناس : الطب والعربية.

\* \* \*

الفول يزيد في الدماغ.

أكل اللحم يزيد في العقل.

\* \* \*

ما أفلح سمين قطُّ إلا أن يكون محمد بن الحسن<sup>(١)</sup>، فقيل له : فلم؟  
فقال : لأنه لا يعدو العاقل من إحدى حالتين : إما أن يهتم لآخرته ومعاده،  
أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في  
حدٍّ<sup>(٢)</sup> البهائم لعقد الشحم.

\* \* \*

ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة : الحماقة، والطاعون، والهرم.

\* \* \*

---

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

(٢) حد البهائم : مرتبة البهائم.

ثلاثة أشياء دواء الذي لا دواء له وأعيا الأطباء أن تداويه : العنب ، ولبن اللقاح ، وقصب السكر .

\* \* \*

الورَّاق إنما يأكل من دية عينيه .

\* \* \*

ما تخلَّل الإنسان بالخلال من بين أسنانه فليقذفه ، وما أخرج به بأصابعه فليأكله .

\* \* \*

احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج<sup>(١)</sup> وكل من به عاهة في بدنه ، وكل ناقص الخلق فاحذره ، فإنه صاحب التواء ، ومعاملته عسرة .

وقال مرة أخرى : فإنهم أصحاب خِبٍّ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

أخشى على من طلب هذا العلم بغير نية ألا ينتفع به<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

زينة العلماء التقوى ، وحليتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس .

\* \* \*

---

(١) الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه .

(٢) خِبٍّ : حيلة ومكر .

(٣) إنما الأعمال بالنيات .

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

\* \* \*

ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم . فقل له : ولا  
الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله .

\* \* \*

لو أن أهل كورة<sup>(١)</sup> اجتمعوا على ترك العلم لرأيتُ للحاكم أن يجبرهم  
على طلب العلم .

\* \* \*

من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم .

\* \* \*

ما تُقَرَّب إلى الله بشيء بعد أداء الفرائض أفضل من طلب العلم .

\* \* \*

عليك بالفقه فإنه كالنُّفَّاح الشاميَّ يحمل من عامه .

\* \* \*

ما أفلح في العلم إلا من طلبه بالقلّة ، ولقد كنت أطلب ثمن القرطاس  
فيعزُّ عليّ .

\* \* \*

لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس وإن كان مكفياً .

\* \* \*

---

(١) كورة : قرية أو مدينة .



لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذلة  
وضيق العيش ، وخدمة العلم ، وتواضع النفس ، أفلح .

\* \* \*

لا يفلح الرجل في هذا الشأن - يعني في طلب العلم - حتى يكون له  
قَمِيص ولا يكون له سراويل ، ويكون له سراويل ولا يكون له قميص .

\* \* \*

يحتاج طالب العلم إلى ثلاث خصال ، أولها : طول العمر ، والثاني :  
سعة ذات اليد ، والثالث : الذكاء .

\* \* \*

تفقه قبل أن ترأس ، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه .

\* \* \*

من تعلّم علماً فليدقّ فيه لئلا يضيع دقيق العلم .  
مثلُ الذي يطلب العلم بلا حُجّة ، كمثُل حاطب ليل يحمل حزمة حطب  
وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري .

\* \* \*

قيل له : كيف شهوتك للأدب ؟ .

قال : أسمع بالحرف منه مما لم أسمعهُ فتوّدُ أعضائي أن لها أَسْماعاً تتنعم  
به مثل ما تنعمت الآذان .

قيل : وكيف حرصك عليه ؟ .

قال : حرص الجموع المتنوع على بلوغ لذته في المال .

قيل : وكيف طلبك له ؟ .

قال : طلب المرأة المضلة ولدَها وليس لها غيره .

\* \* \*

من لا يحب العلم فلا خير فيه ، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة .

\* \* \*

ذُكر له أصحابُ الحديث وما هم فيه من المجانة والضحك ، وأنهم لا يستعملون الأدب فقال : يا سبحان الله ! لو استعمل أصحاب الحديث ما تقولون لكانوا علماء كلَّهم . ثم التفت إلينا فقال : ما أعلم أنني أخذت شيئاً من الحديث ، أو القرآن ، أو النحو ، أو العربية ، أو شيئاً من الأشياء مما كنت أستفيده ، إلا كنت أستعمل فيه اجتناب ما ذكرتم ، وكنت أفعل هذا قديماً ، وكان ذلك طبعي إلى أن قدمت المدينة ، فرأيت من مالك بن أنس ما رأيت من هيئته وإجلاله للعلم ، فازددت لذلك ، حتى ربما كنت أكون في مجلسه فأريد أن أصفح الورقة فأصفحها صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها .

وقيل له : مالك تدمن إمساك العصا ولست بضعيف ؟ فقال : لأذكر أنني مسافر من الدنيا إلى الآخرة .

\* \* \*

الموعظة للعوام ، والنصيحة للإخوان ، والتذكرة للخواص منهم ، فرض افترضه الله تعالى على عقلاء المؤمنين ، ولولا ذلك لبطلت السُّنة ، وتعطلت الفرائض .

\* \* \*

لا عيب بالعلماء أعظم من رغبتهم فيما زهَّدهم الله فيه ، وزهَّدهم فيما رَغَّبهم الله فيه .

\* \* \*

زينة العلماء : الورع ، والحلم .

\* \* \*

لا يُحْمَلُ الْعِلْمُ وَلَا يَحْسُنُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ : تَقْوَى اللَّهِ ، وَإِصَابَةُ السُّنَّةِ ،  
وَالْخَشْيَةُ .

\* \* \*

كُتِبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : يَا أَخِي ، قَدْ أُوتِيَتْ عِلْمًا ، فَلَا تُدْنَسْ عِلْمُكَ  
بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ ، فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .

\* \* \*

لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ ، الْعِلْمُ مَا نَفَعَ .

\* \* \*

قَدْ أَنْسَيْتُ بِالْفَقْرِ حَتَّى لَا أَسْتَوْحِشُ مِنْهُ .  
أَزَيْنُ شَيْءًا بِالْعِلْمَاءِ : الْفَقْرُ مَعَ الْقَنَاعَةِ ، وَالرِّضَا بِهِمَا .

\* \* \*

فَقَرُ الْعِلْمَاءِ فَقْرُ اخْتِيَارٍ ، وَفَقَرُ الْجُهَّالِ فَقْرُ اضْطِرَارٍ .

\* \* \*

الْمِرَاءُ<sup>(١)</sup> فِي الْعِلْمِ يَقْسِي الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

---

(١) المراء : الجدال .

(٢) الضغائن : الأحقاد .

من إهانة العلم أن تناظر كل من ناظر ك ، وتقاو من قاو ك .

\* \* \*

العلم جهل عند أهل الجهل ، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم .

\* \* \*

قال الشافعي : سمعت (مالك بن أنس) يقول : سمعت (محمد بن عجلان) يقول : إذا أغفل العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله .

\* \* \*

ما أحد أروع لخالقه من الفقهاء .

\* \* \*

إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله في الآخرة فما لله ولي .

\* \* \*

كفى بالعلم فضيلة أنه يدّعيه من ليس فيه ، ويفرح إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل شراً أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نُسب إليه .

العلم مروءة من لا مروءة له .

\* \* \*

وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس ، أو جر عليه ولا يحمدوني .

\* \* \*

الأكفاء في الدين ، ليس الأكفاء من الحسب في شيء .

\* \* \*

من لم تُعِزَّهُ التقوى فلا عِزَّ له، ولقد ولدت بغِزَّة، ورُئيت بالحجاز،  
وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جِيعاً.

\* \* \*

لا يستوحش أحدكم من الإفلاس، فإنني قد أفلست ثلاث مرات ثم  
أيسرت.

\* \* \*

طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد، لو أن الدنيا (علق)  
يباع في السوق لما اشتريته برغيف، لما أعلم ما فيه من الآفات.

\* \* \*

أبين ما في الإنسان ضعفه، فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة  
مع الله تعالى.

\* \* \*

من غلبت عليه شدة الشهوة لحب الدنيا، لزمته العبودية لأهلها، ومن  
رضي بالقنوع زال عنه الخضوع.

\* \* \*

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال:

غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله  
عزَّ وجلَّ على كل حال.

\* \* \*

للزَّهد على الزاهد؛ أحسن من الحُلِّي على المرأة الناهد.

\* \* \*

أنفع الذخائر التقوى، وأضرُّها العدوان.

\* \* \*

من أحب أن يفتح الله له قلبه أو ينورّه، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، وترك الذنوب، واجتناب المعاصي، ويكون له فيما بينه وبين الله خبيّة من عمل، فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره، وإنّ في الموت لأكثر الشغل.

\* \* \*

من أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه الحكمة فعليه: بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبغض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب.

\* \* \*

المسلمون شهداء الله بعضهم على بعض.

\* \* \*

لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

\* \* \*

لو جهدت كل الجهد على أن تُرضي الناس كلهم فلا سبيل إليه، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيّتك لله عزّ وجلّ.

\* \* \*

لا يعرف الرياء إلا مخلص.

\* \* \*

أيّ راحة في المرض إلا رجاء ثوابه، وأنه كفارة للذنوب.

\* \* \*

يا أخي ؛ إنّ الدُّنيا دحض مُزَلَّةٌ ، ودار مذلَّةٌ ، عمرانها إلى الخراب صائر ،  
وساكنها للقبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر  
مصروف ، الإكثار فيها إفسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله تعالى ،  
وارض برزق الله ، ولا تستلف من دار بقائك في دار فنائك ، فإن عيشك فيء  
زائل ، وجدار مائل ، وأكثر من عملك ، وقصّر من أملك .

\* \* \*

ليأتينَّ على الناس زمان لو تُمسِ الأرض مفروشة دنائير ، مكتوب على  
كل دينار : لا إله إلا الله ، من أخذ هذا الدينار دخل النار ، لأصبحت الأرض  
وما عليها دينار .

\* \* \*

كل ما قلته لكم ولم تشهد عليه عقولكم ، أو تقبله أو تراه حقاً فلا  
تقبلوه ، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق .

\* \* \*

الكلام يقظة العقل ، والسكوت نومه ، فانظر كيف مراعاتك له في نومه  
ويقظته .

سياسة الناس أشد من سياسة الدواب .

\* \* \*

الذي يحتاج إليه الناس من المِـرَـان ، أكثر مما يُحسب ، وإن الدَّواب  
لترْاضُ فتستقيم .

\* \* \*

إن للعقل حدّاً ينتهي إليه ، كما أن للبصر حدّاً ينتهي إليه .

\* \* \*

العاقل من عَقْلُهُ<sup>(١)</sup> عَقْلُهُ عن كل مذموم .

\* \* \*

والله الذي لا إله إلا هو ، لو علمت أن شرب الماء البارد يُنقص من مروتِي ما شربته ، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة .

\* \* \*

للمروءة أربعة أركان :

حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والتُّسك .

\* \* \*

المروءة عِفَّةُ الجوارح عما لا يعينها .

\* \* \*

جوهر المرء في خلال ثلاث : كتمان الفقر حتى يظنَّ الناس من عِفَّتِكَ أنك غنيٌّ ، وكتمان الغضب حتى يظنَّ الناس أنك راضٍ ، وكتمان الشَّدَّة حتى يظنَّ الناس أنك متنعِّم .

من أحبَّ أن يُقضى له بالحسنى فليحسن بالناس الظنَّ .

\* \* \*

لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع : الديانة ، والأمانة ، والصيانة ، والرزانة .

\* \* \*

---

(١) عقله : منعه .



قال لابنه: يا بني؛ رفقاً، رفقاً، فإن العجلة تُنقص الأعمال، وبالرفق  
تُدرك الآمال.

\* \* \*

الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة  
للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط.

\* \* \*

ما أكرمتُ أحداً فوق مقداره، إلا أتضع من قدري عنده بمقدار ما أكرمته  
به.

\* \* \*

ثلاثة إن أهتمهم أكرموك، وإن أكرمتهم أهانوك: المرأة، والمملوك،  
والنَّبْطِيّ.

\* \* \*

لا وفاء لعبد، ولا شكر للئيم، ولا صنعة عند نذل.

\* \* \*

صحبة من لا يخاف العار، عار يوم القيامة.

\* \* \*

أربعة لا يعبا الله بهم يوم القيامة: تقوى جندي، وزهد خصي، وأمانة  
امرأة، وعبادة صبي.

\* \* \*

عاشر كرام الناس تعش كريماً، ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم.

\* \* \*

أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودّة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه .

\* \* \*

الحسب ينهى دائماً عن دنايا الأمور .

\* \* \*

ليس لي ولا لعالم أن يقول في إباحة شيء ولا حظره، ولا أخذ شيء من أحد ولا إعطائه .

\* \* \*

ما حلفت بالله لا صادقاً ولا كاذباً قط .

\* \* \*

إذا وجدت مُقَدِّمي أهل المدينة على شيء، فلا يدخل قلبك شك أنه حق .

\* \* \*

السخاء والكرم يُغْطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا تلحقهما بدعة .

\* \* \*

شيئان أغفلهما الناس : النظر في الطب، والنظر في النجوم .  
إذا ربطت كتاباً فاربطه في اليمين، فإنه لو رام رجل حله كان أصعب عليه .

\* \* \*

لم أر أنفع للوباء من التسبيح .

\* \* \*

أُسِّسَ التصوف على الكسل .

\* \* \*

الجمعة فريضة ، والسعي فريضة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

\* \* \*

من كان ذا عاهة في بدنه فاحذروه .

\* \* \*

الكوسج خبيث ، والأزرق خبيث .

\* \* \*

من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه  
وخانه .

\* \* \*

من زعم أنه يرى الجنَّ أبطلنا شهادته ، يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ  
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ .

\* \* \*

إذا رأيتم الكتاب فيه إصلاح وإلحاق فاشهدوا له بالصحة .

\* \* \*

إذا أردت أن تعرف الرجل أكايب هو؟ فانظر إلى دواته فإن وضعها عن  
شماله ، أو بين يديه ، فاعلم أنه ليس بكاتب .

\* \* \*

إذا ثبت الأصل في القلب، أخبر اللسان عن الفروع.

\* \* \*

قيل للشافعي: أخبرنا عن العقل يولد به المرء؟ فقال: لا ولكن يُلَقَّح من مجالسة الرجال ومناظرة الناس.

\* \* \*

وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق، بصبي يطرح في البئر حجراً عظيماً فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال.

\* \* \*

الساعي ممقوت إذا كان صادقاً؛ لهتكه العورة، وإضاعته الحرمة. ومعاقبٌ إن كان كاذباً؛ لمبارزته الله بقول البهتان، وشهادة الزور.

\* \* \*

تنقَّص رجل محمد بن الحسن عند الشافعي فقال له: مه؛ تلمَّظت<sup>(١)</sup> بمضغة طالما لفظها الكرام.

\* \* \*

إن أصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فإنني قائل بها.

\* \* \*

قال أبو محمد ابن بنت الشافعي: سألت أبي فقلت: يا أبتى أيُّ العلم أطلب؟ فقال: يا بني؛ أما الشعر فيضع الرفيع ويرفع الخسيس، وأما النحو

---

(١) تلمَّظت: تلمَّظ فلان: لمظ. ويقال ما تلمَّظتُ اليوم بشيء: ما ذقتُ شيئاً، وبذكره: عابه واللماظه: بقية الطعام في الفم. (المعجم الوسيط) (٨٤٥/٢).

فإذا بلغ الغاية صار مؤدباً، وأما الفرائض فإذا بلغ صاحبها فيها الغاية صار معلماً حساباً، وأما الحديث فتأتي بركته وخيره عند فناء العمر، وأما الفقه فللشباب وللشيخ وهو سيد العلم.

\* \* \*

ما اشتدَّ عليّ فوت أحد من العلماء مثل فوت ابن أبي ذئب والليث بن سعد.

\* \* \*

الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل.

\* \* \*

الحاسد طويل الحسرات، عادم الدرجات.

\* \* \*

من طلب الرياسة فرّث منه، وإذا تصدّر الحديث فاته علم كثير.

\* \* \*

من نظّف ثوبه قلَّ همّه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

\* \* \*

لن يجفو فعل من يصفو.

\* \* \*

لولا أن يطول على الناس، لوضعت في كل مسألة جزء حجج وبيان.

لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

٨٢]. فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

\* \* \*

إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلته .

\* \* \*

متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً ولم آخذ به ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب .

\* \* \*

كل ما قلت فكان عن رسول الله ﷺ خلاف قلبي مما يصح ، فحديث رسول الله ﷺ أولى .

\* \* \*

إذا وجدتم سنةً صحيحةً فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد .

\* \* \*

كل مسألة تكلمت فيها ، وصحَّ الخبر فيها عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي .

\* \* \*

أيُّ سماء تُظِلُّني وأيُّ أرض تُقِلُّني إذا رويت عن النبي ﷺ حديثاً ولم أقل به .

\* \* \*

إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي .

كل متكلم من الكتاب والسنة فهو الحق وسواه هذيان .

\* \* \*

عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر صواباً من غيرهم .

\* \* \*

المعتزلة إذا سلموا للعلم خصموا به .

\* \* \*

سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت : أخطأت ، ولا تسأل عن شيء إذا  
أخطأت فيه قلت : كفرت .

\* \* \*

تعبّد قبل أن ترأس ؛ فإنك إن ترأست لم تقدر أن تتعبّد .

\* \* \*

ما نظر الناس إلى من هم دونه ، إلا بسطوا ألسنتهم فيه .

\* \* \*

احذر كل مستमित فإنه ملد<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

من أظهر شكرك بما لم تأت إليه ، فاحذر أن ينكر نعمتك فيما أتيت إليه .

\* \* \*

لا يكاد وجود شعر القرشي ولا خطه لمكان رسول الله ﷺ .

\* \* \*

لا تخوضنّ في أصحاب النبي ﷺ ، فإن خصمك النبي ﷺ يوم القيامة ،

---

(١) ملد: الغول (المعجم الوسيط) .

ولا تشتغل بالكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على أمر عظيم،  
ولا تشتغل بالنجوم، فإنه يجر إلى التعطيل.

\* \* \*

إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث كأني رأيت رجلاً من أصحاب  
النبي ﷺ.

\* \* \*

لأن يُتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في  
الكلام، فإني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قطاً.

\* \* \*

ما ابتدأ أحد بالكلام فأفلح.

\* \* \*

لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد.

\* \* \*

من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر.

\* \* \*

مثل الذي نظر في الرأي ثم تاب عنه، مثل المخربق الذي عولج حتى تبرأ  
بأعقل ما يكون قدهاج به.

\* \* \*

البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو  
محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتجَّ بقول عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه في قيام رمضان: نعمت البدعة هي.



ما ساق الله هؤلاء الذين يتقوّلون في عليّ، وفي أبي بكر وعمر وغيرهم  
من أصحاب النبي ﷺ، إلا ليُجري لهم الحسنات (أي: لأبي بكر وعمر  
وعلي... ) وهم أموات.

\* \* \*

لم أر أحداً من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة.

\* \* \*

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

\* \* \*

الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ثم تلا هذه  
الآية: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

\* \* \*

رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على  
الجمال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك  
الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

\* \* \*

ما شبهت رأي أبي حنيفة إلا بخيط سحاب، إذا مددته كذا خرج أصفر،  
وإذا مددته كذا خرج أحمر.

\* \* \*

ما نظرت في موطأ مالك رحمه الله إلا ازددت فهماً.

\* \* \*

اعرف الحق لذی الحق، إذا أحق الله الحق.

لن يبلغ هذا الشأن إلا من أحرق قلبه البنّ (يريد في طلب العلم).

\* \* \*

ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته .

\* \* \*

من صدق في أخوة أخيه ؛ قبلَ علله ، وسدَّ خلله ، وعفا عن زلله<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه ذنباً .

\* \* \*

إني إذا أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

\* \* \*

وسئل عن السفلة؟ فقال : من يكون إكرامه لمخالفه أكثر من إكرامه لأهل مذهبه ، وليس ذلك إلا لقلّة فضله وعلمه ، يريد أن يستكثر بهم ، ومتى يوالى العدو؟! .

\* \* \*

طُبع ابن آدم على اللؤم : فمن شأنه أن يتقرب مما يتباعد منه ، ويتباعد ممن يتقرب منه .

\* \* \*

من أحسن ظنه بليئيم ، كان أدنى عقوبته الحرمان .

\* \* \*

---

(١) زلله : خطئه .

مِنْ علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً .

لا تقصّر في حق أخيك اعتماداً على مودته .

\* \* \*

لا تبذل وجهك لمن يهون عليه ردُّك .

\* \* \*

إن الله خلقك حراً فكن كما خلقك .

\* \* \*

من بَرَّك فقد أوثَّقك ، ومن جفاك فقد أطلقك .

\* \* \*

من سمع بأذنه صار حاكياً ، ومن أصغى بقلبه كان واعياً ، ومن وعظ بفعله كان هادياً .

\* \* \*

مَنْ نَمَّ لك نَمَّ بك ، ومن نقل إليك نقل عنك ، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك ، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك .

\* \* \*

الكَيِّس العاقل هو الفطن المتغافل .

\* \* \*

لو أن رجلاً سوَّى نفسه حتى صار مثل القدح ، لكان له في الناس من يعانده .

\* \* \*

أصحاب المروءات في جهد .

\* \* \*

من سام نفسه فوق ما يساوي ، ردّه الله تعالى إلى قيمته .

\* \* \*

الحرية هي الكرم والتقوى ، فإذا اجتمعا في شخص فهو حرّ .

\* \* \*

الفتوة حليّ الأحرار .

\* \* \*

من تزين بباطل هتك ستره .

\* \* \*

إذا دُكِرَ الرجل بغير صناعته فقد وُهِص : أي كُسر .

\* \* \*

التواضع من أخلاق الكرام ، والتكبر من شيم اللّثام .

\* \* \*

أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثر الناس فضلاً من لا يرى فضله .

\* \* \*

الكِبْرُ كُلُّ عَيْبٍ ، وإذا رأيت الرجل بالنهار يكسر الحطب فلا تأمن عليه بالليل .

\* \* \*

أَيُّمَا قَوْمٍ لَمْ تَخْرُجْ نِسَاؤُهُمْ إِلَى رِجَالٍ غَيْرِهِمْ ، وَرِجَالُهُمْ إِلَى نِسَاءٍ غَيْرِهِمْ  
إِلَّا خَرَجَ أَوْلَادُهُمْ حَمَقَى .

\* \* \*

لَيْسَ الْخَطَأُ أَنْ يَرْمِيَ الْإِنْسَانُ الْهَدَفَ ، إِنَّمَا الْخَطَأُ مَا تَعَمَّدَهُ .  
مَنْ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ ، وَمَنْ اسْتُرْضِيَ فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ  
شَيْطَانٌ .

\* \* \*

سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ الزَّهْرِيَّ يَقُولُ : الذُّلُّ فِي خَمْسَةِ  
أَشْيَاءَ :

حُضُورُ الْمَجْلِسِ بِلَا نَسْخَةٍ ، وَعُبُورُ الْمَعْبَرِ بِلَا قِطْعَةٍ ، وَدُخُولُ الْحَمَامِ بِلَا  
كَرْنِيبٍ<sup>(١)</sup> ، وَتَذَلُّلُ الشَّرِيفِ لِلدَّنِيِّ لِيُنَالَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَتَذَلُّلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ  
لِيُنَالَ مِنْ مَالِهَا شَيْئًا .

\* \* \*

مِنَ الذَّلِّ أَشْيَاءُ : عُبُورُ الْجَسْرِ بِلَا قِطْعَةٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ بِلَا  
نَسْخَةٍ ، وَدُخُولُ الْحَمَامِ بِلَا سَطَلٍ ، وَذَلُّ الشَّرِيفِ لِلْوَضِيعِ يَطْلُبُ نَائِلَهُ ، وَذَلُّ  
الرَّجُلِ لِإِمْرَأَتِهِ يَطْلُبُ رِضَاهَا ، وَمُدَارَاةُ الْأَحْمَقِ فَإِنْ مُدَارَاةُ الْأَحْمَقِ غَايَةٌ  
لَا تَدْرِكُ .

\* \* \*

---

(١) الْكَرْنِيبُ : وَيَكْسَرُ : الْمَجِيعُ وَهُوَ حَزْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يُصْنَعُ مِنْ لَبَنٍ وَتَمَرٍ .  
(الْقَامُوسُ الْمُحِيط) (٤/٤٣) .

لا يدخل في الوصية إلا أحق أو لصّ .

\* \* \*

من ولي القضاء فلم يفتقر فهو لصّ .

\* \* \*

التلطف في الحيلة أجدى من الوسيلة .

\* \* \*

إذا كثرت عليك الحوائج فابدأ بأهمها .

\* \* \*

من كتم سرّه، كانت الخيرة في يده .

\* \* \*

ليس بعاقل من لم يأكل مع عدوه في غضارة<sup>(١)</sup> ثلاثين سنة .

\* \* \*

لا بأس بالفقيه أن يكون معه سفیه يسافه به .

\* \* \*

الشفاعات زكاة المروءات .

\* \* \*

ليس في الطب شرف .

\* \* \*

---

(١) الغضارة : الصحيفة المتخذة من الطين .

ما نقص من أثمان السودان إلا لضعف عقولهم ، ولولا ذلك لكان لونا  
من الألوان ، من الناس من يشتهيهِ ويفضله على غيره .

\* \* \*

الوقار في النزهة سخف .

\* \* \*

ترك العادة ذنب مستحدث .

\* \* \*

لا تشاور من ليس في بيته دقيق ، فإنه مُدَّله <sup>(١)</sup> العقل .

\* \* \*

ما ضحك من خطأ رجل إلا ثبت صوابه في قلبه .

\* \* \*

ما دخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد منهم من سُنَّة صاحبه ، حتى إن  
العراقيَّ ليأخذ من سنة الشاميِّ ، والشاميَّ من سنة العراقيِّ .

\* \* \*

إذا رأيت الرجل فضة خاتمه كثيرة وفَضُّه صغير ، فذاك رجل عاقل ، وإذا  
رأيت الرجل فضته قليلة وفَضُّه كبير ، فذاك رجل عاجز .

\* \* \*

ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنَّه .

\* \* \*

---

(١) مدله : المدلَّة من الرجال : الذاهب العقل . (المعجم الوسيط) .

لا تحدث عن حي ، فإن الحي لا يؤمن عليه أن ينسى .

\* \* \*

من كذب على أخيه فقد عضه<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

السخاء في اليمن ، أهل اليمن فيهم السخاء .

\* \* \*

إذا أخطأتك الصنعة إلى من يتقي الله تعالى ، فاصطنعها إلى من يتقي العار .

\* \* \*

الشعر كلام حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام ، غير أنه كلام باق سائر ، فذلك فضله على سائر الكلام ، فمن كان من الشعراء لا يعرف بنقص المسلمين وأذاهم والإكثار من ذلك ، ولا بأن يمدح فيكثر الكذب - لم تردّ شهادته .

\* \* \*

اتَّقِ الله ، ومثّل الآخرة في قلبك ، واجعل الموت نُصْبَ عينيك ، ولا تنس موقفك بين يدي الله ، وكن من الله تعالى على وَجَل ، واجتنب محارمه ، وأدّ فرائضه ، وكن مع الحق حيث كان ، ولا تستصغرنَ نِعَمَ الله عليك وإن قلّت ، وقابلها بالشكر ، وليكن صمتك تفكراً ، وكلامك ذكراً ، ونظرك عبرة . اعفِ عمن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واصبر على النائبات ، واستعذ بالله من النار بالتقوى .

\* \* \*

---

(١) عضه : قطعه ، أصابه في عضده . (المعجم الوسيط) .



ليكن الصدق لسانك، والوفاء عمادك، والرحمة ثمرتك، والشكر طهارتك، والحق تجارتك، والتوّدّد زينتك، والكتاب فطنتك، والطاعة معيشتك، والرضا أمانتك، والفهم بصيرتك، والرجاء اصطبارك، والخوف جلبابك، والصدقة حرزك، والزكاة حصنك، والحياة أميرك، والحلم وزيرك، والتوكل درعك، وتكون الدنيا سجنك، والفقر ضجيعك، والحق قائدك، والحج والجهاد بُغيتك، والقرآن محدّثك، والله مؤنسك. فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته.

\* \* \*

ما ناظرت أحداً قطّ على الغلبة، وبودّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب (يعني كتابه) على أن لا يُنسب إليّ منه شيء.

\* \* \*

من تكلم بكلام في الدين، أو في شيء من هذه وليس فيه إمام متقدّم من النبي ﷺ وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثاً.

\* \* \*

بذلة كلامنا صون كلام غيرنا.

\* \* \*

إنّ الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الكريمة فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها، وإنّ من النطق ما هو أشد من الصخر، وأنفذ من الإبر، وأمرّ من الصبر، وأدور من الرّحى، وأحدّ من الأسنة، وربما اغتفرت حراً على حرارته مخافة أن يكون أحرّ وأمرّ وأنكر منه.

\* \* \*

العلم حر، وطالب العلم عبد، فإن خدم العلم ملك العلم، وإن تجبر عليه فالعلم أشدُّ تجبراً من أن يخضع لمن لا يخضع له.

\* \* \*

سئل بعض السلف: ما بلغ من اشتغالك بالعلم؟ فقال: هو سلوتي إذا اهتممت، ولذتي إذا سلوت.

\* \* \*

ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر، إلا رأيت الكراهية في وجهه؛ إلا محمد بن الحسن.

\* \* \*

إن أردت الصلاة ففي أهل المدينة، وإن أردت المناسك فعليك بأهل مكة، وإن أردت الملاحم فعليك بأهل الشام، والرأي عند أهل الكوفة. من أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة.

\* \* \*

يقولون: إني أخالف (أبا فلان رحمه الله) للدنيا، وكيف يكون ذلك والدنيا معهم؟ وإنما يريد الإنسان الدنيا لبطنه وفرجه، وقد مُنعت من الذم المطاعم، ولا سبيل إلى النكاح.

\* \* \*

ما ناظرت إلا على النصيحة.

\* \* \*

ما ناظرت أحداً فأحببت أن يُخطئ.

\* \* \*

ما كَلَّمْتُ أحداً قطُّ إلا ولم أبالِ بَيْنَ الله الحق على لساني أو لسانه .

\* \* \*

ما ناظرت أحداً علمت أنه مقيم على بدعة .

\* \* \*

كنت أرى إذا تناظر اثنان في مسألة ، وكان أحدهما يناظر ويضحك ظنت العامة أنه هو المصيب ، فقضوا له على صاحبه .

\* \* \*

لا ينبل قرشي بمكة ولا يظهر ذكره حتى يخرج منها ، وذلك أن النبي ﷺ ، لم يظهر أمره حتى خرج من مكة .

\* \* \*

من تعلَّم القرآن عَظُمَت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبِلَ قَدْرُهُ ، وفي رواية (جعفر) نبِلَ مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رَقَّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

\* \* \*

إعراب القرآن أحبُّ إلي من حفظ بعض حروفه .

\* \* \*

تعلموا العربية ، فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة .

\* \* \*

من فعل ما نهى عنه وهو عالم بنهيه، فهو عاص بفعله، فليستغفر الله ولا يعود.

\* \* \*

ما أحد يطيع الله حتى لا يعصيه، وما أحد يعصي الله حتى لا يطيعه، ولكن إذا كان أكثر عمله الطاعة، ولا يقدم على كبيرة، فهو عدل.

\* \* \*

إذا ضاقت الأشياء اتسعت، وإذا اتسعت ضاقت.

\* \* \*

لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أو إجماع الناس، وفي رواية المسلمين.

\* \* \*

لا يقال للأصل: لم، ولا كيف؟ وبالله التوفيق.

\* \* \*

ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم. وجهة العلم في الخبر في الكتاب والسنة، أو الإجماع، أو القياس. فعلم الحق كتاب الله تعالى، ثم سنة نبيه ﷺ، فليس لمفتي ولا لحاكم أن يفتي، ولا يحكم حتى يكون عالماً بهما، ولا أن يخالفهما، ولا واحداً منهما بحال، فإذا خالفهما فهو عاص لله به، وحكمه مردود.

\* \* \*

لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك به خير من أن يلقاه بشيء من الهوى.

\* \* \*

لولا أصحاب الحديث لكنا بيّاعي الفول.

\* \* \*

من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق، كان كمن حضر الطاحون بغير قمح.

\* \* \*

استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر.

\* \* \*

وقال موصياً مؤدب أولاد الرشيد: (ليكن ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبح عندهم ما تكرهه. علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإنّ ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم).

أشدّ الأعمال ثلاثة: (الجود في قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف).

\* \* \*

لا خير في صحبة من تحتاج إلى مداراته.

\* \* \*

قبول السعاية شر من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة،  
وليس من دلّ على شيء كمن قبل وأجاز.

\* \* \*

إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع  
الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا  
وكذا، وإياك أن تسمي له المُبلِّغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر،  
لا تزيدني على ذلك شيئاً، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً بعذر  
فاقبل منه، وإن لم تر لذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك، فإن ذكر  
ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك وجهاً لعذره وضاق عليك  
المسلك فحيثُ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت بعد ذلك بالخيار إن شئت كافأته  
بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ في  
الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى  
اللَّهِ﴾، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان  
فعُدّها، ثم انذر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه  
السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

\* \* \*

إذا كان لك صديق فشدّ يدك به، فإن اتخاذه الصديق صعب وفراقه  
سهل.

\* \* \*

أصل كل عداوة الصنعية إلى الأندال.

\* \* \*

ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل من يختار أخيرهما (يريد خير الشرّين).

\* \* \*

نَزَّهُوا أَسْمَاعَكُمْ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا<sup>(١)</sup> كَمَا تَنْزَهُونَ أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ ،  
فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ الْقَاتِلِ ، وَإِنَّ السَّفِيهَ لَيَنْظُرُ إِلَى أَخْبَثَ شَيْءٍ فِي إِنَائِهِ ،  
فِيَحْرُصُ أَنْ يَفْرُغَهُ فِي أَوْعَيْتِكُمْ ، وَلَوْ رَدَّتْ كَلِمَةُ السَّفِيهِ لَسَعَدَ رَادَهَا كَمَا شَقِي  
بِهَا قَاتِلُهَا .

\* \* \*

الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم،  
ويضعف صاحبه عن العبادة .

\* \* \*

من ادَّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب .

\* \* \*

من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع  
زال عنه الخضوع .

\* \* \*

التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة .

\* \* \*

لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الهواء ما قبلته .

\* \* \*

---

(١) الخنا: الكلام السيء البذيء .

الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء ، فنظروا إليها بسوء  
اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم .

\* \* \*

من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره .

\* \* \*

ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ،  
ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته .

\* \* \*

من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف  
ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم .

\* \* \*

العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان .

\* \* \*

وسئل يوماً رضي الله عنه عن مسألة فسكت ؛ ف قيل له : ألا تجيب رحمك  
الله ؟ فقال : حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي .

\* \* \*

لا تقصّر في حق أخيك اعتماداً على مروءته أو مودته .  
من كتم سره كانت الخيرة في يده .

\* \* \*

الناس لم يخلقوا أعمالهم ، بل هي من خلق الله تعالى .

\* \* \*



قيل للشافعي يوماً: أيهم أفضل؟ الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله عزَّ وجلَّ امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكَّنه. وآتاه ملكاً، و التمكين أفضل الدرجات قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾. وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مُكِّن؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

\* \* \*

فعزَّ نفسك بما تعزي غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضَّ المصائب فقدُ سرور مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعاً على اكتساب وزر.

\* \* \*

أحبُّ نكاح ذات الدين والعقل، فإن أهل العقل من كل صنف أقربهم من الدوام على الخير، والانتقال من الشر.

\* \* \*

## موعظة

قال المزمي: قلت للشافعي: عظمي يا أبا عبد الله، فقال لي: اتق الله، ومثل الآخرة في قلبك، واجعل الموت نُصَبَ عَيْنِكَ، ولا تنسَ موقفك بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وكن مع الله تعالى عزَّ وجلَّ، واجتنب محارمه، وأدِّ فرائضه، وكن مع الحق حيث كان، ولا تستصغرَنَّ نعم الله عليك وإن قلتَ، وقابلها بالشكر وليكن صمتك تفكيراً، وكلامك ذكراً، ونظرك عبْرة، اعفِ عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصبر على النائبات، واستعذ بالله من النار بالتقوى.

فقلت: زدني، رحمك الله يا أبا عبد الله.

فقال: ليكن الصدق لسانك والوفاء عمادك، والرحمة ثمرتك، والشكر طهارتك، والحق تجارتك، والتوُّد زينتك، والكتاب فطنتك، والطاعة معيشتك، والرضا أمانتك، والفهم بصيرتك، والرجاء اصطبارك، والخوف جلبابك، والصدقة حرزك والزكاة حصنك، والحياء أميرك، والحلم وزيرك، والتوكل درعك، وتكون الدنيا سجنك، والفقر ضجيعك، والحق قائدك، والحج والجهاد بغيتك، والقرآن محدِّثك، والله مؤنسك، فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته.

\* \* \*

## وصيّة الإمام الشافعيّ

## وصية الإمام الشافعي

هذه وصية الإمام محمد بن إدريس الشافعي  
رحمة الله تعالى عليه؛ قال:

من أراد أن يخرج من الدنيا سالماً، فليستعمل عشرة أشياء:

١ - عطاء النفس:

وهو: قلة النوم، والأكل، والكلام، وقناعة القوت.

٢ - عطاء ملك الموت:

وهو: قضاء الفوائت، وإرضاء الخصماء، والاستعداد للموت،  
والشوق إلى الله تعالى.

٣ - عطاء القبر:

وهو ترك النيمة، والتنزه من البول وغيره، والصلاة بالليل، ونصرة  
المظلوم.

٤ - عطاء مُنكر ونكير:

وهو: صدق القول، وقول الحق، وترك المعصية، ونصيحة الحق على  
الخلق.

٥ - عطاء الميزان:

وهو: كظم الغيظ، وكثرة الذكر، وإخلاص العمل، واحتمال الأذى.

## ٦ - عطاء الصراط :

وهو: ترك الغيبة، والورع الصادق، وعون المؤمن، والمشي إلى الجماعة.

## ٧ - عطاء المالك :

وهو: البكاء من خشية الله تعالى، وبر الوالدين، والتصدق في السر والعلانية، وحسن الخلق.

## ٨ - عطاء الرضوان :

وهو: الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء، والتوبة عن المعصية.

## ٩ - عطاء النبي ﷺ :

وهو: الصلاة عليه، والتمسك بالشرعة، والتعلق بالسنة، وحب الصحابة بالترتيب، وطلب الفضيلة.

## ١٠ - عطاء الله تعالى :

وهو: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحب الطاعة، وبغض المعصية.

\* \* \*

## فهرس الديوان

## فهرس الديوان

مطلع القصيدة	القافية	الصفحة	البحر
قافية الهمزة			
دع الأيام تفعل ما تشاء	القضاء	٥١	الوافر
أتهزأ بالدعاء وتزدرية	الدعاء	٥٣	الوافر
أكثر الناس في النساء وقالوا	البلاء	٥٣	الخفيف
أرى حمراً ترعى وتعلف ما تهوى	تروى	٥٤	الطويل

## قافية الباء

إذا حار ذهنك في معنيين	والصواب	٥٥	المتقارب
أصبحت مطرحة في معشر جهلوا	بالذنب	٥٥	البسيط
تموت الأسد في الغابات جوعاً	الكلاب	٥٦	الوافر
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	رقيب	٥٧	الطويل
خذي العفو مني تستديمي مؤدتي	أغضب	٥٧	الطويل
خبراً عني المنجم أني	الكواكب	٥٨	الخفيف
يخاطبني السفية بكل قبح	مجيباً	٥٨	الوافر
أنت حسبي وفيك للقلب حب	حب	٥٩	الخفيف
أرى الغر في الدنيا إذا كان فاضلاً	ويخطب	٥٩	الطويل

الطويل	٥٩	غريبا	سأضرب في طول البلاد وعرضها
الطويل	٦٠	غريب	سقى الله أرض العامري غمامة
البسيط	٦٠	واغترب	ما في المقام الذي عقل وذو أدب
الخفيف	٦٢	جواب	قل بما شئت في مسبة عرضي
الطويل	٦٢	تنوب	لئن بعدت دار المعزى ونابه
الطويل	٦٣	حبيب	وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له
الوافر	٦٣	أعابا	أحب مكارم الأخلاق

### قافية التاء

الوافر	٦٥	سكوتا	وأنطقت الدراهم بعد صمت
الوافر	٦٥	بيتا	إذا رمت المكارم من كريم
الوافر	٦٦	السكوت	إذا نطق السفية فلا تجبه
الوافر	٦٦	يفوت	قليل المال لا ولد يموت
البسيط	٦٧	وهبات	الناس بالناس ما دام الحياة بهم
البسيط	٦٨	العداوات	لما عفوت ولم أحقد على أحد
الطويل	٦٩	عثراتي	أحب من الإخوان كل مواتي
البسيط	٧٠	المروءات	يا لهف نفسي على مال أفرقه
الطويل	٧٠	فزلت	جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت
مجزوء الكامل	٧١	وسيلتي	آل النبي ذريعتي

### قافية الجيم

الكامل	٧٢	المخرج	ولرب نازلة يضيق لها الفتى
المنسرح	٧٢	نجا	صبرا جميلاً ما أقرب الفرجا



## قافية الحاء

الهم فضل والقضاء غالب	اللوح	٧٣	السريع
قالوا سكت وقد خوصمت	مفتاح	٧٣	البسيط
فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً	أنصح	٧٤	الطويل
أقول معاذ الله أن يذهب التقى	جراح	٧٥	الطويل

## قافية الدال

إذا أصبحت عندي قوت يومي	يا سعيد	٧٦	الوافر
تمنى رجال أن أموت وإن أمت	بأوحد	٧٧	الطويل
ليت الكلاب لنا كانت مجاورة	أحدا	٧٧	البسيط
كل العداوة قد ترجى مودتها	حسد	٧٨	البسيط
محن الزمان كثيرة لا تنقضي	كالأعياد	٧٨	الكامل
تغرب عن الأوطان في طلب	فوائد	٧٨	الطويل
يريد المرء أن يعطى مناه	أرادا	٧٩	الوافر
ولما أتيت الناس أطلب عندهم	الشدائد	٨٠	الطويل
ومتعب العيش مرتاحاً إلى بلد	البلد	٨٠	البسيط
أتاني بر منك في غير كنهه	تحيد	٨١	الطويل
متى ما تقد بالباطل الحق يابه	تنقد	٨٢	الطويل
فلولا الشعر بالعلماء يزري	ليبد	٨٣	الوافر
من طلب العلم للمعاد	الرشاد	٨٣	مخلع الوسيط
إني نشأت وحسادي ذوو عدد	عددا	٨٤	البسيط
فيا عجبي كيف يعصى الإله	الجاحد	٨٤	المتقارب
لمست بكفي كفه أبتغي الغنى	يعدي	٨٥	الطويل
أرى راحة للحق عند انقضائه	عمد	٨٥	الطويل

قالوا : ترفضت قلت : كلا	اعتقادي	٨٦	مخلع البسيط
إن كنت تغدو في الذنوب جليدا	وعيدا	٨٦	الكامل
إني صحبت أناساً مالمهم عدد	يدي	٨٧	البسيط
عفا الله عن عبد أعان بدعوة	الود	٨٨	الطويل
يا من تحل بذكره	والشدائد	٨٨	الطويل

### قافية الراء

إني بليت بأربع يرميني	صرير	٩١	الكامل
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها	سفارا	٩١	البسيط
أمطري لؤلؤاً جبال سر نديب	تبرا	٩٢	الخفيف
إذا المشكلات تصدين لي	بالنظر	٩٣	المتقارب
لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر	والقفر	٩٤	الطويل
علي ثياب لو تباع جميعها	أكثرأ	٩٤	الطويل
وأكثر من الإخوان ما اسطعت	ظهور	٩٥	الطويل
تدرّعت ثوباً للقنوع حصينة	ذخرا	٩٦	الطويل
إذا كنت لا تدري ولا أنت	تدري	٩٦	الطويل
عواقب مكروه الأمور جبار	قصار	٩٧	الطويل
يقولون : لا تنظر وتلك بلية	ناظر	٩٧	الطويل
كل بملح الجريش خبز الشعير	البعير	٩٧	الخفيف
سأصبر فاصبر واقطع الوصل	ذكرى	٩٨	الطويل
لعمرك ما الرزية هدم دار	بعير	٩٩	الوافر
أكرم بمجلس فتية	السدور	٩٩	مجزوء الكامل
يا كاحل العين بعد النوم بالسهر	للبصر	٩٩	البسيط
ما أحد من ألسن الناس يسلم	المطهر	١٠٠	الرملي

البسيط	١٠١	الحذر	تاه الأعيرج واستعلى به البطر
البسيط	١٠١	فجرا	اقبل معاذير من يأتيك معذرا
الوافر	١٠٢	والأواخر	إذا ما كنت ذا فضل وعلم
البسيط	١٠٣	كدر	الدهر يومان ذا أمن وذا خطر
الطويل	١٠٣	بخاسر	وجدت سكوتي متجراً فلزمته
الطويل	١٠٤	الدهر	وما كنت أَرْضَى من زماني
الخفيف	١٠٤	عار	قيل لي قد آسى عليك فلان

### قافية السين

الوافر	١٠٥	القياس	صديقك ليس ينفع يوم بأس
البسيط	١٠٥	الفلس	قلبي برحمتك اللهم ذو أنس
البسيط	١٠٧	بالنفس	يا واعظ الناس عما أنت فاعله
مخلع البسيط	١٠٨	أمس	لقلع ضرر وسحب حبس
الكامل	١٠٩	المغرس	العلم مغرس كل فخر فافتخر
الكامل	١١٠	يغرس	هل تذكرين إذ الرسائل بيننا

### قافية الصاد

الطويل	١١١	أخلص	شهدت بأن الله لا ربَّ غيره
الوافر	١١٢	المعاصي	شكوت إلى وكيع سوء حفظي

### قافية الضاد

الطويل	١١٤	والقبضا	إذا لم تجودوا والأمر بكم تمضي
الكامل	١١٤	القضا	إن الطبيب بطبه ودوائه
الكامل	١١٥	والناهض	يا راكباً قف بالمحصب من منى
الخفيف	١١٦	عرضا	لست ممن إذا جفاه أخوه

### قافية العين

حسبي بعلمي إن نفع	الطمع	١١٧	منهوك الرجز
وذي حسد يغتابني حيث	أسمع	١١٧	الطويل
العبد حر إن قنع	طمع	١١٨	مجزوء الكامل
ولقد أسمع القول الذي كان	يصدّع	١١٨	الطويل
لست أدري ما حيلتي غير أنني	صنعا	١١٩	الخفيف
إن لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً فاصنع	الطويل	١١٩	الطويل
وربّ ظلوم قد كفيت بحربه	وقوع	١١٩	الطويل
تعصي الإله وأنت تظهر حبه	بديع	١٢٠	الكامل
سل المفتي المكي من آل هاشم	يصنع	١٢١	الطويل

### قافية الفاء

إذا المرء لا يردك إلا تكلفاً	التأسفا	١٢٣	الطويل
كم من قوي قوي في قلبه	ينحرف	١٢٤	البسيط
ودع الذين إذا أتوك تنسكوا	حقاف	١٢٥	الكامل
أكل العقاب بقوة جيف الفلا	ضعيف	١٢٥	الكامل
كيف الوصول إلى سعادة دونها	حتوف	١٢٥	الكامل

### قافية القاف

ارحل بنفسك من أرض	حرق	١٢٧	البسيط
سهري لتتقيح العلوم	عناق	١٢٨	الكامل
إذا رافقت في الأسفار قوماً	الشفيق	١٢٩	الوافر
إن الغريب له مخافة سارق	وامق	١٣٠	الكامل
إذا المرء أفشى سره بلسانه	أحمق	١٣٠	الطويل

البسيط	١٣٠	لم يبق في الناس إلا المكر والملق	رمقوا
الطويل	١٣١	توكلت في رزقي على الله خالقي	برازقي
البسيط	١٣١	لو كنت بالعقل تعطى ما تريد إذن	بمرزوق
الكامل	١٣٢	إن الذي رزق اليسار ولم يصب	موفق
الخفيف	١٣٤	رام نفعاً فضر من غير قصد	عقوقا
الكامل	١٣٤	العلم صيد والكتابة قيده	الوائقه
الكامل	١٣٤	وإذا عجزت عن العدو فداره	وفاق
السريع	١٣٥	اعرف الحق لذي الحق	الحق
البسيط	١٣٥	علمي معي حيثما يَمَّت ينفعني	صندوق

### قافية الكاف

مجزوء الكامل	١٣٦	ما حك جلدك مثل ظفرك	أمرك
المتقارب	١٣٦	رأيت القناعة رأس الغنى	ممتسك
الطويل	١٣٧	فساد كبير عالم متهتك	متنسك
الطويل	١٣٧	تأدمني بالزيت قالت : مبارك	المبارك
الكامل	١٣٧	ومن الشقاوة أن تحب	غيرك

### قافية اللام

البسيط	١٣٩	لم يبرح الناس حتى أحدثوا	الرسل
الكامل	١٣٩	المرء يحظى ثم يعلو ذكره	يفعل
الطويل	١٤٠	إذا نحن فضلنا علياً فإننا	الجهل
الطويل	١٤٠	صن النفس واحملها على	ما جميل
الطويل	١٤٢	تعلم فليس المرء يولد عالماً	جاهل
الكامل	١٤٢	إن الملوك بلاء حيثما حلوا	ظل
السريع	١٤٣	لا يدرك الحكمة من عمره	الأهل

لذل السؤال وهول الممات	وبيلا	١٤٤	المتقارب
بقدر الكد تكتسب المعالي	الليالي	١٤٤	الوافر
كلما أدبني الدهر	عقلي	١٤٥	معزوء الرمل
على كل حال أنت بالفضل	يتفضل	١٤٥	الطويل
أرى نفسي تتوق إلى أمور	مالي	١٤٥	الوافر
لم يدر طعم الفقر من هو في غنى	بلي	١٤٦	الكامل
جاء الطبيب يجسني فجسسته	كحال	١٤٧	الكامل
اسقهم السم إن ظفرت بهم	العسلا	١٤٧	البسيط
إذا رمت الدخول على أناس	الأمثل	١٤٨	الوافر

### قافية الميم

أأنثر درأبين راعية الغنم	النعم	١٤٩	الطويل
رأيت العلم صاحبه كريم	لثام	١٥٠	الوافر
ثلاث هن مهلكة الأنام	السقام	١٥١	الوافر
عفوا تعف نساؤكم في المحرم	بمسلم	١٥١	الكامل
وما أنا بالغيران من دون أهله	علمي	١٥٢	الطويل
أجود بموجود ولو بئ طاويا	يتألم	١٥٢	الطويل
خف الله وارجوه لكل عزيمة	فتندما	١٥٣	الطويل
الليل شيب والنهار كلاهما	رحاها	١٥٣	الكامل
ولقد بلوتك وابتليت خليقتي	تعليمي	١٥٤	الكامل
إليك إله الخلق أرفع رغبتني	مجرما	١٥٤	الطويل
أجاعتهم الدنيا فخافوا ولم يزل	ملجما	١٥٧	الطويل
وما زال كتمانك حتى كأنني	لأعجم	١٥٨	الطويل
بموقف ذلي دون عزتك العظمى	علما	١٥٩	الطويل

مع العلم فاسلك حيثما سلك	فهم	١٦٠	الطويل
حسن ثيابك ما استطعت فإنها	تكرم	١٦١	الكامل
يقولون لي : فيك انقباض وإنما	أحجما	١٦٢	الطويل

### قافية النون

ما شئت كان وإن لم أشأ	يكن	١٦٥	المتقارب
كل العلوم سوى القرآن مشغلة	الدين	١٦٦	البيسط
إني معزيك لا أني على ثقة	الدين	١٦٦	البيسط
خذها إليك فإن ودك طالق	البين	١٦٧	الكامل
أمت مطامعي فأرحت نفسي	تهون	١٦٨	الوافر
جنونك مجنون ولست بواجد	جنون	١٦٨	الطويل
ما تم حلم ولا علم بلا أدب	حليمان	١٦٨	البيسط
إذا هبت رياحك فاغتنمها	سكون	١٦٩	الوافر
أخي لن تنال العلم إلا بسة	بيان	١٧٠	الطويل
قنعت بالقوت من زماني	الهوان	١٧٠	مخلع البسيط
احفظ لسانك أيها الإنسان	ثعبان	١٧١	الكامل
لا يكن ظنك إلا سيئاً	الفطن	١٧١	الرمل
نعيب زماننا والعيب فينا	هجانا	١٧٢	الوافر
تحكموا فاستطالوا في تحكمهم	يكن	١٧٣	البيسط
يا سميع الدعاء كن عند ظني	مني	١٧٣	الرمل
إن لله عباداً فطنا	الفتنا	١٧٤	الرمل
سهرت أعين ونامت عيون	لا تكون	١٧٤	الخفيف
إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى	حسنا	١٧٥	الطويل
إذا امتلأت أيدي اللئيم من الغنى	وأنتنا	١٧٥	الطويل
وإني لمشتاق إلى أرض غرة	كتمانني	١٧٥	الطويل

أريتك تكويني بميسم منّة	تكويني	١٧٦	الطويل
أقول لعائدي وشجعوي	جيني	١٧٦	الوافر
إذا رمت أن تحيا سليماً	صين	١٧٧	الطويل
يا جامع المال ترجو أن تفوز به	للموازن	١٧٨	البسيط
يا من تعزز بالدنيا وزينتها	والباني	١٧٨	البسيط
نبكي عليه فقد حق البكاء له	العين	١٧٩	البسيط
ولو تنازعني كفي إلى خلق	بيني	١٧٩	البسيط

### قافية الهاء

ومنزلة السفية من الفقيه	السفيه	١٨١	الوافر
لا تأس في الدنيا على فائت	والعافيه	١٨١	السريع
أعرض عن الجاهل السفية	فيه	١٨٢	مخلع البسيط
مرض الحبيب فعدته	عليه	١٨٣	مجزوء الكامل
صار مال المتوفى كاملاً	أبيه	١٨٣	الرميل
سأترك حبيكم من غير بغض	فيه	١٨٣	الوافر
أنلني بالذي استقرضت خطأ	شاهدوه	١٨٤	الوافر
عمدة الخير عدة كلمات	البريه	١٨٤	الخفيف
لا خير في حشو الكلام	عيونه	١٨٥	مجزوء الكامل
زن من يزك بما وزنت	فزنه	١٨٦	مجزوء الكامل
وا حسرة للفتى ساعة	أودأته	١٨٦	السريع
من يتمن العمر فليدرع	أحبائه	١٨٧	البسيط
خبت نار نفسي باشتعال مفارقي	شهابها	١٨٧	الطويل
إذا سبني نذل ترايدت رفعة	مسابه	١٩٠	الطويل
بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم	إهابه	١٩١	الطويل



ومن البلية أن تحب	تحبه	١٩٣	مجزوء الكامل
تصبر على مر الجفا من معلم	زفراته	١٩٣	الطويل
قضاة الدهر قد ضلوا	خسارتهم	١٩٤	مجزوء الوافر
من نال مني أو علق بدمته	منته	١٩٤	الكامل
ماذا يخبر ضيف بيتك أهله	ومعاجه	١٩٥	الكامل
أقسم بالله لرضح النوى	المالحه	١٩٦	السريع
إذا لم أجد خلاً تقياً فوحدتي	أعاشره	١٩٧	الطويل
كن سائراً في ذا الزمان بسيره	ديره	١٩٧	الكامل
والمرء إن كان عاقلاً ورعاً	ورعه	١٩٨	المنسرح
لا تعطين الرأي من لا يريده	نافعه	١٩٨	الطويل
عزيز النفس من لزم القناعة	قناعه	١٩٨	الوافر
تعمدي بنصحك في انفرادي	الجماعه	٢٠٠	الوافر
لقد زان البلاد ومن عليها	حنيفه	٢٠٠	الوافر
إن الفقيه هو الفقيه بفضله	ومقاله	٢٠١	الكامل
يا آل بيت رسول الله حبيكم	أنزله	٢٠١	البسيط
وأنزلني طول النوى دار غربة	أشاكله	٢٠٢	الطويل
قل للذي لم تر عينا	مثله	٢٠٣	الهزج
وداريت كل الناس لكن حاسدي	منالها	٢٠٣	
قالوا يزورك أحمد وتروره	منزله	٢٠٣	الكامل
لا قصر عنها ولا بلغتها	طوالها	٢٠٤	الكامل
العلم من فضله لمن خدمه	خدمه	٢٠٤	مجزوء البسيط
أهين لهم نفسي لأكرمها بهم	تهينها	٢٠٥	الطويل
إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن	بدونها	٢٠٥	الطويل

## قافية الياء

وعين الرضا عن كل عيب	المساويا	٢٠٦	الطويل
كساني ربي إذ عريت عمامة	ليا	٢٠٧	الطويل
أفكر في نوى إلفي وصبري	دهري	٢٠٨	الوافر

\* \* \*

## فهرس الموضوعات

المقدمة . . . . .	٥
عملي في الديوان . . . . .	٣٠
ترجمة الشافعي . . . . .	٣٣
ديوان الشافعي . . . . .	٤٩
قافية الهمزة . . . . .	٥١
قافية الباء . . . . .	٥٥
قافية التاء . . . . .	٦٥
قافية الجيم . . . . .	٧٢
قافية الحاء . . . . .	٧٣
قافية الدال . . . . .	٧٦
قافية الراء . . . . .	٩١
قافية السين . . . . .	١٠٥
قافية الصاد . . . . .	١١١
قافية الضاد . . . . .	١١٤
قافية العين . . . . .	١١٧
قافية الفاء . . . . .	١٢٣
قافية القاف . . . . .	١٢٧
قافية الكاف . . . . .	١٣٦

١٣٩	قافية اللام . . . . .
١٤٩	قافية الميم . . . . .
١٦٥	قافية النون . . . . .
١٨١	قافية الهاء . . . . .
٢٠٦	قافية الياء . . . . .
٢٠٩	حكم الإمام الشافعي المنشورة . . . . .
٢٤٨	موعظة . . . . .
٢٤٩	وصية الإمام الشافعي . . . . .
٢٥٢	فهرس الديوان . . . . .

\* \* \*

من إصداراتنا

# حجر السوء

تأليف  
عبد الرحمن عيسى الجزيري

اعتنى به  
منازبو

# شكلات الشبابة

## الم وأمل

تأليف  
هاني عبد اللطيف الطايبي

تقديم الشيخ  
حسن الهندي



من إصداراتنا

# التَّخِيفُ وَالتَّزِيرُ

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)

تأليف  
ياسر محمد التَّوَّاب

# رِسَالَةٌ إِلَى مَرِيضٍ

(فِي الْمَرَضِ كَفَّارَةٌ فَاصْبِرْ ...)

تأليف  
ياسر محمد التَّوَّاب





من إصداراتنا

مصورة

# مقاطعة المسامين



إعداد: خالد خادم السروجي  
رسم: عماد الدين شبيب

لغة

من إصداراتنا

مصورة

# الرحلة إلى الحبشة



إعداد: خالد خادم السروجي  
رسم: عماد الدين شبيب

السيرة النبوية الشريفة

مصورة

# في ظل أل الشجرة والرسالة



إعداد: خالد خادم السروجي  
رسم: عماد الدين شبيب

لغة

مصورة

# شباب الرسول ﷺ



إعداد: خالد خادم السروجي  
رسم: عماد الدين شبيب

السيرة النبوية الشريفة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com



دار الإفتاء  
دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

٢٤٤٧٢



مكتبة ابن القيم  
دمشق - حلبوني - ص.ب. ٣٤٤٧٣

هاتف: ٢٢٢٨١٩٣ - فاكس: ٢٢٤٦٩٦٦